جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار– كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن– الدراسات العليا

السياق القرآني وأثره في التفسير عند الواحدي في تفسيره البسيط

رسالة مُقدَّمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية بجامعة الأنبار

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

من طالبة الماجستير

إيلاف خيرالله أحمد صالح الكبيسي

بإشراف

أ.م. د. ياسر إِحسان رشيد النَّعيمي

١٤٤٣هـ ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ
ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾ [النساء: ٨٢]

إقرار المشرف

أشهد إنْ إعداد رسالة الماجستير الموسومة بـ(**السياق القرآني وأثره في التفسير عند الواحدي في تفسيره البسيط**) للطالبة (**إيلاف خير الله أحمد صالح**) قد جرى تحت إشرافي في قسم التفسير وعلوم القرآن للدراسات العليا- كلية العلوم الإسلامية في جامعة الأنبار وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن / تخصص التفسير وعلوم القرآن.

توقيع المشرف:

أ.م.د. ياسر إحسان رشيد النعيمي

التاريخ: / /٢٠٢١م

توصية رئيس القسم.

بناءً على التوصيات المتوافرة ، أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

توقيع رئيس القسم :

أ. د. أحمد قاسم عبد الرحمن الزبيدي

رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن

التاريخ: / / ٢٠٢١م

إقرار المقوم العلمي

أشهد إنّي قد قرأت هذه الرسالة الموسومة بـ(**السياق القرآني وأثره في التفسير عند الواحدي في تفسيره البسيط**) المُقدَّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية بجامعة الأنباروهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من طالبة الماجستير"إيلاف خير الله أحمد صالح" ووجدتها صالحة من الناحية العلمية .

كما أتعهد بمراعاة الدقة في التقويم ، وعدم الإكتفاء ببحث الإطار العام للرسالة ومنهج البحث العلمي والعمل على ضمان السلامة الفكرية ، وعدم هدم النسيج الوطني واللحمة الوطنية ، والطلب من مقدم الرسالة حذف الفقرات والعبارات المسيئة لها ، وبخلاف ذلك أتحمل التبعات القانونية كافة ولأجله وقعت

التوقيع :

الإسم :

الجامعة : الأنبار

الكلية: العلوم الإسلامية

التاريخ: / /٢٠٢١

إقرار المقوم اللغوي

أشهد إنّي قد قرأت هذه الرسالة الموسومة بـ(**السياق القرآني وأثره في التفسير عند الواحدي في تفسيره البسيط**) المُقدَّمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية بجامعة الأنبار وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من طالبة الماجستير "إيلاف خير الله أحمد صالح" ووجدتها صالحة من الناحية اللغوية.

التوقيع :

الإسم :

الجامعة : الأنبار

الكلية: العلوم الإسلامية

التاريخ: / /٢٠٢١م

ملخص الرسالة

تضمنت الرسالة الموسومة بـ (السياق القرآني وأثره في التفسير عند الواحدي في تفسيره البسيط) ، دراسة تطبيقية لبيان أثر السياق في التفسير البسيط، إذ اعتمد عليه الإمام الواحدي بشكل كبير جدًا في تفسيره البسيط تصريحًا وتلميحًا في بيان المعنى، والترجيح بين أقوال المفسرين وتضعيفها ونقدها، وفي بيان الأحكام الفقهية ، ووجوه المناسبة، وشرح العلوم اللغوية المتعلقة بالقرآن ، من وجوه الإعراب، وأنواع الاستفهام، وبيان معنى المشترك اللفظي، بالإضافة لذلك كان للسياق دورٌ كبيرٌ في توجيه القراءات واختيارها في التفسير البسيط.

وتهدف الرسالة إلى لفت أنظار الباحثين والدارسين إلى أهمية السياق في التفسير؛ إذ بينت الرسالة أن السياق يرتبط ارتباطًا وثيقًا بكل فن من فنون التفسير.

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني ، الواحدي رحمه الله تعالى، التفسير البسيط.

إهداء

إلى المعلم الكبير والسراج المنير محمد الهادي الأمين عليه أفضل الصَّلاة وأتم التسليم وصحبه أجمعين.

إلى من سهرت الليالي، وأرخصت كل غالٍ ولم تبالِ، إلى من تستقبلني بابتسامة وتودعني بدعوة مهجة قلبي؛ أمي.

إلى من أولاني الرعاية وخصني بالعناية، إلى من أدَّبني وعلمني، فكان بحقٍّ أستاذيَ الأولَ، والدي تاج رأسي الذي تفطّر قلبه شوقًا، فكان يَعُدُّ الأيام والليالي تَرَقُّبًا لهذه اللحظة..

أسأل الله ﷻ أن يرزقني بِـرَّهما ويكرمني برضاهما.

إلى كل من علمني حرفًا، أو أسدى لي بفكرة، وذكرني بدعوة.

لكم جميعًا أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحثة

شكر وعرفان

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: جزء من الآية : ١٩]

أحمد الله ﷻ حمدًا كثيرًا، وأشكره شكرًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، أن سخرني لخدمة كتابه الكريم، ووفقني لإتمام هذه الرسالة.

كما يُشَرِّفُنِي ويطيب لي أنْ أَتَقَدَّم بأسْمى آيات الشُّكرِ والعِرْفان إلى مقام أُستاذي الفاضل الدكتور ياسر إحسان رشيد الذي أسبغ عليَّ وافر كرمه بتفضلِه بقبول الإشراف على رسالتي، ثم على إرشاداته وملاحظاته التي كان لها الأثر الواضح على هذه الرسالة، إذ قدمها برحابة صدرٍ وطيب خاطر، و بخلقٍ حسن، وتواضع جم. وسعى جاهدًا إلى إخراج هذه الرسالة صافية من الشوائب أن يكون كل حرفٍ في ﷻفصحح وعدَّل وقوَّم، فله جزيل الشكر وعميق التقدير، وأسال المولى هذه الرسالة حجةً له ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩]

ثم أتقدم بالشكر والامتنان إلى الهيئة التدريسية الذين تفضلوا بالاطلاع على رسالتي وأكرموني بملاحظتهم القيمة، ونظروا فيها نظرة أستاذ، مقومين ومعدلين ما فيها من زلل، فلهم جزيل الشكر لما قدموه من نصائح جمة ومعلومات سديدة أنارت لي طريق الوصول إلى غايتي.

وأتوجه بجزيل الشكر والعرفان إلى كلية العلوم الإسلامية التي كانت وما زالت صرحًا معطاءً للعلم الشرعي والراغبين فيه، على ما أتاحت لي ولغيري من فرصة مواصلة الدراسة الجامعية فيها، ويسرت لي جميع السبل لطلب العلم الشرعي، والنهل من معينه الصافي، والشكر موصول إلى قسم تفسير القرآن وعلومه، أساتذةً وطلابًا، ولكل من أسهم وأعان على إتمام هذا العمل المتواضع، أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياهم خدَمَةً لكتابه وسنة نبيّه ﷺ.

وختامًا أشكر كل من ساندي برأي أو نصيحة في إتمام هذه الرسالة وأسأل المولى ﷻ أن يجعلها في موازين حسناتهم ويكرمهم بمنازل المحسنين والمتقين ويجعلهم من السعداء في الدارين.

فهرس

الصفحة	المحتويات
ب	المطلع القرآني.
ث	الإهداء.
ج	شكر وعرفان.
ح – خ	فهرست.
١	مقدمة.
٧	التمهيد : تعريف بمحددات العنوان.
٨	المبحث الأول: التعريف بالإمام الواحدي رحمه الله تعالى.
٩	المطلب الأول : اسمه ، ونسبه ، وأسرته.
١١	المطلب الثاني : ولادته ووفاته.
١١	المطلب الثالث: حياته العلمية.
١٢	المطلب الرابع : شيوخه وتلاميذه رحمه الله تعالى.
١٨	المبحث الثاني : التعريف بالتفسير البسيط ومنهج الواحدي رحمه الله تعالى فيه.
١٩	المطلب الأول : التعريف بالتفسير البسيط.
١٩	المطلب الثاني : مصادر الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط.
٢١	المطلب الثالث : منهج الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط.
٢٣	المبحث الثالث : السياق وأثره في التفسير.
٢٣	المطلب الأول : السياق لغة واصطلاحًا.
٢٧	المطلب الثاني : ضوابط السياق القرآني .
٢٨	المطلب الثالث: أقوال العلماء في أهمية السياق.
٣١	المطلب الرابع: أثر السياق في التفسير.
٣٢	الفصل الأول: اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في بيان المعاني.
٣٣	المبحث الأول: الاعتماد على السياق في شرح الألفاظ والتراكيب وبيان معانيها.
٤٥	المبحث الثاني :اختيار احد المعاني التي يحتملها اللفظ.
٦٧	الفصل الثاني: اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في الترجيح بين الأقوال

ونقدها.	
المبحث الأول: التصريح بتضعيف الأقوال.	٦٨
المبحث الثاني : الإشارة إلى ترجيح بعض الأقوال بدون تصريح.	٨٠
المبحث الثالث : التصريح بترجيح بعض الأقوال.	١٠٩
الفصل الثالث: توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق في العلوم الشرعية واللغوية المتعلقة بالقرآن الكريم.	١٥٠
المبحث الأول: أثر السياق في بيان الأحكام الفقهية.	١٥١
المبحث الثاني : أثر السياق في بيان مناسبة الآيات القرآنية.	١٥٩
المبحث الثالث : أثر السياق في بيان الأساليب اللغوية.	١٧٦
المطلب الأول : أثر السياق في بيان معنى أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم .	١٧٧
المطلب الثاني : أثر السياق في بيان معنى المشترك اللفظي.	١٨٩
الفصل الرابع: توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق في الاحتجاج للقراءات القرآنية.	١٩٧
المبحث الأول: ذكر معنى القراءة من السياق بدون التصريح باختياره للقراءة على غيرها.	١٩٧
المبحث الثاني : اختيار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة من بين القراءات الواردة في الآية بناء على السياق.	٢٢٠
الخاتمة.	٢٤٠
ثبت المصادر والمراجع.	٢٤٢-٢٥٧
الخلاصة باللغة الانكليزية.	

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله منزل النون والقلم، والصلاة والسلام على هادي الأمم؛ محمد سيد العرب والعجم، وعلى آله وصحبه خير الأمم.

أما بعد:

فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة على مر العصور، ومن وجوه إعجازه نظمُهُ وتركيبُه وأسلوبُه المتآخي المترابط، وعباراتُه المتناسبةُ المتسقةُ مع بعضها البعض وكأنها أُنزلت جملةً واحدة، فتفسيرُ نصوصه والوقوف على مراد الله ﷻ منه وكشف سر إعجازه غايةُ كل مفسر وطِلْبةُ كلِّ عالم، ولاسيما أن العلوم الشرعية كافة تعتمد على فهم النص القرآني فهمًا صحيحًا سديدًا.

من هنا اتجهت عناية العلماء بالقرآن الكريم وألفوا فيه المصنفات، وتنوعت اتجاهاتُهم، وكلٌّ فسره بأسلوبه الخاص به واختصاصه الذي برع به، وفق ضوابطَ وقواعدَ وأسسٍ معينةٍ تأصيلًا وتفصيلًا.

وقد كان السياق من بين أبرز تلك القواعد التي يُعتمد عليها في تفسير النصوص وتوجيهها توجيهًا صحيحًا، فأدرك العلماءُ والمفسرون هذه الأهميةَ الكبيرةَ والبالغةَ للسياق في التفسير منذ زمن بعيد، ومازالت الدراساتُ تتعمق في دراسته لما له من أثر عظيم في فهم القرآن وتفسيره، حتى كادت الدراسة تثبت أنه القاعدة الرئيسة والركن الأساس الذي لابد لكل من شرفه الله تعالى بدراسة التفسير أن يعتمد عليه متدبرًا ومتأملًا أهميته القصوى لبلوغه إلى ما يرمي إليه من دراسته من بيان مجمل وتقييد مطلق وتوجيه قراءة، وبيان المعنى المراد من النص المحتمل لأكثر من معنى، وبيان الناسخ والمنسوخ وغير ذلك من المقاصد مما لا يتسع المقام لذكره.

أسباب اختيار الموضوع:

من بين أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

١. أهمية علم السياق القرآني، كونه أصلًا أصيلًا من أصول التفسير التي يجب مراعاتُها عند تفسير القرآن الكريم، والدراسة محاولة لتقديم تطبيق عملي لتوظيف السياق في التفسير.

٢. اهتمام الإمام الواحدي رحمه الله تعالى بالسياق تصريحًا أو تلميحًا؛ حيث إنه يدقق النظر في تتابع الآيات والجمل فيلحظ الأقرب للمعنى فيرجحه ويدلل عليه.

٣. تجلية مكانة أثر علم السياق القرآني في التفسير، وبيان معاني القرآن الكريم ثم الترجيح بين تلك المعاني وكشف الراجح من المرجوح والسليم من السقيم.

٤. محاولة إظهار منهج صحيح من مناهج تدبر القرآن الكريم وتأمله من خلال سياق آياته.

٥. محاولة إثبات وجه من وجوه اعجاز القرآن الكريم حيث إن السياق يمثل أعظم دليل على ذلك، فالقرآن الكريم كأنه كلمة واحدة؛ انتظامًا وترتيبًا وتماسكًا وارتباطًا، مع أنه نزل منجَّمًا طوالَ ما يزيد على عشرين سنة، فكلام الله ﷻ سلسلة منتظمة تتجاذب حلقاتها بعلاقة وطيدة لا يمكن انفصامها.

٦. دراسة موضوع معين من موضوعات التفسير، من خلال الوقوف عليه من تطبيقات المفسرين ، تبين أهميته، وتضع له أصولاً محددةً وقواعدَ منضبطةً من بين مواطنه المبعثرة، وتجمع شتاته.

٧. من الدوافع أيضًا على دراسة الموضوع طبيعة الدراسة التطبيقية، ولاسيما للقرآن كامًلا، حيث كان لها أثر بالغٌ في صقل الملكة التفسيرية، ومعرفة مدى اعتماد المفسرين المتأخرين والمتقدمين على السياق، وأكثر الموضوعات التفسيرية اعتمادًا على السياق وبيان أثره فيها.

٨. المكانة السامية للتفسير البسيط للواحدي، لما لمؤلفه من الشهرة العلمية وجمعه بين الأثر واللغة، وإن كان التوجه اللغوي هو الغالب، وقد تحرى مؤلفه رحمه الله تعالى أصح طرق التفسير فعند ترجيحه بين المعاني والأقوال والأحكام الفقهية وبيان وجوه المناسبة والأساليب اللغوية والقراءات لم يكتفِ بدليل واحد بل ينظر في اللغة والمأثور والدراية والقراءات، وكان السياق القرآني من أهم تلك المرجحات عنده رحمه الله تعالى فلا يخرج لفظة من سياقها فيفسرها بما يوافق السابق واللاحق ويربط المعاني برباط وثيق.

٩. وضع أطر محددة لموضوع السياق وحث الباحثين على التعمق في دراسته لكونه واسعًا جدًا وهذه الرسالة لا تمثل سوى غيض من فيض.

١٠. حداثة الموضوع وقلة الدارسين له حيث لم تسبق له دراسات بصورة واسعة ودقيقة.

منهج الدراسة:

المنهج الذي اعتمدته في فصول الرسالة ومباحثها هو المنهج الاستقرائي التحليلي، وعلى النحو الآتي:

١. استقراء التفسير البسيط واختيار بعض المواضع التي برز فيها منهج الواحدي رحمه الله تعالى في الاعتماد على السياق.

٢. ذكر قول الواحدي رحمه الله تعالى نصًا ووضعه بين قوسين مزدوجة ثم توضيحه للقارئ الكريم.

٣. بيان أقوال المفسرين الذين وافقوا أو خالفوا الواحدي رحمه الله تعالى في الاعتماد على السياق.

٤. عزو الآيات الشريفة إلى مواضعها في القرآن الكريم في المتن.

٥. بيان معاني الألفاظ الغريبة.

٦. عزو القراءات القرآنية إلى من قرأ بها من القراء مع توثيقها من مظانِّها في الهامش.

٧. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مظانِّها في الهامش.

الصعوبات التي واجهتُها في أثناء البحث:

كل طريق لابد له من أشواك تعرقل سير سالكه؛ ليتبين له مدى عزمه وقوة تمسكه بهدفه، ولاسيما طريق العلم، فإنه يحتاج إلى مثابرة ورباط جأش ليتمكن سالكه من معرفته معرفة تليق بمكانته، ولكي تتسم دراسته بالأمانة والدقة، فمن الصعوبات التي واجهتني:

قلة خبرتي بالسياق القرآني فكانت هذه الدراسة هي التجربة الأولى لي في هذا المجال، بل الخطوة الأولى في التعمق والتخصص فيه، ولا تمثل هذه الدراسة سوى غيض من فيض السياق الذي يحتاج إلى دقة ملاحظة وقوة بصيرة وبُعْد تأمل؛ مما جعل هذا العلم يتسم بندرة البحوث والدراسات فيه، وقلة المتخصصين في السياق، بالرغم من مكانته المرموقة في التفسير، وآثاره الكبيرة في بيان الإعجاز القرآني. وكذلك طبيعة الدراسة نفسها فتناولت فنًا دقيقًا من فنون التفسير. وعلى هذا تتجاذبه صعوبتان: كونه في التفسير، وكونه في أوسع موضوعات التفسير وأدقها.

وكذلك سعة الموضوع التي كانت من أكبر صعوبات الدراسة؛ إذ لم يقتصر على نوع معين من الآيات بل غطى جميع النصوص القرآنية سواء كانت قصصًا أو أحكامًا أو لغة أو ناسخًا ومنسوخًا، فتضمنت الدراسة أغلب فنون التفسير مع ما يرتبط به من قريب وبعيد.

بالإضافة إلى ذلك مواضع استدلال الإمام الواحدي رحمه الله تعالى بالسياق تحتاج إلى دقة وتركيز للوقوف عليها؛ لأنها كانت بصيغ مختلفة جدًا، والإمام الواحدي رحمه الله تعالى كان عالمًا لغويًا جليلًا، وأسلوبه صعب يحتاج إلى بصيره حاذقة لمعرفة غايته، ثم إنه رحمه الله تعالى اعتمد على السياق بشكل واسع مما ألزمني أن أضرب بسهم في كل علم من علوم التفسير، وهذا ذروة الصعوبة، ثم إن السياق مصطلح غير صريح المفهوم بصورة واضحة المعالم فكلٌّ عرَّفه على وفق دراسته التطبيقية لهذا المصطلح، وأما العلماء المتأخرين فلم يتناولوا السياق وفق مفهومه المعاصر.

الدراسات السابقة:

لم أرَ دراسة سابقة لدراستي تناولت السياق في تفسير الواحدي رحمه الله تعالى، إلا أنني وجدتُ الكثير من الدراسات عن الواحدي ودراساتٍ أخرى عن السياق بشكل عام، أذكر منها:

١. كتاب أسباب النزول للواحدي ،(ت ٤٦٨هـ) دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للباحث ياسر إحسان رشيد ، الجامعة العراقية للعلوم الإسلامية، ٢٠٠١م.
٢. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، دراسة نظرية تطبيقية، للباحث فهد بن شتوي عبد المعين الشتوي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣. السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، للباحث عبدالرحمن سرور جرمان المطيري ، الرقم الجامعي ٤٢٧٨٠٠٦٧، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة واصول الدين ، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
٤. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، د. عبد الحكيم بن عبد الله القاسم الاستاذ المساعد بجامعة الملك سعود، أطروحة دكتوراه في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ.
٥. الواحدي ومنهجــه في تفسيره البسيط، للدكتور عمر إبراهيم رضوان، جامعة المدينة العالمية ـ ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية، ٢٠١١.
٦. أثر التحليل النحوي في توجيه المعنى التفسيري (تفسير البسيط أنموذجًا)، للدكتور ميثم كريم كاظم الشاهين، ٢٠١٨م.
٧. السياق القرآني وأثره في التفسير، إعداد الدكتور أحمد ماهر سعيد نصر، مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالسادات، جمهورية مصر العربية.

ونلاحظ أن الدراسات السابقة لم تتناول أثر السياق في التفسير عند الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط بشكل مستقل وبحدود معينه، وهذا ما دفعني إلى دراسته لبيان مكانة السياق عند الواحدي رحمه الله تعالى، فكانت رسالتي بعنوان (السياق القرآني وأثره في التفسير عند الواحدي في تفسيره البسيط).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تقسم الرسالة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

بينتُ في المقدمة أسباب اختيار الموضوع والمنهج الذي سرتُ عليه في كتابة هذه الرسالة، والصعوبات التي رافقتني في الكتابة وذكرتُ الدراسات السابقة وخطة الرسالة.

التمهيد : وتضمن التعريف بمحددات الموضوع وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالإمام الواحدي رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: التعريف بالتفسير البسيط ومنهج الواحدي رحمه الله تعالى فيه.

المبحث الثالث: السياق القرآني وأثره في التفسير.

الفصل الأول: اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في بيان المعاني. وتضمن المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: الاعتماد على السياق في شرح الألفاظ والتراكيب وبيان معانيها.

المبحث الثاني :اختيار أحد المعاني التي يحتملها اللفظ.

الفصل الثاني: اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في الترجيح بين الأقوال ونقدها. وتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: التصريح بتضعيف الأقوال.

المبحث الثاني : الإشارة إلى ترجيح بعض الأقوال بدون تصريح.

المبحث الثالث : التصريح بترجيح بعض الأقوال.

الفصل الثالث: توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق في العلوم الشرعية واللغوية المتعلقة بالقرآن الكريم. وتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: أثر السياق في بيان الأحكام الفقهية.

المبحث الثاني : أثر السياق في بيان مناسبة الآيات القرآنية.

المبحث الثالث : أثر السياق في بيان الأساليب اللغوية.

الفصل الرابع: توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق في الاحتجاج للقراءات القرآنية. وتضمن المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: ذكر معنى القراءة من السياق بدون التصريح باختياره للقراءة على غيرها.

المبحث الثاني: اختيار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة من بين القراءات الواردة في الآية بناء على السياق.

الخاتمة: وبينتُ فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

التمهيد

تعريف بمحددات العنوان

المبحث الأول:- التعريف بالإمام الواحدي رحمه الله تعالى

المبحث الثاني:- التعريف بالتفسير البسيط ومنهج الواحدي رحمه الله تعالى فيه

المبحث الثالث:- السياق وأثره في التفسير

المبحث الأول

التعريف بالإمام الواحدي رحمه اللّٰه تعالى [1]

المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته

المطلب الثاني : ولادته ووفاته

المطلب الثالث : حياته العلمية

---

(١) اختصرت الكلام على الواحدي؛ لأن هذا الموضوع كثرت فيه الكتابات والبحوث ولا أرى داعيًا لإطالة الكلام فيه.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته

أ. اسمه :

هو الشيخ علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوَيْهِ الواحدي النيسابوري الشافعي المَتُّويي. هذا اسمه في أكثر المصادر التي ذكرت ترجمته (١).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: "الواحدي المفسر علي بن حسن بن أحمد بن علي بن بويه" (٢) وانفرد بذكر (بويه) فلم أقف عليه عند غيره ولعله تصحيف أو خطأ طباعي صوابه (متويه).

ب. كنيته :

أبو الحسن في جميع المصادر، إلا في "إنباه الرواة" ذُكرت كنيته "أبو الحسين" (٣) ولم أجد هذه الكنية في غيره ولعله خطأ وتحريف وقع في "إنباه الرواة"، وكثيرًا ما يقع التصحيف في كتب التراجم، ويؤكد أن ما في "إنباه الرواة" خطأ هو أن القفطي يعتمد على "دمية القصر" والذي في دمية القصر" الشيخ أبو الحسن" (٤).

ت. نسبه :

وعُرف بنسبة الواحدي حتى غلبت على اسمه، وهي نسبةٌ إلى الواحد؛ بطن من بطون مهرة بن الديل بن مهرة (٥)،الواحدي: للواحد بن الديل بن مهرة وواحد جبل لكلب (٦) وقيل: الديل بن مهرة، ومهرة قبيلة عربية مشهورة ترجع إلى قضاعة (٧).

والنيسابوري (٨) نسبة إلى نيسابور أهم مدن خراسان (٩) ولد ونشأ فيها حتى وفاته؛ لذلك نُسب إليها.

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٣/ ٣٠٣، و سير أعلام النبلاء : ١٨/ ٣٣٩، و معجم المؤلفين :٧/ ٢٦. و كتاب أسباب النزول للواحدي (ت٤٦٨هـ) دراسة وتحليل: ١٨ ، و الواحدي ومنهجه في تفسيره البسيط:٤ ، و أثر التحليل النحوي في توجيه المعنى التفسيري (تفسير البسيط أنموذجًا): ١٤.

(٢) البداية والنهاية: ١٣٩/١٢.

(٣) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي: ٢/ ٢٢٣.

(٤) دمية القصر وعصرة أهل العصر: ٢/ ١٠١٧.

(٥) يُنظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ٣/ ٣٠٤.

(٦) مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب: ٦٥.

(٧) ينظر: جمهرة أنساب العرب :١/ ٤٤٠، و٤٨٥.

(٨) ينظر: العبر في خبر من غبر: ٢/ ٣٢٤.

(٩) بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان ، معجم البلدان : ٢/ ٣٥٠.

والمتويي نسبة إلى متُّويه، وهو أحد أجداد الواحدي. [1] ومذهبه الفقهي شافعي، ومذهبه العقدي أشعري، وكان هذان المذهبان المذهبين السائدين في نيسابور آنذاك [2].

ث.أسرته :

أما أسرته فلم تذكر المصادر شيئًا كثيرًا عن أسرتِهِ سوى أنه من ساوه، وهي مدينة تقع بين الري وهمذان، يتبع سكانها المذهب الشافعي؛ لذلك اشتهر الواحدي رحمه الله تعالى بهذا المذهب. وكانت أسرته ميسورة الحال من التجار هيأت له طلب العلم التفوق فيه، وله أخوان:

أحدهما: أبو القاسم عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي، وهو أكبر سِنًّا من الواحدي . كان فقهيًا محدِّثًا ثقة معمَّرًا. سمع الحديث عن جماعة من المحدثين، وعقد له مجلس إملاء الحديث في إحدى جوامع نيسابور الكبرى يوم الجمعة قبل الصلاة. وتُوفِيَّ يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وأربع مائة [3].

والأخ الثاني: سعيد بن أحمد بن محمد السمسار أبو بكر الواحدي، شيخ ثقة عفيف مستور الحال. سمع الحديث عن جماعة من محدثي نيسابور. ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته [4]، وهذا كل ما وقفتُ عليه من أسرته.

---

(١) ينظر : وفيات الأعيان :٣/ ٣٠٣.

(٢) لخصت كلامي هنا من: أسباب النزول دراسة وتحليل:١٨، والواحدي ومنهجه في تفسيره البسيط: ٤-٥، وأثر التحليل النحوي في توجيه المعنى التفسيري(التفسير البسيط انموذجا) : ١٣-١٤، وينظر : اللباب في تهذيب الأنساب: ٣/ ١٦٣.

(٣) ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور.: ٣٤٣.

(٤) ينظر: أسباب النزول دراسة وتحليل: ٢١، و الواحدي ومنهجه في تفسيره البسيط:١٥، و أثر التحليل النحوي في توجيه المعنى التفسيري (التفسير البسيط انموذجا) : ٥ ، و المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ٢٥٤.

المطلب الثاني: ولادته ووفاته

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته على وجه التحديد ولكنها تقدر ولادته في سنة ٣٩٨هـ؛ لأن أغلب من ترجم له ذكروا أنه توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة في السبعين من عمره رحمه الله تعالى بعد مرض طويل في نيسابور [١]. وذُكر أنه توفي سنة تسع وستّين وأربعمائة [٢]. والصحيح الأول لإجماع أغلب المصادر عليه.

المطلب الثالث: حياته العلمية:

نشأ الواحدي رحمه الله تعالى في نيسابور مدينة العلم والعلماء، و قد تهيأت له أسباب التحصيل وطلب العلم والمعرفة؛ لأن أسرته كانت ميسورة الحال وفَّرت له أسباب العيش؛ إذ كان والده تاجرًا وأخوه يعمل بالسمسرة [٣].

فتفرَّغ لطلب العلم بهمة عالية، وأنفق عمره في الحصول على شتى العلوم منها التفسير واللغة والفقه والحديث وغيرها، وتلقى تعليمهُ الأول في الكُتَّاب، أي : المدرسة الابتدائية حينئذٍ في نيسابور على يد الشيخ أبي عمرو سعيد بن هبة الله البسطامي، ثم تلقى الفقه والحديث في الثانية عشرة من عمره تقريبًا سنة ٤٠٩هـ من شيخه أبي طاهر محمد بن محمد.

ثم التحق بدار السنة متلقي العلم على يد كبار العلماء فيها منهم القاضي أبو بكر في سنة ٤١٠هـ، وغيرهم، وبذلك كان أستاذ عصره في اللغة والنحو والتفسير، وعُنِيَ بتلك العلوم عناية فائقة، وفي صباه بدأ رحلاته في طلب العلم كسائر العلماء في عصره بحثًا عن فطاحل العلم والمعرفة فأخذ عنهم الكثير ويدلُّ على ذلك قوله في مقدمة تفسيره البسيط: "ولو أثبتُّ المشايخ الذين أدركتُهم واقتبستُ عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وَطِئتُها طال الخطب وملَّ الناظر" [٤]، ولم تذكُر المصادر البلاد التي رحل إليها رحمه الله تعالى لتلقي العلم.

---

(١) ينظر: معجم الأدباء: ٤/ ١٦٥٩ ، و إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢/ ٢٢٤ ، و العبر في خبر من غبر: ٢/ ٣٢٤.

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ٥/ ١٠٣.

(٣) السمسرة: وهو أن يتوكل الرجل من الحاضرة للبادية فيبيع لهم ما يجلبونه. تهذيب اللغة: ١٢/ ٢٩٢.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١/ ٤٠.

المطلب الرابع : شيوخه وتلاميذه

أولًا: شيوخه في اللغة:

١. الشيخ أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي المعروف بـ"الصفار" الشافعي (٣٣٤ – ٤١٦ هـ)، وقد أخذ عنه الواحدي رحمه الله تعالى اللغة حيث قال: "أما اللغة فقد درستُها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف السهيلي الشافعي العروضي رحمه الله تعالى، وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروي عنهم كأبي منصور الأزهري رحمه الله تعالى ، روى عنه كتاب "التهذيب" ، ثم قال: "وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين وكتب اللغة " (١).

٢. علي أبو الحسن بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله القهندزي الضرير، أبو الحسن. النحوي الاديب، قرأ عليه الأئمة وتخرجوا به، أخذ عنه الواحدي رحمه الله تعالى النحو حيث قال: "وأما النحو فإني لما كنت في ميعة صباي وشرخ شبيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير رحمه الله تعالى ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو و غوامضه وأعلمهم بمضايق طرق العربية وحقائقها (٢).

٣. أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي ، شيخ كبير كثير الحفظ قدم إلى نيسابور وأفاد واستفاد، قال عنه الواحدي فيما نقله عنه ياقوت الحموي في كتابه رحمهم الله تعالى: "ثم ورد علينا الشيخ الإمام أبو الحسن عمران بن موسى المغربي المالكي وكان واحد عصره وباقعة دهره في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعنا شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدة مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده" (٣)، وذكر انه تُوفيَّ قرب الخمسمائة رحمه الله تعالى (٤).

---

(١) معجم الأدباء:٤/ ١٦٦٢ ، وينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ١٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ١٦٦٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/ ٢٣٣.

ثانيًا: شيوخه في القراءات والتفسير: أخذ الواحدي رحمه الله تعالى عن كبار المشايخ منهم:

١. أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم المقرئ الزعفراني الحيري، الشيخ الحافظ العدل الثقة، كان عالمًا بالتفسير والقراءات، سمع بنيسابور والعراق والحجاز، (ت ٤٢٧هـ) رحمه الله تعالى [١].

٢. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، وقيل (الثعالبي) [٢] النيسابوري المفسر صاحب التفسير المشهور بـ"الكشف والبيان"،(ت ٤٢٧هـ) رحمه الله تعالى. [٣] أخذ عنه علم التفسير.

٣. الشيخ علي أحمد بن محمد البستي القاضي، كنيته أبو القاسم [٤]. رحمه الله تعالى قال الواحدي : "وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله، وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران" [٥].

٤. أبو الحسن علي بن محمد بن علي الفارسي رحمه الله الاستاذ المقرئ، كان إمامًا مقرئًا حاذقًا، أخذ القراءات عن أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران ،(ت ٤٣١هـ) [٦].

ثالثًا: ومن شيوخه في الفقه والحديث:

١. الشيخ الإمام أبو عمر سعيد بن هبة الله الموفق البسطامي. أخذ عنه الإمام الواحدي رحمهم الله تعالى علم الفقه (ت عصر يوم عرفة سنة ٥٠٢هـ) [٧].

٢. الامام أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش بن علي بن أيوب المعروف بالزيادي. إمام أصحاب الحديث بخراسان وفقيههم ومفتيهم (ت سنة ٤١٠هـ)، أخذ عنه الإمام الواحدي رحمه الله تعالى علم الحديث والفقه [٨].

---

(١) ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ٢٤٨.

(٢) ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ٩٤، و طبقات المفسرين للداوودي: ١/ ٦٦.

(٣) يُنظر: معجم الأدباء: ٢/ ٥٠٧.

(٤) ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار: ١٩٦.

(٥) معجم الأدباء: ٤/ ١٦٦٢.

(٦) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٦١/١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٧.

(٨) ينظر: سير أعلام النبلاء : ١٧/ ٢٧٦.

٣. الإمام محمد بن أحمد بن جعفر المولقاباذي أبو حسان المزكي، مسند نيسابور، وكان من الثقات، تلقى عنه الواحدي رحمهم الله تعالى علم الحديث(ت سنة ٤٣٢هـ) (١).

هؤلاء أشهر المشايخ الذين تلقى عنهم الواحدي رحمه الله تعالى علم النحو واللغة والقراءات و الفقه والحديث.

رابعًا : تلامذة الواحدي رحمه الله تعالى

اشتهر الواحدي رحمه الله تعالى بعلوم شتى وبرع فيها، حتى قيل عنه: إمام عصره، وأوحد عصره، وأستاذ عصره في اللغة والتفسير، النحوي الأديب، وبينتُ سابقًا كيف تلقى العلم بعلو همة وجهدٍ متواصل، فلا غرابة أن يقصده طلاب العلم وأئمته؛ لذلك توجهت همم طلبة العلم إليه، فتتلمذ على يده الكثير منهم، وممن تتلمذ على الواحدي رحمه الله تعالى:

١. من اكبر تلامذته عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، أبو محمد. كان إمامًا مفتيًا متواضعًا، سمع جماعة منهم أبو بكر البيهقي وغيره (ت سنة ٥٣٤ أو ٥٣٦هـ) ، وذكر أخذه عن الواحدي السمعاني رحمهم الله تعالى (٢).
٢. أبو نصر محمد بن عبد الله الأرغياني الراونيري الفقيه الشافعي، مفتي نيسابور، تفقه على أبي المعالي الجويني. (ت سنة٥٢٩هـ) رحمهم الله تعالى (٣).
٣. أبو العباس عمر بن عبد الله الأرغياني الراونيري، أخو أبي نـــصر السابق وكان أكبر منه بعشر سنين ونيف. كان شيخًا صالحًا. سمع من جماعة منهم الواحدي وهو من رواة "أسباب النزول" للواحدي ، قال السمعاني: سمع منه "أسباب النزول". (ت ٥٣٤هـ) رحمهم الله تعالى (٤).
٤. أبو بكر يحيى بن عبد الرحيم بن محمد المقرئ المقبري اللبيكي من أهل نيسابور ولد (٤٣٨) ، و (ت٥٢٢ هـ) ، سمع من أبي حفص بن مسرور والصابوني، والبيهقي وغيرهم رحمهم الله تعالى (٥).

---

(١) اختصرت كلامي على الشيوخ من: كتاب أسباب النزول دراسة وتحليل: ٢٦-٢٧، و الواحدي ومنهجه في التفسير للدكتور عمر إبراهيم رضوان: ٩-١٠، و أثر التحليل النحوي في توجيه المعنى التفسيري للدكتور ميثم كريم كاظم الشاهين : ١٦-١٧.

(٢) ينظر: الأنساب للسمعاني: ٥/ ٢١٥، والتحبير في المعجم الكبير: ١/ ٤٢٣، و طبقات الشافعية الكبرى: ٥/ ٢٤١، و ٧/ ١٤٤.

(٣) ينظر: الأنساب للسمعاني : ٦/ ٥٢ .

(٤) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى :٧/ ٢٤٧، و الأنساب للسمعاني: ٦/ ٥٣.

(٥) التحبير في المعجم الكبير: ٢/ ٣٧٧.

٥. أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري، أديب فاضل، عالم باللغة والأمثال، صنف كتاب "مجمع الأمثال" وغيره، (ت ٥١٨هـ) بنيسابور رحمه الله ، تخصص بصحبة أبي الحسن الواحدي رحمه الله تعالى وقرأ عليه (١).

٦. أبو الحسن علي بن سهل بن العباس المفسر النيسابوري، نشأ في طلب العلم. سمع من أبي عثمان الصابوني، وأبي القاسم القشيري (ت ٤٩١هـ) رحمه الله تعالى (٢) .

٧. يوسف بن علي بن جبارة الهذلي، أبو القاسم الضرير. الإمام المقرئ من وجوه القراء، قال ابن الجزري: يحتمل أنه عمي في آخر عمره. كثير الرحلة في طلب القراءات، قال: "وجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخاً من آخر المغرب إلى باب "فرغانة" يمينا وشمالا وجبلا وبحرا، ولو علمت أحدا تقدم عليَّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته..". ألف كتاب "الكامل" وذكر فيه شيوخه (ت ٤٦٥هـ)، عد ابن الجزري جميع شيوخه وذكر منهم الواحدي رحمهم الله تعالى (٣).

٨. محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي، أبو العباس الصاعدي النيسابوري، الشافعي رحمه الله تعالى. أحد العلماء الكبار، اجتمع فيه علو الإسناد ووفور العلم وحسن الخلق (٤).

٩. عبدالكريم بن علي بن أحمد بن محمد الخشنامي رحمه الله تعالى، أبو نصر الأديب. إمام سليم الجانب من المختلفة إلى الإمام الواحدي كتب تصانيفه وقرأ عليه. (ت ٤٩٢ هـ) (٥).

١٠. الحسين بن محمد بن محمود بن أبو سعيد سبط شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، فاضل عالم، سمع الكثير من مشايخ عصره وسمع من الواحدي التفسير وغيره ، (ت ٥٠٦ هـ) رحمه الله تعالى (٦).

١١. محمد بن أحمد الماهياني أبو الفضل المروزي، إمام فاضل زاهد ورع حسن السيرة جميل الأخلاق فقيه شافعي، مُبرِّزٌ عارف بالمذهب رحال أدرك الأئمة الكبار وتفقه عليهم وسمع الحديث من الواحدي وغيره (ت سنة ٥٢٥ هـ) من نحو ٩٠ سنة (٧).

١٢. عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي أبو الحسن، كان إماماً في الحديث والعربية، سمع من جده لأمه أبي القاسم القشيري، وتفقه على أبي المعالي

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ١٥٦ .

(٢) ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ١/ ٤٣١.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء: ٢ / ٣٩٧.

(٤) ينظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ٣٢٤، و سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٤١٧.

(٥) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور: ٣٦٦.

(٦) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور:٢١٧.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١/ ٧٤.

الجويني، ورحل في طلب العلم، ثم رجع إلى نيسابور وولي الخطابة بها، وأملى في مسجد عقيل، (ت ٥٢٩هـ) رحمه الله تعالى بنيسابور، وكانت ولادته سنه ٤٥١ هـ في شهر ربيع الآخر (١).

١٣. أبو إسماعيل بن أبي صالح، المؤذن الشافعي، كان إماماً في الأصول والفقه، وهو ممن تتلمذ على يد الإمام الواحدي (ت ٥٣٢هـ) (٢).

١٤. إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المروروذي، قرأ الوسيط على الإمام الواحدي ، ولد في ذي القعدة سنة ٤٥٣ هـ، وكان أحد الأئمة المسلمين، ومن كبار العلماء، قُتِل في فتنة خوارزم شاه سنة (٥٣٦ هـ) رحمه الله تعالى (٣).

١٥. أحمد بن طاهر بن سعيد الميهي الخراساني الصوفي، شيخ صالح، رحل كثيرًا في طلب العلم، (ت ٥٤٩ هـ) رحمه الله تعالى (٤).

أما آثاره العلمية فقد ترك الواحدي رحمه الله تعالى عدة مصنفات في العلوم التي أتقنها فصار إمامًا فيها منها المطبوع والمخطوط والمفقود حتى أصبحت مرجعًا لكثير من العلماء لاسيما في اللغة والتفسير، سأتطرق لها بشكل موجز منها:

١. في التفسير: له ثلاثة مصنفات في هذا العلم، هي: التفسير البسيط، ثم ألف التفسير الوسيط، ثم التفسير الوجيز.
٢. الوسيط في الأمثال .
٣. في أسباب النزول له مصنف يحمل عنوان (أسباب النزول) .
٤. في النحو كذلك له مصنف بعنوان (الإغراب في علم الإعراب) .
٥. في الادب (شرح ديوان المتنبي).
٦. التحبير في الاسماء الحسنى.
٧. الدعوات.
٨. المغازي.
٩. تفسير النبي ﷺ.
١٠. نفي التحريف عن القرآن الشريف. (٥)

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ٣/ ٢٢٥.
(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١/ ٧٥.
(٣) طبقات الشافعية الكبرى :٧/ ٣١.
(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء :١٥/ ٤١.
(٥) ينظر: معجم الأدباء:٤/ ١٦٦٠، و سير أعلام النبلاء:١٨/ ٣٤١.

المبحث الثاني:- التعريف بالتفسير البسيط ومنهج الواحدي رحمه الله تعالى فيه.

المطلب الأول :التعريف بالتفسير البسيط

المطلب الثاني: مصادر الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط

المطلب الثالث: منهج الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط

المطلب الأول :التعريف بالتفسير البسيط.

يعد البسيط من أوسع كتب الواحدي رحمه الله تعالى في التفسير ويدل على ذلك قوله: "وقديما كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير (وسيط) ينحط عن درجة (البسيط) الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة (الوجيز) الذي اقتصر على الإقلال" (١)، ويقع في ستة عشر جزءًا مخطوطًا، وخمسة وعشرين جزءًا مطبوعًا، تم تحقيقه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في خمس عشرة أطروحة دكتوراه، وصدرت الطبعة الأولى له سنة (١٤٣٠هـ) (٢).

وقد أكثر فيه الواحدي رحمه الله تعالى من الاشتقاق، والإعراب، والشواهد الشعرية، وبيان الأساليب اللغوية، والقراءات.

وأما الترجيح بين الأقوال فقد كان الظاهرة السائدة في تفسيره ويستند في الترجيح على اللغة، والقراءات، والأقوال التفسيرية للمفسرين السابقين له، وسياق الآيات، وفي بعض الأحيان يَذكر مسائل فقهية لكنه لا يسهب الحديث فيها؛ لأنها ليست محل دراسته.

المطلب الثاني: مصادر الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط (٣)

ذكرتُ سابقًا العلوم التي برز فيها الواحدي رحمه الله تعالى والمشايخ الذين تلقى عنهم علم النحو، والصرف والبلاغة، والشعر، والتفسير، والقراءات ، والفقه ، والحديث وغيرها. وتبعًا لذلك تنوعت مصادره في تفسيره البسيط، فأحيانا ينقل المعنى، وأخرى ينقل نصًا، وفي بعض الاحيان يعزو وأخرى لا يعزو، وأشار إلى مصادر مفقودة منها كتاب معاني القرآن للفراء، ونظم القرآن لأبي علي الجرجاني، ومعاني القرآن للكسائي، وأكثر من النقل عن كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج. وسأذكر تلك المصادر مرتبة حسب سنين الوفيات بشكل مختصر: فأما مصادره الرئيسة في التفسير، فهي:

١. تفسير ابن عباس (ت ٦٨هـ) حبر الإمة وترجمان القرآن.
٢. تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ).
٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ).

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ١/٥٠.
(٢) ينظر : التفسير البسيط: ١/ ٤.
(٣) ينظر : التفسير البسيط :١/ ١٤٠.

٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ).

ومن مصادره في القراءات :

الحجة للقراء السبعة للمؤلف الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبي علي (ت ٣٧٧هـ) ، وقد اعتمده الواحدي رحمه الله تعالى بشكل كبير جدًا.

ومصادره في معاني القرآن:

١. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ).
٢. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري ، (ت ٢٠٩هـ).
٣. معانى القرآن للأخفش أبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط(ت ٢١٥هـ).
٤. معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ) .

ومن مصادره في اللغة :

١. الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، المعروف بسيبويه (ت ١٨٠هـ).
٢. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي(ت ٣٧٠هـ).
٣. تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).
٤. غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ). وغيرها الكثير من المصادر لكني قصرت الحديث على المراجع الأساسية في تفسيره البسيط.

المطلب الثالث: منهج الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط

المنهج: هو الطريق الذي يسلكه المفسر في تفسيره وفق ضوابط وشروط معينة وضعها لنفسه والتزم بها في تفسيره تميزه عن غيره.

نهج الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره منهج المفسرين غيره من ذكر اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، وأقوال الصحابة، والتابعين، والنحاة، ألا أنَّ الذي غلب عليه هو المباحث اللغوية ؛ لذلك عده العلماء من التفاسير اللغوية. وفيما يأتي أهم ملامح منهجه :

١. تفسير القرآن بالقرآن: أجمع المفسرون على أن هذا اللون من التفسير أصح طرق التفسير؛ لأن المتكلم ﷻ أعلم بمراده من كلامه من غيره، وغالبًا ما يذكر الواحدي رحمه الله تعالى تفسير آية مستدلًا بآية أُخرى، وهذه الظاهرة واضحة جدًا في تفسيره.
٢. تفسير القرآن بالسنة: قلما يرجع الواحدي رحمه الله تعالى إلى التفسير بالسنة في البسيط الذي غلب عليه جانب الرأي والاجتهاد واللغة بخلاف الوسيط الذي غلب عليه التفسير بالمأثور وذكر الأسانيد.
٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين: اعتمد الواحدي رحمه الله تعالى كثيرًا على أقوال الصحابة والتابعين ﷺ ؛ أما الصحابة ؛ فلأنهم أعلم الناس بتفسير القرآن بعد الرسول ﷺ لما لهم من العلم التام والفهم الصحيح وسلامة العقيدة ومشاهدتهم ملابسات النزول وأحواله وتمكنهم من اللغة، ومصاحبتهم للرسول ﷺ.
وقد كثر اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على أقوال ابن عباس ﷺ فمن خلال دراستي لتفسير البسيط تبين لي اعتماده عليه بشكل كبير جدًا، حيث يصدر تفسير الكثير من لآيات بقول ابن عباس، ثم يعرج على أقوال غيره. وفي بعض الأحيان يذكر أقوالًا دون نسبة ولم أقف على مصادرها. كما اعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على أقوال التابعين في تفسيره، ونقل الكثير منها، لما لأقوالهم من منزلة كبيرة في التفسير؛ لتتلمذهم عن الصحابة وأخذهم علوم القرآن عنهم، ولعلو كعبهم في اللغة وغير ذلك من المزايا التي تميز بها التابعون.
٤. موقف الواحدي رحمه الله تعالى من الإسرائيليات: الملاحظ على الواحدي رحمه الله تعالى أنه لم يذكر الإسرائيليات في تفسيره البسيط إلا قليلًا.
٥. منهجه في القراءات: عُني الواحدي بالقراءات في تفسيره كثيرًا ، وغالبًا ما يفصل القول في القراءات المتواترة والشاذة، وهذا حال أغلب التفاسير اللغوية. ولم يقتصر الواحدي رحمه الله تعالى على ذكر القراءات بل كان يرجح بينها ويوجه المعنى التفسيري لكل قراءة يذكرها، وغالبًا ما يعتمد على الحجة لأبي علي الفارسي في القراءات ويؤيده في كثير من الأحيان.

٦. الربط بين الآيات: عُني الواحدي رحمه الله تعالى بدراسة وجوه الارتباط بين النصوص القرآنية في أدق تفاصيلها، فكان يُراعي في تفسيره مناسبة الآية لسابقتها ولاحقتها ومناسبة المفردة لعبارتها من حيث التركيب والإعراب والقراءات، فيعتمد على سياق الآيات في بيان المعاني وتوجيه الأقوال وترجيحها، وكذلك توجيه القراءات والترجيح بينها، وغير ذلك.

٧. الرد على الفرق: وظف الواحدي رحمه الله تعالى تفسيره في بعض المواطن للرد على بعض فرق المبتدعة، وغالبًا ما ردَّ على القدرية من خلال النصوص القرآنية، ولاسيما في مسألة الهدى والضلال وغيرها من المسائل العقائدية.

٨. الفقه والأصول: يذكر الواحدي رحمه الله تعالى المسائل الفقيه بصورة موجزة دون التفصيل القول في المذاهب الفقهية، وغالبًا ما يرجح مذهب الشافعية.

٩. اللغة: فصل الواحدي رحمه الله تعالى القول في اللغة وعلومها من الاشتقاق والنحو والبلاغة، وكان هذا الجانب هو الغالب على تفسيره، حتى أن القارئ له يظنُّه كتابًا لغويًا. وكان يذكر تصاريف الكلمة ووجوه إعرابها والأساليب البلاغية فيها، وكان متأثرًا بشيخه العروضي رحمه الله تعالى ، وأكثر من الشواهد الشعرية [(١)].

---

(١) اختصرت الكلام على منهج الواحدي في تفسيره من: الواحدي ومنهجه في تفسيره البسيط: ١٨–٤٣.

المبحث الثالث : السياق وأثره في التفسير

المطلب الأول: السياق لغة واصطلاحًا

المطلب الثاني: أقوال العلماء في أهمية السياق

المطلب الثالث: أثر السياق في التفسير

المطلب الأول: السياق لغة واصطلاحًا

أولاً: السياق لغة:

من خلال دارستي لمصادر اللغة تبين لي أن علماء اللغة إتفقوا على حمل السياق على المتابعة لكنهم تنوعوا في الأمثلة التطبيقية وأصل الكلمة؛ فمثلًا ذكر ابن فارس أن مادة (س و ق) يدور معناها حول حَدْو الشيء؛ يقال: ساقه يسوقه سوقًا، والسيقة: ما استيق من الدواب. ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق؛ إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها. ويقال: امرأة سوقاء، ورجل أسوق: إذا كان عظيم الساق. والمصدر السوق (١).

وقال الزبيدي: "أصل السياق سِواق؛ قُلبت الواو ياء لكسرة السين، والساق إذا أريدت بها الشدة فإنما هي مشبهة بالساق هذه التي تعلو القدم، وأنه إنما قيل ذلك؛ لأن الساق هي الحاملة للجملة والمنهضة لها، فذكرت هنا لذلك تشبيها وتشنيعًا" (٢).

ويقال: ساقَ الماشيةَ يسوقها سوقا وسياقا، فهو سائق وسَوَّاق (شدد للمبالغة) (٣).

وتحدث الزمخشري عن استعمال هذه المادة فقال: "ومن المجاز: ساق الله إليه خيرًا، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، وأردتَ هذه الدار بثمن فساقها الله إليك بلا ثمن، والمحتضر يسوق سياقاً، وفلان في ساقة العسكر: في آخره وهو جمع سائق كقادة في قائد. وهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده" (٤).

وتساوقت الماشية ونحوها: تتابعت وتزاحمت في السير، وتساوق الشيئان تسايرا أو تقارنا، وتساوق القوم تفاخروا وتباروا في السوق، ويقال: بنى القوم بيوتهم على ساق واحدة: على صف واحد (٥).

فالمعنى اللغوي للسياق هو المتابعة والاتساق، أي : تتابع الألفاظ الواردة في سياق واحد في المعنى فلا يصح تفسير لفظة بمعنى يُناقض تركيبها، ولا يمكن تحديد المراد من الالفاظ إذا كانت مفردة.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، مادة (سوق) : ٣/ ١١٧.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (سوق): ٢٥/ ٤٧١ و ٤٧٥.

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (سوق) م: ٤/١٤٩٩.

(٤) أساس البلاغة ، مادة (سوق): ١/٤٨٤.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط :١/ ٤٦٤.

ثانيًا: السياق اصطلاحًا:

لا يمكن تعريف السياق تعريفًا شاملًا، فقد ذكر العلماء أن السياق على نوعين، ولكل نوع تعريف يختلف عن الآخر، وفيما يأتي بيان ذلك:

النوع الأول: السياق الحالي (السياق الخارجي)، وهو الظروف والملابسات المحيطة بالكلام من نبرة الصوت وحِدَّة الكلام ونظرة المتكلم، ويتوقف على علم المخاطب والمتكلم بمعنى الكلام الذي يجري بينهما (١)، وهذا ليس محلَّ دراستي؛ لذلك ذكرتُه بصورة موجزة.

النوع الثاني: السياق المقالي أو اللغوي (السياق الداخلي)، والمقصود به السباق واللحاق دون مراعاة الحال الذي يجري فيه الكلام ، وله عدة تعريفات، وهي كلها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعنى اللغوي منها:

السياق: هو بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة. ودائمًا ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيقة الترابط بحيث يلقي ضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها (٢).

---

(١) ينظر: مفهوم السياق اصطلاحاً للكاتب عبد العزيز بن عبد الله المهيوبي تاريخ الاصدار: ١٤٣٨/٥/٩هـ المصدر معهد تعليم اللغة العربية.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

السياق القرآني: "هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه" (١).

السياق القرآني: "السياق هو الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولاً عليه بلفظ المتكلم أو حاله أو أحوال الكلام أو المتكلم فيه أو السامع" (٢).

"السياق القرآني : هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال" (٣).

السياق القرآني : بأنه "تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده"

وقال: "دلالة السياق في التفسير هي بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل يجب التسليم له" (٤).

السياق القرآني: " هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى" ، وذكر أن دلالة السياق "هي بيان المعنى من خلال تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة" (٥).

من خلال النظر في التعريفات الاصطلاحية السابقة نجد أن آراء العلماء والباحثين متفقة على معنى السياق من حيث الجوهر، وأن اختلاف التعريفات لا يعدو أن يكون اختلافًا لفظيًا كما يظهر لنا من خلال هذه التعريفات، كما أن معنى السياق في الاصطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة سوى أن السياق الاصطلاحي خاص بالكلام وبيان معناه.

---

(١) حاشية البناني على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: ١/ ٢٠، وينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير:٧١ : والسياق القرآني وأثره في التفسير:١٢٢.

(٢) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى ﵇ دراسة نظرية تطبيقية: ٢٧، وينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير:٦٦، والسياق القرآني وأثره في التفسير، إعداد الدكتور أحمد ماهر:١٢٤

(٣) نظرية السياق دراسة تأصيلية دلالية نقدية: ١٥، وينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير:٦٥ والسياق القرآني وأثره في التفسير:١٢٢.

(٤) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير : ٩٣، وينظر : السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير: ٦٤ ، و السياق القرآني وأثره في التفسير، إعداد الدكتور أحمد ماهر: ١٢٢.

(٥) السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير: ٧١، وينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير: ١٢٣.

فالسياق في القرآن الكريم: هو ما يسبق الآية أو العبارة المفسَّرة وما يلحقها. وتقوم فكرة السياق على أن الكلمات والجمل يؤثر بعضها على بعض في المعنى كما يؤثر بعضها على بعض في الصوت، فمثلًا عندما تتجاور كلمة (منْ) و(يقول) نلاحظ أن حرف النون الساكنة في (منْ) تدغم في حرف الياء من كلمة (يقول)، وهذا تأثر وتأثير صوتي بين الكلمتين المتجاورتين، وهكذا الكلمات والجمل المتجاورة يؤثر بعضها في بعض من حيث المعنى، فتُحمل الكلمة التي تحتمل أكثر من معنى على أحد معانيها المحتملة، ويُقصر العام على بعض أفراده وغير ذلك اعتمادًا على السياق الذي وردت فيه الكلمة أو الجملة.

السياق القرآني : هو الاغراض التي بُنيتْ عليها الآية وما انتظم بها من القرائن اللفظية(أي القرائن النصية وما احتواه النص من التعبير والتركيب) والقرائن الحالية (الاسباب والاحوال التي نزلت فيها الآية)

السياق القرآني : يكون متألفًا من ثلاثة عناصر أساسية :

الاغراض والمقاصد التي بُنيَّ عليها النص.

النظم والاسلوب القرآني المؤتلف من مجموع الكلام والتعبير فيه.

الاسباب والاحوال التي نزلت فيها الآية والمخاطبون [١].

من خلال النظر في التعريفات الاصطلاحية السابقة نجد أن آراء العلماء والباحثين متفقة على معنى السياق من حيث الجوهر، وأن اختلاف التعريفات لا يعدو أن يكون اختلافًا لفظيًا كما يظهر لنا من خلال هذه التعريفات، كما أن معنى السياق في الاصطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة سوى أن السياق الاصطلاحي خاص بالكلام وبيان معناه.

فالسياق في القرآن الكريم: هو ما يسبق الآية أو العبارة المفسَّرة وما يلحقها. وتقوم فكرة السياق على أن الكلمات والجمل يؤثر بعضها على بعض في المعنى كما يؤثر بعضها على بعض في الصوت، فمثلًا عندما تتجاور كلمة (منْ) و(يقول) نلاحظ أن حرف النون الساكنة في (منْ) تدغم في حرف الياء من كلمة (يقول)، وهذا تأثر وتأثير صوتي بين الكلمتين المتجاورتين، وهكذا الكلمات والجمل المتجاورة يؤثر بعضها في بعض من حيث المعنى، فتُحمل الكلمة التي تحتمل أكثر من معنى على أحد معانيها المحتملة ، ويُقصر العام على بعض أفراده وغير ذلك اعتمادًا على السياق الذي وردت فيه الكلمة أو الجملة.

---

[١] السياق القرآني اهميته ، أنواعه ، ضوابطه هارون الرشيد: ٢٧٥ .

المطلب الثاني: قواعد وضوابط الاستدلال بالسياق

السياق القرآني كسائر اصول التفسير له قواعد وضوابط ينبغي الرجوع اليها عند الاستدلال بالسياق لصيانة القرآن الكريم من الخطأ والزلل وقطع السبل أمام من رام تفسير كلام الله ﷻ بما يهواه وهذه الضوابط والقواعد تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول : ضوابط وقواعد السياق القرآني العامة :

اولًا : أن السياق القرآني أصل معتبر في تفسير كلام الله تعالى. (١)

وتمثل هذه القاعدة اساس قواعد الاستدلال بالسياق ؛ لكونه اصل من اصول التفسير وهنا ينبغي على المفسر مراعاة أمرين :

أ. أنه ثابت جار في كلام الله تعالى؛ إذ لا يخلو كلام من سياق يدل على مراد المتكلم. وهذا أمر متفق عليه.

ب. أنه من أعظم وأول ما يجب اعتباره في التفسير آما تقرر ذلك عند العلماء.

قال الزركشي " ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز" (٢)

وأيضًا قال السيوطي " وعليه (أي المفسر) بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام وأن يؤاخي بين المفردات ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب" (٣)

ثانيًا : أن السياق يرشد إلى المسلك الصحيح الذي يوصل إلى فهم مراد الله تعالى في كلامه.

وهذه القاعدة من أهم القواعد المتعلقة بالسياق، وهي تبين منزلة السياق في الوصول للمعنى الصحيح الذي هو مراد الله تعالى في كلامه، وذلك لأن السياق هو الذي يجعل الكلام متناسقاً منتظماً، وهذا هو المتوافق مع كتاب الله المحكم المعجز الذي انتظمت سوره وآياته وجمله. وتفسير كلام الله على وجه يراعي انتظامه أعظم مسلك في تفسيره، وأدعى

---

(١)مفهوم السياق القرآني ومكوناته ملتقى أهل التفسير ٢، و قواعد وضوابط في السياق محمد الربيعة، و السياق القرآني أهميته ، أنواعه : ٢٧٧.

(٢)البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣١٧ ، و الإتقان في علوم القرآن: ٤/ ٢٢٩.

(٣)الإتقان في علوم القرآن :٤/ ٢٢٧.

إلى الوصول لمراد الله فيه، وبضد ذلك فإن الإعراض عن السياق يجعل الكلام متنافراً منقطعة أجزاؤه مما يجعل كلام الله متنافراً، وهو الذي يوقع في الخطأ في التفسي،.و يبين منزلة السياق في الوصول للمعنى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى " السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته" (١)

ثالثًا :أن تعيين السياق مبني على الاجتهاد والعلم بأصوله وقواعده.

تعيين السياق يختلف بحسب فهم المفسر له وقدرته علي الوصول إليه بقرائن السياق المعتبرة وأرآانه ، فالبحث عن السياق هو بحث عن قرينة ، والقرينة موجودة علمها من علمها وجهلها من جهلها ، ولذا نجد الاختلاف بين المفسرين علي تعيين السياق في الآية الواحدة ، وتستند هذه القاعدة على دليل ظاهر.

قال ابن دقيق العيد: " ودلالة السياق لا يقام عليها دليل، وذلك لو فهم المقصود من الكلام، وطولب بالدليل عليه لعسر. فالناظر يرجع إلى ذوقه، والمناظر يرجع إلى دينه وإنصافه" (٢)

رابعًا: لا يجوز صرف الكلام عن سياقه إلا بحجة يجب التسليم لها.

صرف الكلام عن سياقه الذي ورد لأجله لا يجوز ، لكونه مخالفا لمراد المتكلم ، إلا أن يرد دليل صحيح يدل علي صرف الكلام عما دل عليه السياق .

قال الطبري رحمه الله تعالى " فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة" (٣)

وكذلك قال الحربي " إدخال الكلام في معاني ماقبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له" (٤)

خامسًا : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

هذه القاعدة الأصولية تعتبر قاعدة في السياق من جهة أنه لا عبرة بخصوص السياق الذي نزلت فيه الآية ، وإنما العبرة بسياقها العام وهو ما دل عليه غرضها وحكمها العام ، ولهذا جاءت ألفاظ القرآن عامة، واقر هذه القاعدةة الكثير من العلماء منهم :

---

(١)بدائع الفوائد : ٤/ ٩.

(٢)إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ١/ ٣٧٨.

(٣)جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧/ ٦٧٥.

(٤)قواعد الترجيح عند المفسرين حسين بن علي الحربي :١٢٥.

السرخسي رحمه الله تعالى "وقال بعضهم النص يكون مختصا بالسبب الذي كان السياق له فلا يثبت به ما هو موجب الظاهر وليس كذلك عندنا فإن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب عندنا على ما نبينه فيكون النص ظاهرا لصيغة الخطاب نصا باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها" (١)

والسيوطي رحمه الله تعالى" صورة السبب قطعية الدخول في العام وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياق" (٢)

السعدي رحمه الله تعالى " وتدبر هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتندرج فيه الصورة التي سيق الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين" (٣)

القسم الثاني: القواعد المتعلقة بترجيح السياق.

أولاً: أن القول المعتبر في التفسير هو الموافق للسياق.

تقرر أن السياق القرآني أصل معتبر في كلام الله تعالى، وأنه هو الدال على المعنى الصحيح، وعليه فإن القول الذي يتوافق مع السياق هو القول المعتبر والراجح. وهذه القاعدة من أهم قواعد الترجيح في التفسير .وقد اعتبر السلف والعلماء هذه القاعدة في تفسيرهم، منهم :

الشنقيطي رحمه الله تعالى :" أن من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك: أن يقول بعض العلماء في الآية قولا وتكون في الآية قرينة تدل على خلافه" (٤)

الحربي بقوله : " القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه" (٥)

ثانيًا: يجب حمل كلام الله على المعاني والأوجه اللائقة بالسياق والموافقة لأسلوب القرآن ، ولأدلة الشرع (٦)

هذا الضابط يعني أنه يجب حمل كلام الله تعالى على المعاني والأوجه اللغوية والإعرابية والبلاغية اللائقة بسياق الآية والموافقة لأسلوب القرآن دون الأوجه القاصرة عنه ، وليس

---

(١)أصول السرخسي:١/ ١٦٤.

(٢)الإتقان في علوم القرآن :١/ ١١٣.

(٣)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٧٣٦.

(٤)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن :٣/ ٢٢٥.

(٥)قواعد الترجيح عند المفسرين حسين بن علي الحربي : ٢٩٩.

(٦)قواعد الترجيح عند المفسرين حسين بن علي الحربي : ٦٣٥ .

كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التنزيل عليه ؛ إذ القرآن هو أعظم الكلام ، فلا بد من حمله على أكمل الوجوه وأعظمها ، ولا يجوز حمله علي المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي والإعرابي ، ومن اقوال العلماء في هذه القاعدة :

قال ابوجعفر النحاس رحمه الله تعالى " والواجب أن يحمل تفسير كتاب الله جل وعز على الظاهر والمعروف من المعاني إلا أن يقع دليل على غير ذلك" (١)

ثالثًا: كل تفسير خارج عن دلالات الألفاظ والسياق باطل مردود.

هذه القاعدة نتيجة للقاعدة التي قبلها، فإذا ورد تفسير خرج بمعاني كتاب الله تعالى عما تدل عليه ألفاظه وسياقه ولم يدلّ اللفظ على هذا المعنى بأي نوع من الدلالة: مطابقة، أو تضمناً أو التزاماً، أو مفهوماً، أو موافقاً، أو مفهوماً مخالفاً، فهو مردود ، وهذه القاعدة متقررة عن سلف الأمة وعلمائها.

رابعًا: حمل كلام الله على الغالب من عرفه ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك (٢)

وعرف القرآن ومعهود استعماله مما يتضمنه السياق من جهة أن القرآن وارد على أسلوب منتظم مؤتلف، ومن جهة أن ذلك داخل في السياق القرآني، فالأولى أن يرجح القول الذي يوافق عادة القرآن ومعهود استعماله وسياقه العام، إلا أن يدل دليل من سياق الآية أو دليل آخر على معنى آخر مستقل

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى " أن من أنواع البيان التي تضمنها الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل استقرائي على عدم خروجه من معنى الآية" (٣)

خامسًا: توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها (٤)

إذا جاءت ضمائر متعددة في سياق واحد، واحتملت في مرجعها أقوالاً متعددة، فتوحيد مرجعها وإعادتها إلى شيء واحد أولى وأحسن؛ لأنسجام النظم، واتساق السياق

واعتمدها الكثير من المفسرين منهم :

ابن عطية في تضعيفه لأحد الاقوال " وهذا غير قوي لأنه يفرق الضمائر ويشعب المعنى" (٥)

---

(١)إعراب القرآن للنحاس: ٥/ ٨٣ .

(٢)قواعد الترجيح عند المفسرين حسين بن علي الحربي : ١٧٢.

(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٣/ ٤٧٨.

(٤)قواعد الترجيح عند المفسرين حسين بن علي الحربي : ٦١٣.

(٥)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٨.

والزركشي ايضًا بقوله " إذا اجتمع ضمائر فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف" (١)

والسيوطي رحمه الله تعالى " الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتيت" (٢)

سادسًا: القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار، إلا أن يدل السياق على الحذف (٣)

وقال بها الكثير من المفسرين منهم :

أبو حيان: " متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار، كان أولى أن يسلك به الإضمار والافتقار، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن، لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها من التكلف، وأسوغها في لسان العرب" (٤). ولا يقال بالحذف في كلام الله تعالى إلا بدليل من السياق يدل عليه.

وابن جُزي رحمه الله تعالى " تقديم الاستقلال على الإضمار إلّا أن يدل دليل على الإضمار" (٥)

وكذلك الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى "إنك تجد في كثير من تراكيب القرآن حذفا ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق، زيادة على جمعه المعاني الكثيرة في الكلام القليل" (٦)

سابعًا: جميع حذوف القرآن لا تقدر إلا على أكمل الوجوه اللائقة بالسياق.

إذا دل السياق على حذف في الآية، فإنه لا يقدر إلا أفصح التقديرات وأنسبها للسياق والغرض، أو مادل عليه سياق آية أخرى.

قال القاسمي رحمه الله تعالى " وأولى الأقوال: ما دل عليه الكتاب في موضع آخر، أو السنة، أو إجماع الأمة، أو سياق الكلام، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق- كان الحمل عليه أولى. وقد يقدر بعض النحاة ما يقتضيه علم النحو. لكن يمنع منه أدلة شرعية، فيترك ذلك التقدير، ويقدر تقدير آخر يليق بالشرع. وقد يعبر النحاة والمفسرون وغيرهم بالعام ويريدون به الخاص فيجهله كثير من الناس. وعلى الجملة: فالقاعدة في ذلك أن يحمل القرآن على أصح المعاني وأفصح الأقوال، فلا يحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك. وكذلك لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدها موافقة وملائمة للسياق. وإذا كان للاسم الواحد معان ك

---

(١) (١)البرهان في علوم القرآن : ٤/ ٣٥ .

(٢)الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ٣٣٨ .

(٣)قواعد الترجيح عند المفسرين حسين بن علي الحربي : ٤٢١.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ١/ ٦١.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل :١/ ١٩.

(٦) التحرير والتنوير: ١/ ١٢٢.

العزيز بمعنى القاهر، وبمعنى الممتنع، وبمعنى الذي لا نظير له، حمل في كل موضع على ما يقتضيه ذلك السياق كيلا ينبتر الكلام وينخرم النظام" (١)

ثامنًا: حمل اللفظ على معنى جديد أولى من حمله على التأكيد، إلا أن يدل السياق على التأكيد (٢)

تأسيس معنى جديد أولى من تكرار معنى سابق وقال بها العلماء منهم:

ابن العربي رحمه الله تعالى " وإذا أمكن حمل اللفظ على فائدة مجددة لم يحمل على التكرار في كلام الناس، فكيف كلام العليم الحكيم؟" (٣)

والشوكاني رحمه الله تعالى" والأول أولى لأن التأسيس خير من التأكيد" (٤)

وغيرهم الكثير

---

(١) محاسن التأويل: ١/ ١٦٣.

(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٧٣.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٢٣٢.

(٤) فتح القدير: ٢/ ٥٥.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في أهمية السياق

تزخر كتب العلماء بالكلام على السياق وأهميته عند المتقدمين والمتأخرين، وذلك متأتٍ من أهميته الكبيرة وأثره العميق في كافة العلوم المتعلقة بالتفسير، وفيما يأتي ذكر لأقوال بعض العلماء التي تبين أهمية السياق في بيان معنى الكلام وفهمه:

١. قال مسلم بن يسار رحمه الله تعالى: "إذا حدثتَ عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده" (١).

٢. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ".. .فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتساع لسانها وأنَّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا ، يُراد به العام الظاهر، ويُستغنى بأول هذا منه عن آخره ، وعاما ظاهرا يُراد به العام ويدخله الخاص فيستدلُّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يُراد به الخاص ، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يُراد به غير ظاهره ، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره" (٢).

٣. وقال ابن قتيبة الدينوري رحمه الله تعالى عن كتابه غريب القرآن: "وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة وأشبهها بقصة الآية" (٣). ويعني بقصة الآية: السياق الذي وردت فيه.

٤. وقال الطبري رحمه الله تعالى: "توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه" (٤).

٥. قال إبن الأنباري : أَنَّ كلامَ العرب يصحِّح بعضُه بعضًا، ويَرتبِط أَوَّلُه بآخره، ولا يُعْرَفُ معنى الخطابِ منه إلاَّ باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوعُ اللَّفظَةِ على المعنييْن المتضادَّيْن، لأَنَّها يتقدَّمُها ويأْتي بعدَها ما يدلُّ على خصوصيَّةِ أَحد المعنييْن دون الآخر، ولا يُراد بِها في حالِ التكلُّم والإِخبار إلاَّ معنًى واحد (٥)

٦. وقال الكفوي رحمه الله تعالى: " وأما السياق والقرائن الدالة على مراد المتكلم فهي المرشد لبيان المجملات وتعيين المحتملات " (٦).

---

(١) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن : ٣٧٧.

(٢) الرسالة للشافعي: ٥٠.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة:١٠.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ١١٧.

(٥) الأضداد: ٢.

(٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ٦٠١.

٧. وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: " فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج. وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين؛ لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية. فإن هؤلاء أكثر غلطا من المفسرين المشهورين؛ فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون. وأعظم غلطا من هؤلاء وهؤلاء من لا يكون قصده معرفة مراد الله؛ ، وما قبل الآية سباقها، وما بعدها لحاقها" (١).

٨. وذكر السيوطي رحمه الله تعالى أن من شروط المفسر" مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب" (٢).

٩. وقال محمد رشيد رضا رحمه الله: "وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته" (٣).

١٠. وبيَّن ابن جزي رحمه الله تعالى أن من قواعد الترجيح "أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده" .

١١. وذكر محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى "أن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جزء وجزء منه – وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومقاطعها- إلا بعد أن يحكم النظر في ال كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة" (٤).

وهنا نلاحظ أن بعض المفسرين كثيراً ما يستعمل السياق بعبارات مرادفة يطلقونها في معنى السياق، ومنها: نظم الآية، نسق الآية، روح الآية، ظاهر الآية، ملاءمة الكلام،

---

(١) مجموع الفتاوى ،: ١٥ / ٩٤ ، وينظر :السياق وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية في تفسير ابن كثير:٨٩ –٩٥، والسياق القرآني و أثره في التفسير:١٣٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٢٢٧/٤.

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): ٢٠/١.

(٤) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم : ١٩٢/١.

مقتضى الكلام، فحوى الكلام، الإطار العام، الجو العام، المعنى العام، القرينة، المقام، ونحوها، وهذه المصطلحات كلها معتمدة على النص الذي هو مناط السياق [1]

[1]ينظر: مفهوم السياق القرآني ومكوناته ملتقى أهل التفسير

المطلب الثالث: أثر السياق في التفسير

لدلالة السياق آثار كبيرة في التفسير وتمثل أساس التفسير والركيزة الأساسية التي يعتمد عليها في بيان المراد من الالفاظ ومن هذه الآثار:

١. بيان المجمل: المجمل هو ما له دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه (١).
٢. الترجيح بين الأقوال المحتملة في التفسير: كثيرًا ما يقع خلاف بين المفسرين في تفسير لفظة أو آية، وتكون جميع الأقوال محتملة ويمكن حمل اللفظ عليها، فنعود إلى السياق لترجيح قول على غيره.
٣. تخصيص العموم: لا يجوز تخصيص العموم إلا بحجة يجب التسليم لها، والسياق من الأدلة التي تخصص العموم ببعض أفراده التي يحتملها، قال الزركشي رحمه الله تعالى: "دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته" (٢).
٤. بيان المعنى.
٥. بيان المراد من المشترك اللفظي .
٦. توجيه القراءات القرآنية.
٧. ترجيح القراءات القرآنية.
٨. بيان الأحكام الفقهية.
٩. بيان الأساليب اللغوية.
١٠. تحديد مرجع الضمير.
١١. بيان وجوه المناسبة (٣).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٣ /٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٢/٢٠٠.

(٣) تناولت الأمثلة التطبيقية في الفصول القادمة، فرسالتي هذه هي محاولة عملية لبيان أهمية السياق في التفسير ودوره في فهم القرآن وأثره في التعامل الآيات القرآنية.

الفصل الأول

اعتماد الواحدي رحمه اللّه تعالى على السياق في بيان المعنى

المبحث الأول: الاعتماد على السياق في شرح الألفاظ والتراكيب وبيان معناها

المبحث الثاني : اختيار أحد المعاني التي يحتملها اللفظ

المبحث الأول: الاعتماد على السياق في شرح الألفاظ والتراكيب وبيان معناها

وظف الواحدي رحمه الله تعالى السياق في بيان معاني الألفاظ والتراكيب القرآنية، فقد يكون للفظة أكثر من معنى في اللغة، فيذكر الواحدي رحمه الله تعالى ما يلائم سياق الآية المفسَّرة من هذه المعاني، ويشير إلى باقي المعاني إشارة مجملة. وفيما يأتي بيان منهج الواحدي رحمه الله تعالى في الاعتماد على السياق في بيان معاني القرآن:

أولًا: قد يقصر الواحدي رحمه الله تعالى اللفظ العام على بعض أفراده لدلالة السياق، كما في النماذج الأتية:

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [البقرة جزء من الآية :٢٦]؛ ﴿ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ الفسق لغة فسق: الفسق: الترك لأمر الله، وفسق يفسق فسقا وفسوقا. وكذلك الميل إلى المعصية [١]

وكذلك بين الواحدي رحمه الله تعالى معنى الفسوق بقوله أن أصل الفسوق في اللغة الخروج والجور والميل عن الطاعة، وفي الشرع هو الخروج عن طاعة الله ﷻ والترك لأمره، ثم نقل عن بعض العلماء أن الفسوق قد يكون كفرًا وقد يكون معصية لا يخرج صاحبه من الإسلام [٢]، ثم قال: "والذي أُرِيدَ به هاهنا الكفر؛ لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ ﴾ (والذين) من صفة الفاسقين..." [٣]، وفي هذا النص يظهر بوضوح أن الواحدي رحمه الله تعالى فسَّر الفسوق بالكفر؛ لأن هذا المعنى هو الذي يتماشى مع سياق الآيات التي وردت فيها لفظة الفسوق. علماً أن الفسوق هو الخروج عن طاعة الله ﷻ ، وقد يكون الخروج كلياً وذلك هو الكفر الأكبر، وقد يكون الخرج جزئيًا يتمثل في مخالفة بعض أوامر الله ﷻ ونواهيه مع وجود الإيمان في القلب، وهذا هو الفسوق الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الملة. فلفظ الفاسق يشمل كل خروج عن طاعة الله ﷻ، ولكن الواحدي رحمه الله تعالى بين أن المراد بالفسوق هنا الكفر، فقصر اللفظ العام على بعض أفراده اعتمادًا على السياق الذي وُصف الفاسقون فيه بـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧] وهذا الوصف لا يمكن أن يكون وصفًا إلا للكفار.

---

[١] العين : ٥/ ٨٢، و تهذيب اللغة :٨/ ٣١٥.

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان:١/٢٠٧.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢/ ٢٨٢-٢٨٣ ، وينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن :١/٧٧ ، و تفسير القرآن العظيم :١/ ٢١٠.

وكذلك الطبري رحمه الله تعالى بين معنى الفسوق بقوله : "وأصل الفسق في كلام العرب: الخروج عن الشيء، يقال منه: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها؛ ومن ذلك سميت الفأرة فويسقة، لخروجها عن جحرها، فكذلك المنافق والكافر سُمِّيا فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما، ولذلك قال جل ذكره في صفة إبليس: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف جزء من الآية : ٥٠] يعني به: خرج عن طاعته، واتباع أمره " (١) ، ووافقهم ابن الجوزي رحمه الله تعالى بقوله: "فالفاسق: الخارج عن طاعة الله إلى معصيته. وفي المراد بالفاسقين ها هنا، ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومقاتل (٢) ، والثاني: المنافقون، قاله أبو العالية والسّدّيّ (٣). والثالث: جميع الكفار " (٤) ، وقال الرازي رحمه الله تعالى: "وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وهذا صفة اليهود؛ لأن الخطاب بالوفاء بالعهد فيما بعد إنما هو لبني إسرائيل وأما الكفار والمنافقون فقد ذكروا في سورة المدثر ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر جزء من الآية: ٣١] الآية فأما الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والذين كفروا يحتمل المشركين؛ لأن السورة مكية فقد جمع الفريقان هاهنا. إذا ثبت هذا فنقول: احتمال الكل هاهنا قائم؛ لأن الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله ﷺ وقد مضى من أول السورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود وذكر المنافقين وذكر المشركين. وكلهم من الذين كفروا ثم قال القفال: وقد يجوز أن ينزل ذلك ابتداء من غير سبب؛ لأن معناه في نفسه مفيد" (٥) ، نلاحظ الإمام الرازي رحمه الله تعالى اختار المعنى الذي يوافق السياق.

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ ﴾ [البقرة :٨١]، فالخطيئة من قولنا قد خَطِئْتُ إذا أَثِمْتُ فأَنَا أَخْطَأُ خِطْئًا وَأَنا خاطِئٌ. قَالَ الله جلّ وعزّ: ﴿ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١ ﴾ [الإسراء جزء من الآية: ٣١] وقال الليث: الخطيئة: "فعيلة" وجمعها كان ينبغي أن يكون "خطائىء" و الخطيئة: المأثم.. (٦)

وذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن أهل التفسير أجمعوا على أن السيئة هاهُنا الشرك وأنّ الآية وردت في اليهود، وقيل: إنها عامة في جميع الكفار (٧). ثم ذكر أن المفسرين اختلفوا في معنى

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١/ ٤٣٤ .

(٢) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٩٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ١/٧٠.

(٤) زاد المسير في علم التفسير:١/ ٤٨ ، وينظر : تفسير القرآن العظيم :١/ ٢٠٩.

(٥) مفاتيح الغيب: ٢/ ٣٦١.

(٦) تهذيب اللغة : ٧ / ٢٠٧ .

(٧) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٣/ ٩٧-٩٨.

الخطيئة الواردة في الآية، فقيل: هي الشرك يموت عليه الإنسان، وقيل: هي الذنوب الكبيرة الموجبة لأهلها النَّار. ورجح الواحدي أن المراد هو الشرك؛ لأن سياق الآية يوجب حملها على هذا المعنى، إذ إن الله ﷻ ختم الآية بأن أصحاب هذه الخطيئة خالدون في النَّار "والمؤمن وإن عمل الكبائر فلم يوجد منه الشرك، وأيضاً فإن الخطيئة لا تحيط بالمؤمن؛ لأنه يعصي مستحياً راجياً عفو الله معتمداً للتوبة فلا تحيط به الخطيئة، وإنما تحيط بالكافر" (١).

من هذا النص يظهر أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد على الجمل المحيطة باللفظة لبيان معناها وتحديد المراد منها، فلابد من النظر في الجمل المتقدمة على اللفظة والمتأخرة عنها لتفسيرها تفسيرًا صحيحًا، كي لا يقع المفسر في تفسير يناقض سياق الآيات ويؤدي تفسيره أيضًا إلى عدم اتساق الجمل والعبارات في الآية الواحدة أو في المقطع الواحد داخل السورة . وكذلك الطبري رحمه الله تعالى فسرها بالشرك يموت عليه الانسان دون توبة. (٢) قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى : "أي يخلد فيها من كسب سيئة، يعني الشرك وأحاطت به خطيئته، أي مات على الشرك" (٣)، وقال ابن عطية رحمه الله تعالى "والخطيئة الكفر، ولفظة الإحاطة تقوي هذا القول وهي مأخوذة من الحائط المحدق بالشيء" (٤).

النموذج الثالث : ومن ذلك ما ذكره الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل :١٦] إذ بين أن العلامات جمع علامة، وهي صورة يُعْلَم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة، وأصلها مشتق من العلم، واختلفوا في المراد بها في هذه الآية: فقال الكلبي والقرظي (٥): يعني الجبال، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل، وعلى هذا تَمَّ الكلام هاهنا وبقية الآية ابتداء مع خبره، وهذا قول الأخفش (٦). والثاني وقال ابن عباس (٧) في رواية عطاء: يريد نجوم السماء (٨)، ورجح الواحدي رحمه الله تعالى قول الكلبي والقرظي مستدلاً بالسابق واللاحق فقال: "والوجه هو الأول؛ لأنها معطوفة على ما خُلق في الأرض، والنجوم

---

(١) المصدر نفسه:٣/ ١٠٢.
(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢ / ١٨٢.
(٣) بحر العلوم:١/ ٦٨.
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٧١.
(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن :٦/ ١٢.
(٦) ينظر: قوله في مفاتيح الغيب : ٢٠/ ١٩١.
(٧) الدر المنثور: ٥/ ١١٨.
(٨) ينظر: التفسير البسيط: ١٣/ ٣٥-٣٦.

لم تُخلق في الأرض، ولأنه لو كان المراد بالعلامات النجوم لقال: وبها يهتدون، فلما قال:﴿ وَبِالنَّجْمِ ﴾ دَلَّ أن المراد بالعلامات غيرُ النجم" [١].

فالعلامات عامة تشمل كل ما يُستدل به، كما بين الواحدي رحمه الله تعالى في أول كلامه، لكنَّ عَطْفَ العلامات على ما خُلق في الأرض دليل على أن هذه العلامات مما خُلق في الأرض، وهذا استدلال من الواحدي بالسابق، وقول الله تعالى : ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ دليل على أن هذه العلامات هي غير النجوم، لأنه لو أريد بالعلامات النجوم لقيل: وبها هم يهتدون، وهذا استدلال من الواحدي باللاحق. فقصر رحمه الله تعالى العلامات على بعض أفرادها اعتمادًا على السياق.

أما الطبري رحمه الله تعالى فجعلها عامة تشمل كل علامة يُهتدى بها فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عدد على عباده من نعمه، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسيرونها، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكل علامة استدل بها الناس على طرقهم وفجاج سبلهم فداخل في قوله: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ﴾ [النحل جزء من الآية : ١٦] والطرق المسبولة: الموطوءة، علامة للناحية المقصودة، والجبال علامات يهتدي بهن إلى قصد السبيل، وكذلك النجوم بالليل غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار، إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله: ﴿ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل جزء من الآية : ١٦] وإذا كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه، وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهارا، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلا هو الجدي والفرقدان، لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم، فتأويل الكلام إذن: وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم في أسفاركم، ونجوما تهتدون بها ليلا في سبلكم" [٢] وحمل العلامات على العموم أولى في تمام النعمة، وكذلك الاهتداء لا يقتصر على وقت دون غيره لذلك تعني كل علامة يستدل بها ليلاً أو نهارًا [٣]. والله تعالى أعلم.

ثانيًا: قد يكون للفظة الواردة في الآية المفسَّرة أكثر من معنى، وسياق الآية يحتمل جميع هذه المعاني، ولا يوجد تناقض بين هذه المعاني، فإن الواحدي يذكر جميع هذه المعاني ولا يرجح بينها، وكأنه يرى حمل اللفظة على جميع هذه المعاني ومن النماذج على ذلك.

---

(١) المصدر نفسه: ١٣/ ٣٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤/ ١٩٤.

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٠/ ١٩١.

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة :٤٩]

قال الأصمعيّ رحمه الله تعالى: "بَلاه يَبْلُوه بَلْواً: إذا جَرَّبه" (١). وبَلاه يَبْلوه بَلْواً، إذا ابْتَلاه الله بِبَلاء وَالاسم البلاء، وهو الامتحان. وَيقال: أَبْلاه اللَّهُ يُبْلِيه إبْلاءً حَسَنًا: إِذَا صَنَعَ بِهِ صُنْعاً جَمِيلًا. وبَلاه الله بَلاء وابْتَلاه أَي اختَبره (٢).

وذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن البلاء من البلو، وهو الاختبار والتجربة، وَبَلَاه يَبْلُوهُ بَلْواً إذا ابتلاه الله ببلاء. ونقل عن بعض العلماء أن البلاء قد يكون حسناً وقد يكون سيئاً، وأصله المحنة ومنه قوله تعالى (٣): ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [الاعراف :١٦٨] ثم قال الواحدي رحمه الله تعالى: "والذي في هذه الآية يحتمل الوجهين؛ فإن حملته على الشدة كان معناه: في استحياء البنات للخدمة وذبح البنين بلاء ومحنة...

وإن حملته على النعمة كان المعنى: وفي تنجيتكم من هذه المحن نعمة عظيمة" (٤)، وهذا ما ذكره الزمخشري رحمه الله تعالى أيضًا في تفسير الآية، إذ بين أن البلاء يكون في النعماء والنقماء والبلاء المحنة إن أشير بذلكم إلى صنيع فرعون، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء. (٥)

هنا نرى الواحدي رحمه الله تعالى ذكر الاحتمالين في البلاء ولم يرجح أحدهما؛ لأن السياق يحتملهما معًا، فلا مانع من حمل البلاء عليهما طالما كان السياق يحتملهما وهذا مذهب الجمهور (٦). قال القرطبي "وقال الجمهور: الإشارة إلى الذبح ونحوه، والبلاء هنا في الشر والمعنى: وفي الذبح مكروه وامتحان" (٧).

ثالثًا: قد يكون للفظة الواردة في الآية المفسَّرة أكثر من معنى، فيحملها الواحدي على أحد هذه المعاني اعتمادًا على السياق.

---

(١) تهذيب اللغة :١٥/ ٢٨٠.

(٢) لسان العرب:١٤/ ٨٤.

(٣) ينظر: التفسير البسيط: ٢/ ٥٠٥ – ٥٠٦.

(٤) التفسير البسيط: ٢/ ٥٠٦–٥٠٧، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٠٠/١٣ ، و بحر العلوم : ١/ ٥١ ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٩٢/١ ، و معالم التنزيل في تفسير القرآن :١/ ٩١، وزاد المسير في علم التفسير: ١/ ٦٣، و مفاتيح الغيب : ٣/ ٥٠٧ ، و تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٥٩، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل:١/ ٧٩ و تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) : ١/ ٨٨، و لباب التأويل في معاني التنزيل :١/ ٤٤.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:١/ ١٣٨.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٧/١.

(٧) الجامع لأحكام القرآن :٣٨٧/١.

النموذج الأول : قولهتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ٥٥]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في بيان معنى ﴿نَرَى ٱللَّهَ﴾قول ابن عباس ﷺ في معنى "نرى الله": "حتى نراه علانية" [١] وقول قتادة ﷺ: "عياناً" [٢]، ثم قال: "وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم وكرؤية القلب، فإذا قيل: رآه جهرة لم يكن إلا على رؤية العين على التحقيق دون التخييل..." [٣].

في هذا النص نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى لم يكتفِ بنقل قولي ابن عباس وقتادة ﷺ، بل ذكر سنده من السياق الذي جعل لفظة الرؤية في الآية لا تحتمل إلا معنى واحدًا، وهو الرؤية بالعين؛ لأن هذا المعنى يناسب المعنى اللغوي للجهر وهو الكشف والظهور، يقال: جهر بكلامه أي رفع صوته كما وضحه الطبري رحمه الله تعالى بقوله: "نرى الله جهرة عيانا، برفع الساتر بيننا وبينه، وكشف الغطاء دوننا ودونه حتى ننظر إليه بأبصارنا" [٤]، وأبو حيان رحمه الله تعالى بقوله : "والرُّؤية هنا: هي البصريَة، وهي الّتي لا حجاب دونها ولا ساتر" [٥]. وبهذا يتضح موافقة الواحدي رحمه الله تعالى للجمهور في معنى الرؤية والاستدلال بالسياق.

رابعًا: كثيرًا ما يستدل الواحدي رحمه الله تعالى بالآية التي بعد الآية المفسَّرة لبيان معاني ألفاظها وتراكيبها.

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن هذه الآية خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين لعدم تعليق نفوسهم بما لا يرجى من اليهود؛ لأنهم غيروا أحكام التوراة وأحكام الرجم وصفة محمد ﷺ ، كأنه آيَسَهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة، وقوله تعالى : ﴿أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ يعني به: جماعة اليهود؛ لا تطمعوا أن يصدقكم اليهود وكانت فرقة منهم يحرفون كلام الله الذي أنزل على موسى ﷺ ؛ لأنّه قال ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن : ٢/ ٨١ ، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١/ ١١١، و الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٤٠٤، و تفسير القرآن العظيم :١/ ٢٦٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن :٢/ ٨١ ،و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم :١/ ١١١، و تفسير القرآن العظيم: ١/ ٢٦٤.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢/ ٥٣٨-٥٣٩، وينظر: تفسير القرآن العظيم : ٣٦٤/١.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١/ ٦٨٧.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٣٤٠/١.

﴿ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ﴾ [البقرة جزء من الآية :١٤٥] يعني به: جماعتهم؛ لأن الخاصة تتبع العامة [١].

نرى هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى استدل بسياق الآية الثانية على معنى الآية الأولى، فسياق الكلام في اليهود [٢]. ﴿ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ،أي: غيَّروه من بعد ما حفظوه وفهموه. وقال بعضهم: إنما أراد به الذين يغيرون التوراة. وقال بعضهم: يغيرون تأويله وهم يعلمون. فلا تطمعوا في ايمان اليهود [٣].

خامسًا: قد يَصْرِف الواحدي رحمه الله تعالى ظاهر اللفظة أو التركيب عن ظاهره ؛ لاقتضاء السياق لذلك، ومن المعلوم أن الأصل هو إبقاء اللفظ على ظاهره، ولا يجوز صرفه عن ظاهره إلا بدليل معتبر يقتضي ذلك، ومن الأدلة المعتبرة عند الواحدي رحمه الله تعالى هي سياق الآية. كما في النماذج الأتية:

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [البقرة جزء من الآية :٢٣١]؛ بين الاصفهاني معنى البلوغ بقوله "البلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى، مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة، وربما يُعَبَّرُ به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه" [٤]، فقوله تعالى ﴿ فَبَلَغْنَ ﴾ يعني ميقاتهن الذي وقته لهن من انقضاء الأقراء الثلاثة إن كانت من أهل الأقراء، وانقضاء الأشهر إن كانت من أهل الشهور، ولم يرد إذا انقضت عدتهن؛ لأنها إذا انقضت عدتها لم يكن للزوج إمساكها [٥].

وذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المراد من قوله تعالى ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ قاربْنَ انقضاء العدة، ولم يرد إذا انقضت عدتهن [٦]؛ وذلك لأن السياق يقتضي هذا المعنى وهذا التفسير، إذ إن المطلقة إذا بلغت أجلها وانقضت عدتها لم يكن للزوج عليها وِلاية، ولا يمكن له أن يمسكها إلا بعقد جديد، فقوله تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ هو الذي حمل الواحدي رحمه الله تعالى ـ كغيره من

---

(١) ينظر التفسير البسيط: ٣/ ٧٨، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٣٩/٢، والكشف والبيان عن تفسير القرآن :٢٢٢/١.

(٢) ينظر: النكت والعيون: ١٤٨/١.

(٣) بحر العلوم :١/ ٦٦ ، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١ /٢٢٠ ، و الوسيط في تفسير القرآن المجيد:١/ ١٦٠ ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ١٥٦ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٦٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٤٤/١.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٧٨/٤، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن :١٧٧/٢ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٠٩/١ ، والجامع لأحكام القرآن :٣/ ١٥٥.

(٦) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٤/ ٢٣٥.

المفسرين ـ على تفسير (فبلغن أجلهن) بـ (قاربْنَ انقضاء العدة). ففي هذا التفسير نجد أن الواحدي صرف اللفظ عن ظاهرها اعتمادًا على السياق، إذ إن ظاهر ﴿ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ يفيد انقضاء العدة، فالبلوغ هو الوصول، أي: وصلن أجلهن، ولكنه صرف اللفظ عن ظاهره بقرينة سياق الآية.

وكذلك فعل البغوي رحمه الله تعالى بقوله: "قوله تعالى : ﴿ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ ، أي أشرفن على أن يبن بانقضاء العدة، ولم يرد حقيقة انقضاء العدة، لأن العدة إذا انقضت لم يكن للزوج إمساكها، فالبلوغ هاهنا بلوغ مقاربة، وفي قوله تعالى بعد هذا {فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن} حقيقة انقضاء العدة، والبلوغ يتناول المعنيين، يقال: بلغ المدينة إذا قرب منها وإذا دخلها {فأمسكوهن} أي راجعوهن {بمعروف} قيل المراجعة بالمعروف أن يشهد على رجعتها وأن يراجعها بالقول لا بالوطء" (١). والطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "وبلوغ الأجل: الوصول إليه، والمراد به هنا مشارفة الوصول إليه بإجماع العلماء لأن الأجل إذا انقضى زال التخيير بين الإمساك والتسريح، وقد يطلق البلوغ على مشارفة الوصول ومقاربته، توسعا أي مجازاً بالأول" (٢).

وقبلهم جميعًا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "فدل سياق الكلام على افتراق البلوغين: فأحدهما: مقاربة بلوغ الأجل، فله إمساكها أو تركها فتسرح بالطلاق. والبلوغ الآخر: انقضاء الأجل" (٣).

فالسياق جعل البلوغ في الموضع الاول مقاربة انتهاء العدة ؛ لأن النص في سياق خطاب الأزواج، وفي الموضع الثاني انقضاء العدة وانتهائها لكون السياق خطاب لأولياء، وهذا قول الجمهور.

النموذج الثاني : قولهتعالى : ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران جزء من الآية:٢٦٨]؛ نقل الواحدي رحمه الله تعالى عن ابن عباس والكلبي (٤) أنهما ذكرا أنها نزلت في يهود المدينة ونصارى نَجْرَان والأمِّيِّين من العرب. وذلك أن اليهود والنصارى قالت: لسنا على ما سميتنا به يا محمد، إنما اليهودية والنصرانية نَسَبٌ، والدِّين هو الإسلام، ونحن عليه ، فأمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يحتج عليهم بأنه منقاد لله الذي يقرون أنه خالقهم فقال لهم: أخلصت ديني وعملي لله تعالى أنا ومن اتبعن (٥) ؛ لذلك فسر الواحدي رحمه الله تعالى الوجه هنا

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن :١/٢٧٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٢/ ٤٢١.

(٣) تفسير الإمام الشافعي:١/ ٣٧٩.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/٣٥.

(٥) ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٤٤، ومعاني القرآن وإعرابه :١/ ٣٨٨، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ٣٥.

بالقلب واللسان وسائر الجوارح، فقال في تفسير قوله ﴿ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ ﴾ ، "أي: انقدت له بقلبي ولساني وجوارحي" (١). وهذا ما يقتضيه سياق الكلام؛ لأن المطلوب هو إسلام جميع الجسد ظاهرًا وباطنًا، وليس إسلام الوجه فقط ؛ ولذلك بين الواحدي رحمه الله تعالى بعد ذلك سبب ذكر الوجه دون غيره من أجزاء الجسد فقال: "وذكر الوجه هنا؛ لأنه أكرم جوارح الإنسان، فإذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له سائر جوارحه" (٢).

سادسًا : وقد يفسر الواحدي رحمه الله تعالى اللفظة بغير معناها المشهور اعتمادًا على السياق، ومن المعلوم أن الأصل هو تفسير القرآن بالمعنى الأغلب والأشهر، كما قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [النبأ: ٢٤] تعليقاً على تفسير من فسر البرد في الآية بالنوم: "والنوم وإن كان يبرد غليل العطش، فقيل له من أجل ذلك البرد، فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره" (٣).

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة : ٢٦٨]، إذ فسر الواحدي رحمه الله تعالى الفحشاء في هذه الآية بالبخل ومنع الزكاة، وذلك ؛ لأنه ورد في اللغة استعمال الفحشاء في البخل، والعرب تسمي البخيل فاحشًا (٤)، فلما كان سياق الآية في إمساك المال وعدم إنفاقه في مرضاة الله ولاسيما الزكاة حمل الواحدي رحمه الله تعالى الفحشاء على معنى البخل، فمعنى الآية عنده: الشيطان يخوفكم الفقر لذلك يأمركم بالبخل ومنع الزكاة؛ لأنه يوهمكم أن الزكاة تؤدي إلى البخل، قال الواحدي رحمه الله تعالى : "ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل: أمسك مالك؛ فإنك إن تصدقت افتقرت" (٥).

ثم ذكر الواحدي رحمه الله تعالى قول الكلبي ومقاتل (٦) أن كل فحشاء في القرآن زنى إلا في هذا الموضع، فالشيطان يأمر بمنع الزكاة ويعد بالفقر؛ لأنه يوهم بأن الزكاة تنقص الأموال التي

---

(١) التفسير البسيط: ٥/ ١٢٦.

(٢) التفسير البسيط: ٥/ ١٢٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٢٤/ ٢٧، وينظر: فصول في أصول التفسير: ١٣٨.

(٤) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٤/ ٤٢٩ ، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٢/ ٦٨٢ ،و تهذيب اللغة : ٤ / ١١٢، و "المفردات في غريب القرآن: ٣٧٥ – ٣٧٦.

(٥) المصدر نفسه ، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ٣٣٣، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ٣١٥ ، و مفاتيح الغيب : ٧/ ٥٦.

(٦) بحر العلوم : ١٧٩/١، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣٩/٢ و معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ٣٣٣.

يحتاجونها (١)، وفسر الواحدي رحمه الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ بما يوافق معنى الفحشاء قال: "أن يجازيكم على صدقتكم ﴿مَّغۡفِرَةً﴾ لذنوبكم، وأن يخلف عليكم" (٢). قابل وعد الله بالمغفرة بوعد الشَّيطان بالفقر وأمر الله بالزكاة وأمر الشَّيطان بالبخل.

أما الإمام الطبري رحمه الله تعالى فإنه حملها غلى معناها المعروف والمشهور، وهو معصية الله ﷻ فالفحشاء كل ما فحش من قول وفعل، ومنها ترك الزكاة الواجبة، والله يعدكم بمغفرة تلك المعاصي وسترها والصفح عن العقوبة وفضلاً يوسع في أرزاقكم ويسبغ النعم بالصدقات (٣).

سابعًا: الاستدلال بتعبيرات الآية وتراكيبها لبيان معنى ألفاظها وتراكيبها.

النموذج الأول : قوله تعالى ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥﴾ [آل عمران : ٤٥] بين الواحدي رحمه الله تعالى أن المقصود بالكلمة عيسىعليه السلام ؛ لأنه خلقه بكلمة ﴿كُن﴾ من غير أب كما بينه تعالى في موضع آخر بقوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩]، حيث شبه ﷻ خلق عيسى عليه السلام من غير أب بخلق آدم عليه السلام من تراب من غير أبوين وكلاهما خُلق بكن، وهذا قول الحسنُ وقتادةُ (٤) ولم يُردْ والله أعلم أنَّ عيسى عليه السلام هو الكلمة نفسها. وبين الواحدي رحمه الله تعالى أن المراد بالكلمة ايجاد عيسىعليه السلام ، وأنه ليس عيسى ذاته مستدلاً بالسياق بقوله: "ألا تراه يقول: ﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ﴾ ولو أراد الكلمة لقال {اسمها المسيح}" فالكلمة مؤنث وعيسى مذكر لذلك ذكر الضمير ولم يؤنثه (٥).

فنرى هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى وظف السياق والتعبيرات والأساليب العربية التي وردت فيه في بيان المراد من كلمة الله ﷻ هنا. قال الطبري رحمه الله تعالى وقوله: "بكلمة منه"، يعني برسالة من الله وخبر من عنده، فسر الكلمة بالبشرى والخبر (٦) وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى وفي المراد بالكلمة هاهنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول الله له: «كن» فكان، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: أنها بشارة الملائكة مريم بعيسى عليهما السلام ، حكاه أبو سليمان. والثالث: أن الكلمة اسم لعيسىعليه السلام ، وسمي كلمة، لأنه كان عن الكلمة. وقال القاضي أبو يعلى: لأنه يهتدى به كما

---

(١) ينظر: التفسير البسيط: ٤/ ٤٢٩.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤/٤٣٠.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ٥ ، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣٦٤.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٧/٧٠٣.

(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٥/ ٢٥٣.

(٦) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/٤٠٦.

يهتدى بالكلمة من الله تعالى [١]. والكلمة من الله تعالى عيسى عليه السلام ؛ لأن الله خلقه بكلمة كن من غير أب وهو قول الجمهور [٢].

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام جزء من الآية : ٦]، قال الواحدي رحمه الله تعالى "والسماء معناه: المطر هاهنا" [٣]، ثم بين معنى المدرار الذي يناسب معنى المطر حيث قال والمدرار: الكثير الدر، فالمدرار يصلح أن يكون من نعت السحاب ويجوز أن يكون من نعت المطر، ويقال: سحاب مدرار إذا تتابع إمطاره، ومفعال يجيء في نعت يُبالَغ فيه. قال مقاتل [٤]: (مدرارًا: متتابعًا) وقال بعض المفسرين: (مرة بعد أخرى). ويستوي في المدرار المذكر والمؤنث [٥]. فسر الواحدي السماء في الآية بمعنى المطر؛ لأن سياق الكلام يقتضي هذا المعنى، فمعنى المطر هو الملائم للآية، ومن الأدلة على إرادة هذا المعنى من السماء وَصْفُ السماء بالمدرار، أي: الكثير المتتابع. وكذلك سائر المفسرين فسروا السماء بالمطر اعتمادًا على السياق.

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف: ٩٤]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى قول ابن عباس رضي الله عنهما : (يريد: جعلاً) [٦]، وقول الليث: "الخَرْجُ والخَرَاجُ شيء واحد، وهو شيء يُخرجه القوم من مالهم بقدر معلوم" [٧]. وبعد أن فصل القول في معنى الخرج عند أهل اللغة والتفسير قال: "ويدل على أن المراد بالخَرْج والخَرَاج هاهنا: العطية منهم له، قوله تعالى في جوابه لهم: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾[الكهف جزء من الآية: ٩٥] والمعنى: ما مكني فيه من الاتساع في الدنيا، خير من خرجكم الذي تبذلونه لي" [٨].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٢٨٢.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ١٥٢ ، و تفسير القرآن العظيم :٢/ ٤٣.

(٣) التفسير البسيط : ٨/ ٢١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان :١/ ٥٥٠.

(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط ٢١/٨. وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٩/ ١٥٦ الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٢٣٨ و معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣/ ١٢٨، و مفاتيح الغيب : ١٢/ ٤٨٤، والبحر المحيط في التفسير: ٤/ ٤٢٧.

(٦) ينظر قوله في : جامع البيان في تأويل القرآن : ١٥/ ٤٠٢ ، و تفسير القرآن العزيز:٣ / ٨١ ، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٥٤٢، والبحر المحيط في التفسير: ٧/ ٢٢٦، والدر المنثور:٥/ ٤٥٩.

(٧) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٣ / ١٠٩ ، و البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٢٢٦.

(٨) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٤٦/١٤.

وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى أنهم أرادوا أن يجمعوا له أموالًا كثيرة ليساعدوه في بناء السد فرفض بكل عفة وديانة وحسن قصد في فعل الخير وقال: ما أعطاني الله من الملك والتمكين أفضل مما جمعوه لي من المال ولكن ساعدوني بعملكم وآلات البناء (١).

المبحث الثاني : اختيار أحد المعاني التي يحتملها اللفظ

أَشَرْتُ في المبحث السابق إلى أن اللفظة قد تحتمل أكثر من معنى، فيختار الواحدي رحمه الله تعالى أحد هذه المعاني المحتملة اعتمادًا على السياق، وحفاظًا على اتساق الآيات والموضوع الذي سيقت من أجله، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولًا : اختيار الاحتمال الأنسب بالموضوع الذي سيقت الآية فيه.

النموذج الأول : قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة : ٤] ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في معنى لفظة (الدين) أقوالًا منها قول الضحاك وقتادة: إن معنى الدين الجزاء، أي: يدين الله العباد بأعمالهم (٢)؛ قال: "ويقوي هذا التفسير قوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٧ ﴾ [غافر : ١٧]، وقال ابن عباس والسدي ومقاتل في معنى قوله ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ قاضي يوم الحساب (٣). ومن الدين بمعنى الحساب قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ [التوبة جزء من الآية : ٣٦] ، أي: ذلك الحساب الصحيح" (٤). ثم ذكر معاني أخرى للدين لكنه اختار هذا المعنى كما يظهر لي؛ لأنه الأوفق بالسياق بدليل قوله: "وخُصَّ هذا اليوم بأنه مالكه؛ تعظيمًا لشأنه وتهويلًا لأمره، كقولهِ تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١ ﴾ [العاديات: ١١] وهو خبير سائر الأيام..." (٥). وقد يكون المعنى مالك يوم جزاء الشريعة والطاعة على تقدير محذوف وهو الجزاء، وعلى هذا يكون الدين بمعنى الملة والشريعة والمعنيان متوافقان ؛لأنه تعالى يجازي عباده في يوم القيامة على اعمالهم ومعتقداتهم (٦). فلما كانت الآية سيقت في يوم القيامة كان أنسب المعاني للدين هو الحساب؛ لأن يوم القيامة هو اليوم الذي يحاسب الله ﷻ فيه عباده على أعمالهم؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

---

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٥/ ١٩٦.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن:١/١٥٨ ، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١/١١٥ والدر المنثور: ١/٣٧.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١/١١٥.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١/ ٥٠٣ – ٥٠٥.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١/ ٥٠٥ وينظر: بحر العلوم : ١/١٧، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن : ١/٥٣، و زاد المسير في علم التفسير: ١/١٩، و الجامع لأحكام القرآن : ١/١٤٤.

(٦) ينظر: حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي:١/٧٦.

النموذج الثاني : في قوله تعالى :﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧ ﴾ [البقرة :١٧]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير المثل أنه يأتي بمعنى أفضل؛ يقال: فلانٌ أمثلُ من فلان، أي: أفضل وأحسن. ويكون المثال بمعنى القصاص، والامتثال الاقتصاص لتسوية الحالتين. ويكون بمعنى الشبه، أي: تشبيه شيء بعيد عن الأذهان بآخر قريب منها، والغاية منه بيان حال الشيء للمخاطب، وهذا هو المعنى الذي اختاره الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير الآية وفقًا للسياق؛ إذ قال: "وذُكِر لفظ (المثل) (١)؛ لأن المراد تشبيه الحالة بالحالة، وذكرنا أن لفظ المثل قد صار كالعلم للتشبيه بحال الأول، ولو قيل {كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} لم يُعرف ما الغرض من التشبيه، فإذا ذُكر لفظ المثل عُلم أن المراد تشبيه الحال بالحال" (٢).

فقوله (تشبيه الحال بالحال) يدل على اختياره لمعنى الشبه؛ فهو الأوفق بالسياق، وأكد الواحدي رحمه الله تعالى على أن السياق هو الذي يحكم المفسر في اختياره معنى اللفظة التي تحتمل عدة معانٍ فقال: "وورد المثل في معانٍ كثيرة في التنزيل، فذكر كل واحد في موضعه إن شاء الله" (٣).

وكذلك قول الطبري رحمه الله تعالى : "مثل استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمدﷺ، وبما جاء به قولًا وهم به مكذبون اعتقادًا، كمثل استضاءة الموقد ناراً. ثم أسقط ذكر الاستضاءة وأضيف المثل إليهم" (٤)، وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "يعني كمثل من كان في المفازة في الليلة المظلمة وهو يخاف السباع، فأوقد ناراً فأمن بها من السباع، فلما أضاءت ما حوله طفئت ناره وبقي في الظلمة، كذلك اليهود الذين كانوا حوالي المدينة كانوا يقرون بالنبي ﷺ قبل أن يخرج، وكانوا إذا حاربوا أعداءهم من المشركين يستنصرون باسمه فيقولون بحق نبيك أن تنصرنا، فلما أخرج النبي ﷺ وقدم المدينة، حسدوه وكذبوه وكفروا به فطفئت نارهم وبقوا في ظلمات الكفر." (٥)، وجه الشبه في النفاق لا في أعيان الرجال.

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى أيضًا: "«المثل والمثل والمثيل» واحد، معناه الشبه، هكذا نص أهل اللغة والمتماثلان المتشابهان، وقد يكون مثل الشيء جرما مثله، وقد يكون ما تعقل النفس

(١) يعني أن الله تعالى قال: "فمثلهم كمثل.." ولم يقتصر على قوله "كمثل..".

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢/ ١٨٦، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١/ ٢٢٢، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٧٣.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢/ ١٨٦.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١/ ٣٣٣-٣٣٤.

(٥) بحر العلوم: ١/ ٣٠.

وتتوهمه من الشيء مثلا له، فقوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ معناه أن الذي يتحصل في نفس الناظر في أمرهم كمثل الذي يتحصل في نفس الناظر في أمر المستوقد" (١).

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[البقرة: ١٩]

قال الليث: "واحتاطت الخيل وأحاطت بفلان إذا أحدقت به، وكل من أحرز شيئًا كله، وبلغ علمه أقصاه فقد أحاط به، يقال هذا أمر ما أحطت به علما وحاوطت فلانا محاوطة إذا داورته في أمر تريده منه وهو يأباه كأنك تحوطه ويحوطك" (٢).

وذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن الإحاطة تستعمل بمعنى العلم وبمعنى القدرة وبمعنى الإهلاك (٣)، واختار أن معنى الإحاطة هنا الإهلاك، وأن معنى الآية: والله مهلك الكافرين وجامعهم في النَّار ؛ وذلك لأن سياق الآية يقتضي هذا المعنى، فقد أشارت الآية إلى أن الكفار يحاولون الهرب من الهلاك ووقاية أنفسهم من الظلمات والرعد والبرق بجعل أصابعهم في آذانهم حذرًا من الموت وهربًا منه ، فأشار التعبير القرآني إلى أن ذلك غير نافعهم وأن الله مهلكهم ولا مفر لهم من ذلك، وهذا ما دفع الواحدي رحمه الله تعالى إلى اختيار هذا المعنى من معاني الإحاطة في تفسير الآية، والله تعالى أعلم (٤)، أما في النساء فسرالمحيط في قوله تعالى﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء جزء من الآية : ١٠٨] فقال " (محيطٌ) ههنا عليم بأعمالهم على إحاطة ؛ لأنها ظاهرة له، لا تخفي عليه من وجه من الوجوه" (٥) و في الكهف قوله تعالى ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾[الكهف جزء من الآية: ٤٢] قال "معنى "أحيط" هاهنا: أهلك" أي: صاحب الجنتين؛ لأنه كفر بالله ﷻ حيث اختار لكل موضع المعنى الذي يناسبه فالله ﷻ محيط بالكافرين إحاطة تامة ومنزل عقوبته بهم، وبه قال مجاهد وابن عباس ﵄ (٦)

وقيل: الاحاطة كناية عن الهلاك لأنه واقع لا محاله؛ لذا استعار له الاحاطة يقال أحاط به عدوه بمعنى سد عليه مسالك النجاة وتمكن من هلاكه (٧).

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٩٩.

(٢) تهذيب اللغة مادة (حاط) : ٥/ ١١٩.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢/ ٢٠٩.

(٤) ينظر: تفسير ابن عرفة: ٦٣/١.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٧٧/٧ و٢٧/١٤.

(٦) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١/ ٣٧٨ ، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٥٧/١ ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١/ ١٦٤، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: ٧١/١و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٠٣/١ ، وأضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: ١٥/١.

(٧) يُنظَر : حاشية الشهابِ علَى تفسير البيضاوي: ١٧/٥.

فنرى أن الواحدي رحمه الله تعالى اختار المعنى المناسب بكل موضع للإحاطة، مراعيًا السياق وطريقة ورود اللفظة.

النموذج الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[البقرة :٢٣]، ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن (دون) يرد في الكلام على معان كثيرة، منها: (قبل) كقولك: دون النهر قتال، أي: قبل النهر قتال، ويكون (دون) بمعنى: (خذ) وهو بمعنى الإغراء، يقال: دونك زيدًا، أي خذه ويكون (دون) بمعنى: (وراء)، كقولك: هو أمير على ما دون جَيْحُون [(١)]، أي على ما وراءه. [(٢)] ويكون بمعنى: (تحت)، يقال: هو دونه، أي: تحته. ويكون بمعنى: (غير)، يقال: هذا دون ما ذكرت، أي: غيره [(٣)]. ثم قال: "والذي في هذه الآية بمعنى: غير... كما يقال: ما دون الله مخلوق، يريد: وادعوا من اتخذتموه معاونين من غير الله" [(٤)]. فنلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى اختار معنى الغير من بين معاني (دون)؛ لأن سياق الآية يقتضي هذا المعنى دون غيره، إذ المقصود تحدي الكفار ليأتوا بمثل هذا القرآن الذي جاء به رسول الله محمد ﷺ في الإعجاز وحسن النظم والإخبار عما كان وما يكون [(٥)] مستعينين بكل موجود غير الله ﷻ ؛ إذ التحدي واقع من جهته ﷻ فلا يمكن أن يعينهم على الإتيان بمثل القرآن.

ومن بديع توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق القرآني في تحديد معاني الألفاظ أنه نقل أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم ﴾ ومن بين هذه الأقوال قول ابن عباس رضي الله عنه أن معنى ﴿ شُهَدَاءَكُم ﴾: أعوانكم وأنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم وبه قال مجاهد رضي الله عنه [(٦)] ثم قال: "والدعاء على هذا القول بمعنى الاستعانة، والعرب كثيرًا ما تستعمل الدعاء في معنى الاستعانة؛ وذلك أن الإنسان إذا استعان بغيره دعاه..." [(٧)]، إذ يظهر لنا جليًا أن الواحدي رحمه الله تعالى يرى أن الكلمات المتجاورة في السياق يثر بعضها على بعض في المعنى كما يثر بعضها

---

(١) (جيحون) نهر عظيم في خراسان. ينظر: معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م : ٢/ ١٩٦.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة : ١٤/ ١٢٧ ، و لسان العرب : ١٣/ ١٦٦.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٤) المصدر نفسه : ٢/ ٢٤٩ – ٢٥٠ ، وينظر: التحرير والتنوير: ٣٤٠/١، وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٢٣٥/١١.

(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢/ ٢٣٨. هكذا قال الواحدي رحمه الله تعالى ، وكأنه يرى أن وجه إعجاز القرآن هو حسن نظمه وإخباره بالغيب الماضي والغيب المستقبل.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم :٦٣/١، و جامع البيان في تأويل القرآن: ١/ ٣٧٦ ، والدر المنثور :١ / ٧٧، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٠٧/١ و زاد المسير في علم التفسير: ٤٤/١.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢/ ٢٤٤.

على بعضه في الصوت، فلما كان معنى الشهداء هنا الأعوان والأنصار ناسب أن يكون معنى (ادعوا): استعينوا. بأعوانكم الذَّين تعبدونهم من غير الله ﷻ، والامر هنا بمعنى التهكم والتوبيخ؛ لعدم وقوعه ولكونهم يستعينوا بجماد لا ينطق على معارضة القرآن الذي عجز كل لسان عن معارضته والإتيان بمثله والغاية منه بيان عجزهم ؛ لأن من عادة النَّاس أن يستشهدوا بأصحابهم عند الحكام لا بشهادة الله ﷻ عليهم ومن ابتداء لا تبعيض ؛لأنه ﷻ أمرهم ان يأتوا بشهداء متجاوزين الله ﷻ ان كانوا صادقينَ في دعواهم [1].

النموذج الخامس : تعالى : ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء جزء من الآية :٢٤]. الحصن هو الموضع الذي يتعذر الوصول إليه لذا يقال امرأة محصنة، أي أحصنها زوجها ، وأحصنت زوجها، ومحصنة أي عفيفة عن الريبة وتجمع على حصن قال الليث: "حصن يحصن حصانة، وحصنه صاحبه وأحصنه، والدرع الحصينة: المحكمة" و كل امرأة عفيفة فهي محصنة ومحصنة، وكل امرأة متزوجة فهي محصنة لا غير. ويقولون لكل ممنوع: محصن [2].

وذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن الإحصان يقع على معان كلها ترجع إلى معنى واحد، منها الحُرَّة ، يدل على ذلك ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ﴾ [النور جزء من الآية : ٤] يعني: الحرائر، ومنها العفاف، وهو قوله: ﴿مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ ﴾ [النساء جزء من الآية: ٢٥]، يعني العفائف ومنها الإسلام، من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ ﴾ [النساء جزء من الآية: ٢٥] ، أي : أسلمنَ ، وأما التفسير فالمحصنات في هذه الآية ذوات الأزواج، وهنَّ محرمات على كل أحد إلا على أزواجهنَّ؛ لذلك عُطِفن على المحرمات في الآية التي قبلها فاستدل على هذا المعنى لكونها معطوفة عليها فتتبعها في حكم المحرمات والعفيفة والحرة و المسلمة لا يحرم نكاحها. ويتضح ذلك من قوله رحمه الله تعالى "ولا يمكن حمل المحصنات في هذه الآية على الحرائر، ولا على المسلمات، ولا على العفائف؛ لأن التحريم مُحالٌ في هذه الأجناس، فتعين حملها على الوجه الرابع وهو المنكوحة" [3]. بمعنى حصنت نفسها بزوج ومنعت ان ينكحها غيره [4]. قال الشافعي رحمه الله تعالى: "المنع يكون بأسباب مختلفة الحبس والإسلام والحرية والعفة وترك تحصين الأمة والحرية لا يحرم إصابة إحداهما بنكاح وهذا إجماع العلماء فهما غير مقصودتين بالآية، والآية تدل على أنه لم يرد بالإحصان هاهنا الحرائر، فبين أنه إنما قصد بالآية: قصد ذوات الأزواج، ثم دل

---

(١) يُنظر: حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ١/ ٤٠٠.

(٢) يُنظر: كتاب العين: ١١٨/٣، وتهذيب اللغة :١٤٣/٤، ومجمل اللغة لابن فارس:٢٣٧/١.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤٣٥/٦، وينظر: مفاتيح الغيب : ٣٣/١٠.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦/ ٥٧٤.

الكتاب، وإجماع أهل العلم أن ذوات الأزواج من الحرائر والإماء محرمات على غير أزواجهن حتى يفارقهن أزواجهن بموت، أو فرقة طلاق، أو فسخ نكاح، إلا السبايا فإنهن مفارقات لهن بالكتاب والسنة والإجماع " (١).

النموذج الخامس : قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ ﴾ [النساء جزء من الآية :٢٥]؛ إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد ﷺ: الطَّول: الغنى والسعة (٢)، و الطُول لغة ضد القصر ويكون بمعنى الغنى والسعة، وبمعنى الفضل ومنه قولهم: لفلان على فلان طَول، أي: فضل. ويكون بمعنى القدرة يقال: فلان ذو طول، أي: ذو قدرة في ماله، وقيل في تفسير قوله: ﴿ ذِي ٱلطَّوۡلِ ﴾ [غافر جزء من الآية: ٣]: ذي القدرة. وهذه الأقوال كلها في المعنى واحد. واختار الواحدي رحمه الله تعالى القدرة من بين تلك المعاني بقوله "ويراد بالقدرة ههنا القدرة على المهر" (٣).

نرى الواحدي رحمه الله تعالى هنا قصر معنى اللفظة على أحد معانيها اعتمادًا على السياق، إذ سياق الكلام هنا على النكاح وعلى بيان القدرة عليه أو عدم القدرة، فبين أن الطول هنا بمعنى القدرة، والقدرة هنا محصورة في القدرة على المهر. وهذا قول الجمهور في معنى الطول (٤).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "ومنه قولهم: ما حلا منه بطائل، أي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر. ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه، كما أن القصر قصور فيه ونقصان. والمعنى: ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح أمة" (5). وأما ابن عطية رحمه الله تعالى فقد ذكر قولين في معنى الطول: "وقال ربيعة وإبراهيم النخعي: الطول هنا الجلد والصبر لمن أحب أمة وهويها حتى صار لذلك لا يستطيع أن يتزوج غيرها، فإن له أن يتزوج الأمة إذا لم يملك هواها، وإن كان يجد سعة في المال لنكاح حرة، ثم يكون قوله تعالى : ﴿ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ ﴾

---

(١) تفسير الإمام الشافعي :٥٧٥/٢.

(٢) تفسير مجاهد: ١/ ٢٧٢ ، و تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ٦٨، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦/ ٥٩٢-٥٩٣ .

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٦/ ٤٤٩.

(٤) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ٢٨٩، و معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢/ ١٩٦.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/ ٤٩٩.

على هذا التأويل بيانا في صفة عدم الجلد، وعلى التأويل الآخر يكون تزوج الأمة معلقا بشرطين: عدم السعة في المال وخوف العنت، فلا يصح إلا باجتماعهما" [١]. وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: " الطول: الغنى والسعة في قول الجماعة" [٢].

النموذج السادس : قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء :٦٠] ، الزَّعم والزُّعم لغتان، وغالبًا ما يستعمل الزعم في الامر المشكوك فيه ويكون المتكلم به ليس على يقين بما يتحدث به فيحتمل قوله الصدق والكذب [٣] وقصره الواحدي رحمه الله تعالى على الكذب لكون النص في المنافقين حيث قال "والذي في هذه الآية المراد به الكذب؛ لأن الآية نزلت في المنافقين" [٤].

فلما كان سياق الكلام في المنافقين وأبرز سماتهم وأظهر قبائحهم هو الكذب حمل الواحدي رحمه الله تعالى الزعم الوارد في الآية المنسوب إلى المنافقين على الكذب.

وقيل في سبب نزولها: حصلت خصومة بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين وتحاكما إلى كاهن من الكهنة لقبوله الرشوة وفضحهم ﷻ في هذا النص وأبطل ادعائهم بتصديق النبي ﷺفلو كانوا يصدقونه ويرضون حكمه ما تحاكموا إلى غيره فكان زعمهم الإيمان به وتصديقه كذبا ويدل على أنها في المنافقين قوله تعالى في الآية التالية﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء :٦١] فسياق النص اللاحق يقتضي أن تكون في المنافقين [٥] قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "وظاهر الآية يقتضي أن تكون نزلت في المنافقين، لأنه قال: يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك، فلو كانت في يهود أو في مؤمن ويهودي كان ذلك بعيدا من لفظ الآية، إلا إن حمل على التوزيع، فيجعل بما أنزل إليك في منافق، وما أنزل من قبلك في يهودي، وشملوا في ضمير يزعمون فيمكن" [٦]. فسياق النص حمل أبو حيان أن يرجح كونها في المنافقين.

النموذج السابع : قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[الأنعام جزء من الآية : ٦]، إذ فسر الواحدي رحمه الله

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٣٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٣٩٣.

(٣) ينظر: العين:١/ ٣٦٤، وتهذيب اللغة مادة(زعم): ٢/ ٩٣.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٦/ ٥٤٩ ، وينظر: مفاتيح الغيب :١٢٠/١٠.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٧/ ١٨٩.

(٦) البحر المحيط في التفسير:٦٨٨/٣.

تعالى السماء بالمطر [١]، كما سبق بيانه في المبحث السابق، وذلك لأن سياق الكلام يقتضي هذا المعنى، فمعنى المطر هو الملائم للآية، ومن الأدلة على إرادة هذا المعنى من السماء وصف السماء بالمدرار، أي: الكثير المتتابع. الذي لا ينقطع كلما احتاجوا اليه وجدوه.

قال الطبري رحمه الله تعالى: "أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها، وأعطتهم الأرض ريع نباتها، وجابوا صخور جبالها، ودرت عليهم السماء بأمطارها، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني، فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم، وبغوا حتى حق عليهم قولي، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم، وأهلكت بعضهم بالرجفة وبعضهم بالصيحة وغير ذلك من أنواع العذاب. ومنه المطر الغزيرة الدائمة. وأحدثنا من بعدهم الذين أهلكناهم قرنا آخرين فابتدأنا سواهم. قل لهم يا محمد إنَّ الله تعالى قادر على كما أهلك من قبلهم من الأمم السابقة" [٢].

وقال الرازي رحمه الله تعالى: "قوله ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا ﴾ يريد الغيث والمطر، فالسماء معناه المطر هاهنا، والمدرار الكثير الدر وأصله من قولهم در اللبن إذا أقبل على الحالب منه شيء كثير فالمدرار يصلح أن يكون من نعت السحاب، ويجوز أن يكون من نعت المطر يقال سحاب مدرار إذا تتابع أمطاره. ومفعال يجيء في نعت يراد المبالغة فيه. قال مقاتل مدرارا متتابعا مرة بعد أخرى ويستوي في المدرار المذكر والمؤنث" [٣]. وكذلك فسره القرطبي رحمه الله تعالى بالمطر فقال: "يريد المطر الكثير، عبر عنه بالسماء ؛ لأنه من السماء ينزل، و"مدراراً" بناء دال على التكثير، وانتصب" مدرارا" على الحال. وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم أي من تحت أشجارهم ومنازلهم، والمعنى: وسعنا عليهم النعم فكفروها. ﴿فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾، أي : بكفرهم فالذنوب سبب الانتقام وزوال النعم." [٤]. قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "الإرسال والإنزال متقاربان في المعنى ؛ لأن اشتقاقه من رسل اللبن، وهو ما ينزل من الضرع متتابعا والسماء السماء المظلة قالوا: لأن المطر ينزل منها إلى السحاب، ويكون على حذف مضاف ، أي : مطر السماء ويكون مدرارا حالا من ذلك المضاف المحذوف. وقيل: السماء المطر ومدرارا على هذا حال من نفس السماء. وقيل: السماء هنا السحاب ويوصف بالمدرار، فمدرارا حال منه ومدرارا يوصف به المذكر والمؤنث وهو

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٨/ ١٤، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٢٣٨ ، و معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٣/ ١٢٨ و البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٤٢٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩/ ١٥٦.

(٣) مفاتيح الغيب : ١٢/ ٤٨٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن :٦/ ٣٩٢.

للمبالغة في اتصال المطر ودوامة وقت الحاجة، لا أنها ترفع ليلا ونهارا فتفسد قاله ابن الأنباري" (١). جمهور المفسرين فسروا السماء بالمطر لموافقته السياق.

النموذج الثامن : قوله تعالى : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران :١٢٠]، أي: إن تفرحوا، أيها المؤمنون، بظهوركم على عدوكم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم يحزن المشركون بذلك النصر والظفر والغنيمة كما أصابكم يوم بدر حيث ساءهم ظهور المسلمين عليهم وحصولهم على غنائم بدر فالحسنة كل نعمة والسيئة كل مكروه ومصيبة (٢).

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن الحسنة هنا معناها النصر والغنيمة والخصب، وأن السيئة معناها ضد ذلك (٣)، وذلك لأن سياق الكلام لا يحتمل إلا هذا المعنى من معاني الحسنة، كما هو ظاهر. وقال الرازي رحمه الله تعالى: "المراد من الحسنة هاهنا منفعة الدنيا على اختلاف أحوالها، فمنها صحة البدن وحصول الخصب والفوز بالغنيمة والاستيلاء على الأعداء وحصول المحبة والألفة بين الأحباب والمراد بالسيئة أضدادها، وهي المرض والفقر والهزيمة والانهزام من العدو وحصول التفرق بين الأقارب، والقتل والنهب والغارة، فبين تعالى أنهم يحزنون ويغتمون بحصول نوع من أنواع الحسنة للمسلمين ويفرحون بحصول نوع من أنواع السيئة لهم" (٤). قال ابن كثير رحمه الله تعالى" ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ ﴾ وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سنة أي جدب أو أديل عليهم الأعداء، لما لله تعالى في ذلك من الحكمة- كما جرى يوم أحد- فرح المنافقون بذلك، قال الله تعالى مخاطبا للمؤمنين ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ الآية، يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به. وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه." (٥).

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٤٤٠.

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٩٧/١، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٧٢١/٥، وبحر العلوم :٢٤٢/١، والكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١٣٦/٣.

(٣) ينظر: التفسير البسيط: ٥/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٤) مفاتيح الغيب: ٣٤٣/٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ١٠٩/٢.

ويظهر هذا الأمر جليًا عند الواحدي رحمه الله تعالى في بيان معنى الفتنة في مواضع ورودها في القرآن الكريم، إذ رأيناه يحمل الفتنة على معانٍ تلائم مواضع ورودها ، ففي كل موضع لها معنى لا يصلح في غيره،

النموذج التاسع : قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة جزء من الآية : ١٠٣]، وقوله تعالى :﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب: إذا أذبتهما بالنَّار ليتميز الرديء من الجيد، وتعرف جودتهما من الرداءة، ومن هذا قوله تعالى:﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الذاريات: ١٣]، أي: يعذبون و يحرقون بالنَّار ، ومن هنا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنَّار : الفتين، هذا هو، ثم جعل كل امتحان فِتْنَة [(١)]وفسرها هنا بالاختبار بقوله: "ومعنى قوله: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾، أي: ابتلاء واختبار لكم" [(٢)] حيث حملها على معناها اللغوي قال الطبري رحمه الله تعالى كانوا يخبرون الناس إنهم بلاء ومحنة من الله فلا تكفر بربك بتعلم السحر [(٣)] وفسر الفتنة في قوله تعالى ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[البقرة جزء من الآية :١٩١]. بالشرك بقوله "﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ يعني: وشركهم بالله ﷻ أعظم من قتلكم إياهم في الحرم والحُرُم والإحرام" وقال الطبري رحمه الله تعالى "وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه أشد عليه وأضر من أن يقتل مقيما على دينه متمسكا عليه محقا فيه" [(٤)] أي الكفر والشرك اعظم من القتل فسياق النص في قتال الأشهر الحرم وهذا ما دفع المفسرين إلى تفسير الفتنةِ بالشّركِ والكفر، و قال الزمخشري رحمه الله "وقيل (الفتنة) عذاب الآخرة (ذوقوا فتنتكم) وقيل: الشرك أعظم من القتل في الحرم ؛ وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين، فقيل: والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه. ويجوز أن يراد: وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم في الحرم، أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم." [(٥)] وفي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال :٢٥] قال "معنى الفتنة هاهنا: البلية التي يظهر فيها باطن أمر الإنسان،" ، وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى "وفي الفتنة ها هنا سبعة أقوال: أحدها: القتال. والثاني: الضلالة. والثالث:

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢٠١/٣. ويُنظر: تأويل مشكل القرآن:١/ ٢٦٠.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣ /٢٠٥و ٣ / ٦٢٤و ١٠/ ٩٤و ١٠ / ١١١و ١٠/ ١٥٢.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣/ ٢٩٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٢٩٣.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢٣٦/١.

السكوت عن إنكار المنكر. والرابع: الاختبار. والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد. والسادس: البلاء. والسابع: ظهور البدع." (١) وفسرها في قوله تعالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الانفال: ٢٨] بقوله "أي محنة، يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه فيستحق الثواب أو العقاب" ، و قال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى "وجعل نفس «الأموال والأولاد» فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما، مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة وعطف قوله:﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ على ما قوله: ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ للإشارة إلى أن ما عند الله من الأجر على كف النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد" (٢) و كذلك في قوله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[الانفال: ٣٩] فسرها بالكفرِ بقولهِ "ويدل على أن معنى {فِتْنَةٌ}: كفر: قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾" (٣).

في هذه الآيات نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى فسر الفتنة بعدة تفسيرات تبعًا للسياق الذي وردت فيه.

النموذج العاشر : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[التوبة: ٢٦]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن السكينة لها معنيان: الأول الوداعة والوقار، والثاني تأتي بمعنى الأمنة والطمأنينة، واختار المعنى الثاني بقوله: "وهي المرادة ههنا؛ لأن الرعب يوجب الاضطراب والهزيمة، وضده الأمنة التي توجب الطمأنينة والوقار، قال ابن عباس ﵄:﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾يريد رحمته. يعني أن تلك السكينة إنما أنزلت عليهم من رحمة الله" (٤)

فسياق الآية في القتال في الحرب، وهو بحاجة إلى تثبت القلوب بالطمأنينة والشعور بالأمنة، فاختار الواحدي رحمه الله تعالى هذا المعنى للسكينة دون غيره من معاني هذه اللفظة بناء على سياق الآية.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٢٠١/٢.
(٢) التحرير والتنوير: ٣٢٥/٩.
(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٠/ ١٥٢.
(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٠/ ٣٤٩.

فالله ﷻ آمنهم من خوف وأنزل الطمأنينة في قلوبهم ؛ لأنهم في حالة قلق واضطراب وجزع فآمنهم بالملائكةِ [(١)] وكذلك قال المفسرون: معنى السكينة الأمن والطمأنينة ؛ منهم الثعلبي رحمه الله تعالى: "ثم أنزل الله بعد الهزيمة سكينته يعني الأمنة والطمأنينة، وهي فعيلة من السكون على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها يعني الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتل والأسر وسلب الأموال وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فيهديه إلى الإسلام ولا يؤاخذه بما سلف والله غفور لعباده المؤمنين رحيم بهم" [(٢)].

بينما فسر السكينة بمعنى آخر في موضع آخر من القرآن الكريم؛ لاختلاف السياق الذي وردت فيه، فقال في تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الفتح جزء من الآية: ٢٦] "ومعناها هاهنا ما ذكره الفراء [(٣)]: أذهب الله ﷻ عن المؤمنين أن يدخلهم ما دخل أولئك من الحمية فيعصوا الله" [(٤)]، وفي هذا الموضع أنزل في قلوبهم الهيبة والوقار؛ لأن السياق في الحمية وتعني الغضب والأنفة والعناد. ونقل البغوي رحمه الله تعالى قول مقاتل في معنى الحمية فقال: "قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه حمية الجاهلية، التي دخلت قلوبهم" [(٥)].

وأرى أن الواحدي رحمه الله تعالى حمل السكينة هنا على معنى الوداعة والوقار، وذلك تماشيًا مع السياق، فبينما جعل الذين كفروا في قلوبهم حمية الجاهلية، أخبر الله ﷻ أنه حمى عباده الصالحين من ذلك، فأنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وهذا يعني أن السكينة بالضد من حمية الجاهلية، فالسكينة معناها هنا الوقار والوداعة. وقال الرازي رحمه الله تعالى مبينًا معنى السكنية ومناسبتها لسياقها أتم بيان: "إذ يحتمل أن يكون ظرفاً فلا بد من فعل يقع فيه ويكون عاملاً له، ويحتمل أن يكون مفعولاً به، فإن قلنا: إنه ظرف فالفعل الواقع فيه يحتمل أن يقال هو مذكور ، ويحتمل أن يقال هو مفهوم غير مذكور، فإن قلنا هو مذكور ففيه وجهان أحدهما: هو قوله تعالى : ﴿ وَصَدُّوكُمْ ﴾ [الفتح جزء من الآية: ٢٥] أي وصدوكم حين جعلوا في قلوبهم الحمية وثانيها: قوله تعالى : ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ﴾ [الفتح جزء من الآية: ٢٥] أي لعذبناهم حين جعلوا في قلوبهم الحمية والثاني: أقرب لقربه لفظا وشدة مناسبته معنى لأنهم إذا جعلوا في قلوبهم الحمية لا يرجعون إلى الاستسلام والانقياد، والمؤمنون لما أنزل الله عليهم السكينة لا يتركون الاجتهاد في الجهاد والله

---

(١) ينظر :جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١١/ ٣٩٥، و معالم التنزيل في تفسير القرآن :٤/ ٣١.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٢٦/٥.

(٣) ينظر : معاني القرآن" للفراء : ٣/ ٦٨.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢٠/ ٣٢٠.

(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٧/ ٣٢١.

مع المؤمنين فيعذبونهم عذابا أليما أو غير المؤمنين، وأما إن قلنا إن ذلك مفهوم غير مذكور ففيه وجهان أحدهما: حفظ الله المؤمنين عن أن يطؤوهم وهم الذين كفروا الذين جعل في قلوبهم الحمية وثانيها: أحسن الله إليكم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية، وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ تفسير لذلك الإحسان، وأما إن قلنا إنه مفعول به، فالعامل مقدر تقديره اذكر، أي: اذكر ذلك الوقت، كما تقول أتذكر إذ قام زيد، أي أتذكر وقت قيامه، كما تقول أتذكر زيدا، وعلى هذا يكون الظرف للفعل المضاف إليه عاملا فيه، وفيه. لطائف معنوية ولفظية: الأولى: هو أن الله تعالى أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن، فأشار إلى ثلاثة أشياء أحدها: جعل ما للكافرين بجعلهم فقال: إذ جعل الذين كفروا وجعل ما للمؤمنين بجعل الله، فقال: فأنزل الله وبين الفاعلين ما لا يخفى ثانيها: جعل للكافرين الحمية وللمؤمنين السكينة وبين المفعولين تفاوت على ما سنذكره ثالثها: أضاف الحمية إلى الجاهلية وأضاف السكينة إلى نفسه حيث قال: حمية الجاهلية، وقال: سكينته، وبين الإضافتين ما لا يذكر الثانية: زاد المؤمنين خيرا بعد حصول مقابلة شيء بشيء فعلهم بفعل الله والحمية بالسكينة والإضافة إلى الجاهلية بالإضافة إلى الله تعالى : وألزمهم كلمة التقوى وسنذكر معناه، وأما اللفظية فثلاث لطائف الأولى: قال في حق الكافر (جعل) وقال في حق المؤمن (أنزل) ولم يقل خلق ولا جعل سكينته إشارة إلى أن الحمية كانت مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى، وأما السكينة فكانت كالمحفوظة في خزانة الرحمة معدة لعباده فأنزلها الثانية: قال الحمية ثم أضافها بقوله حمية الجاهلية لأن الحمية في نفسها صفة مذمومة وبالإضافة إلى الجاهلية تزداد قبحا، وللحمية في القبح درجة لا يعتبر معها قبح القبائح كالمضاف إلى الجاهلية. وأما السكينة في نفسها وإن كانت حسنة لكن الإضافة إلى الله فيها من الحسن ما لا يبقى معه لحسن اعتبار، فقال سكينته اكتفاه بحسن الإضافة الثالثة: قوله ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ بالفاء لا بالواو إشارة إلى أن ذلك كالمقابلة تقول أكرمني فأكرمته للمجازاة والمقابلة ولو قلت أكرمني وأكرمته لا ينبئ عن ذلك، وحينئذ يكون فيه لطيفة: وهي أن عند اشتداد غضب أحد العدوين فالعدو الآخر إما أن يكون ضعيفا أو قويا، فإن كان ضعيفا ينهزم وينقهر، وإن كان قويا فيورث غضبه فيه غضبا، وهذا سبب قيام الفتن والقتال فقال في نفس الحركة عند حركتهم ما أقدمنا وما انهزمنا، وقوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ بالفاء يدل تعلق الإنزال بالفاء على ترتيبه على شيء، نقول فيه وجهان: أحدهما: ما ذكرنا من أن إذ ظرف كأنه قال أحسن الله إذ جعل الذين كفروا وقوله فأنزل تفسير لذلك الإحسان كما يقال أكرمني فأعطاني لتفسير الإكرام وثانيهما: أن تكون الفاء للدلالة على أن تعلق إنزال السكينة بجعلهم الحمية في قلوبهم على معنى المقابلة، تقول أكرمني فأثنيت عليه، ويجوز أن يكونا فعلين واقعين من غير مقابلة، كما تقول جاءني زيد وخرج عمرو، وهو هنا كذلك لأنهم لما جعلوا في قلوبهم الحمية فالمسلمون على مجرى العادة لو نظرت إليهم لزم أن يوجد منهم أحد الأمرين: إما

إقدام، وإما انهزام لأن أحد العدوين إذا اشتد غضبه فالعدو الآخر إن كان مثله في القوة يغضب أيضا وهذا يثير الفتن، وإن كان أضعف منه ينهزم أو ينقاد له فالله تعالى أنزل في مقابلة حمية الكافرين على المؤمنين سكينته حتى لم يغضبوا ولم ينهزموا بل يصبروا، وهو بعيد في العادة فهو من فضل الله تعالى ، قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾فإنه هو الذي أجاب الكافرين إلى الصلح، وكان في نفس المؤمنين أن لا يرجعوا إلا بأحد الثلاثة بالنحر في المنحر، وأبوا أن لا يكتبوا محمداً رسول الله وبسم الله، فلما سكن رسول الله ﷺ سكن المؤمنون" (١) فسرها بالثبات والصبر الذي يقابل الغضب والغل.

النموذج الحادي عشر : قوله تعالى ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ [النحل :٢]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى من معاني الروح النفخ كقوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[النساء جزء من الآية :١٧١] ثم ذكر أن سبب تسمية النفخ بالروح هو أن الروح مشتقة من الريح، والضمير في ﴿ مِّنْهُ ﴾يعود إلى أمر الله ﷻ لجبريل عليه السلام بالنفخ؛ لأن النفخ كان بأمر الله وإذنه، وقيل: الروح ههنا جبريل عليه السلام، وهو عطف على الضمير في ﴿أَلْقَىٰهَآ﴾وتأويله ألقاها الله إلى مريم وجبريل عليهما السلام ، أي: الكلمة التي ألقاها إلى مريم وجبريل عليهما السلام، وذكر أن هذه أوجه صحيحه في تأويل قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾. (٢)

وفسر ابن عباس رضي الله عنه الروح هنا بالوحي (٣)، وقال قتادة (٤): ينزل الملائكة بالرحمة والوحي على من يشاء من عباده من كان أهلاً لذلك، واختار الواحدي رحمه الله تعالى هذا المعنى فقال: "وهو الاختيار في معنى الروح هاهنا" ثم رجحه بسياق الآية قائلاً "والخطاب للنبيين المعنيين بقوله: ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾وهذا يدل أن معنى الروح هاهنا الوحي، إذا بدل منه الإنذار، ومعنى إنذارهم بأنه لا إله إلا هو إعلامهم بذلك مع تخويفهم لو لم يقروا" ولم يكتفِ الواحدي رحمه الله تعالى بنقل أقوال السلف والسياق بل ربط المعنى اللغوي بالمعنى التفسيري فذكر أن معنى الروح لغة الاستراحة والسكون والنفس الذي به الحياة، فكذلك الوحي به حياة القلوب وإرشادها إلى ما به هداها وصلاحها في الدارين لذلك سمي الوحي روحًا؛ قال رحمه الله تعالى : "سُمي روحاً؛ لأنه حياة من موت

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٨/٨٤- ٨٥.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٧/ ٢٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٧/ ٢٢٧٦.

(٤) ينظر: قوله في تفسير عبد الرزاق:٢/٢٦٤ ، و بحر العلوم: ٢/ ٢٦٦.

الكفر، فصار يحيا به الناس؛ كالروح الذي يحيا به الجسد" (١) فكل ما يحيا به القلب والجسد يُسمى روحاً؛ لأنه به السكون والراحة. وسمي النفخ روحاً؛ لأنه يهتز وينبسط وينتشر في جميع البدن، وقيل الروح استنشاق الهواء (٢).

وقال الطبري رحمه الله تعالى: "ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق ويضمحل به الباطل من أمره " (٣)، وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "والروح: الوحي. أطلق عليه اسم الروح على وجه الاستعارة؛ لأن الوحي به هدى العقول إلى الحق، فشبه الوحي بالروح كما يشبه العلم الحق بالحياة، وكما يشبه الجهل بالموت" (٤) فالجمهور فسروها بالوحي.

ثانيًا: يعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على مراعاة مقابلة الضد بضده في حمل الألفاظ على أحد المعاني التي تحتملها.

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢]

قال الواحدي رحمه الله تعالى: "ومعنى الهدى: البيان؛ لأنه قد قوبل به الضلال في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ١٩٨] أي: من قبل هداه" (٥) فالواحدي رحمه الله تعالى بيَّن أن معنى الهدى البيان؛ لأنه يقابل الضلال الذي هو الحيرة والتخبط في الأمر.

ومن المعلوم أن الهدى له أكثر من معنى في القرآن الكريم؛ كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ ﴾ [القصص: ٥٦] فالهدى هنا معناه التوفيق كما ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية (أعني: آية القصص)، إذ نقل قول الزجاج في ذلك دون اعتراض، وأكد تأييده لقول الزجاج عندما قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ ﴾ [القصص: ٥٦]: "يقول: هو أعلم بمن قدر له الهدى؛ قاله مجاهد ومقاتل" (٦). ففسر الهدى في آية القصص بالتوفيق وتقدير الهداية؛ لكون السياق يقتضي هذا التفسير كما هو واضح؛ إذ نفى الله ﷻ فعل الهداية عن النبي ﷺ وأثبته لنفسه ﷻ فهو وحده بيده الهدى بمعنى التوفيق للاهتداء. بينما فسر الهدى في أية البقرة بالبيان؛ لأن السياق يقتضيه، إذ أسند الهدى إلى القرآن الكريم؛ والقرآن الكريم وظيفته بيان الحق والتعريف بالله ﷻ والطريق الموصل إلى مرضاته

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٣/ ١٠.

(٢) ينظر : المصدر نفسه: ١٣/ ٤٦٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤/ ١٦١– ١٦٢.

(٤) التحرير والتنوير: ١٤/ ٩٨.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢/٤٧، وينظر: معاني القرآن وإعرابه : ١/ ٧٠.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط:١٧/ ٤٢٣.

وغيرها من مقاصد القرآن السامية التي بها تتحقق سعادة العباد في الدارين إن هم عملوا بمقتضى القرآن الكريم [1].

من هنا يظهر لنا جليًا كيف أن الواحدي رحمه الله تعالى يعتمد على السياق في تفسير اللفظة القرآنية وحملها على معنى من المعاني التي تحتملها، مراعاةً لمقابلة الضد بضده.

قال الطبري رحمه الله تعالى "والهدى في هذا الموضع مصدر من قولك هديت فلانا الطريق إذا أرشدته إليه. ودللته عليه، وبينته له، أهديه هدى وهداية. فإن قال لنا قائل: أو ما كان كتاب الله نورا إلا للمتقين ولا رشادا إلا للمؤمنين؟ قيل: ذلك كما وصفه ربنا عز وجل، ولو كان نورا لغير المتقين، ورشادا لغير المؤمنين لم يخصص الله عز وجل المتقين بأنه لهم هدى، بل كان يعم به جميع المنذرين؛ ولكنه هدى للمتقين، وشفاء لما في صدور المؤمنين، ووقر في آذان المكذبين، وعمى لأبصار الجاحدين. وحجة لله بالغة على الكافرين؛ فالمؤمن به مهتد، والكافر به محجوج. وقوله: ﴿ هُدًى﴾ يحتمل أوجها من المعاني" [2].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى "قوله عز وجل: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ أي بيانا لهم من الضلالة للمتقين الذين يتقون الشرك والكبائر والفواحش. فهذا القرآن بيان لهم من الضلالة، وبيان لهم من الشبهات، وبيان الحلال من الحرام. فإن قيل: فيه بيان لجميع الناس، فكيف أضاف إلى المتقين خاصة؟ قيل له: لأن المتقين هم الذين ينتفعون بالبيان، ويعملون به فإذا كانوا هم الذين ينتفعون، صار في الحقيقة حاصل البيان لهم." [3]

قال الزمخشري رحمه الله تعالى في معنى الهدى: "وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، بدليل وقوع الضلالة في مقابلته. قال اللَّه تعالى : ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾[البقرة جزء من الآية: ١٦] " [4]. وقال الرازي موافقًا لقول الزمخشري والواحدي رحمهم الله تعالى : "الهدى له معنيان الاول الدلالة الموصلة إلى البغية والثاني الاهتداء والعلم والذي يدل على صحة القول الأول وفساد القول الثاني والثالث أنه لو كان كون الدلالة موصلة إلى البغية معتبرا في مسمى الهدى لامتنع حصول الهدى عند عدم الاهتداء؛ لأن كون الدلالة موصلة إلى الاهتداء حال عدم الاهتداء محال " [5]

---

(١) محاسن التأويل: ١/ ٢٤٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١ / ٢٣٤، وينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٨٤.

(٣) بحر العلوم : ١/٣٠.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ٣٥.

(٥) مفاتيح الغيب : ٢/٢٦٦.

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الانعام :١٢٥] ، الشرح لغة الحفظ ، والفتح ، والبيان ، والفهم والسعة ويقال: شرح الله صدره فانشرح أي وسع صدره لقبول الحق فاتسع. وشرح فلان أمره أي أوضحه. وشرح مسألة مشكلة إذا بينها. و شرحت الغامض، إذا فسرته. فالشرح يدل على كشف الغامض وبيان المشكل (١).

فالشرح له معنيان الكشف والبيان، والفتح والسعة، واختار الواحدي رحمه الله تعالى المعنى الثاني لموافقته السياق بقوله "والذي يدل على أن الشرح معناه: الفتح والتوسيع، وصف الكافر بضده من تضييق قلبه، وهو قوله تعالى :﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام جزء من الآية :١٢٥]" (٢) فالضيق والحرج نقيض الفتح والسعة.

هنا السياق هو الذي حدد عند الواحدي رحمه الله تعالى المعنى المراد من الفعل (يشرح) دون المعاني الأخرى له.

قال الطبري رحمه الله تعالى: " فسح صدره لذلك وهونه عليه وسهله له بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول" (٣).

الله تعالى يفتح ويوسع قلب من يريد هدايته وينور عقله لقبول الإسلام والكافر يضيق صدره ولا يدخل فيه نور الايمان والحرج الذي لا يصل إليه خير قط فيناقض السعة والانشراح (٤) قال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى "وقد استعير الضيق لضد ما استعير له الشرح فأريد به الذي لا يستعد لقبول الإيمان ولا تسكن نفسه إليه، بحيث يكون مضطرب البال إذا عرض عليه الإسلام، وإتباع الضيق بالحرج: لتأكيد معنى الضيق، لأن في الحرج من معنى شدة الضيق ما ليس في ضيق. والمعنى يجعل صدره غير متسع لقبول الإسلام، بقرينة مقابلته بقوله: يشرح صدره للإسلام. وزاد حالة المضلل عن الإسلام تبيينا بالتمثيل، فقال: كأنما يصعد في السماء. أي بتكلف الصعود " (٥).

---

(١) تهذيب اللغة : ٤/ ١٠٧ ، و الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ١/ ٣٧٨ ، ومعجم مقاييس اللغة :٣/ ٢٦٩.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٨/ ٤١٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩/ ٥٤١، وينظر: بحر العلوم: ١/ ٤٨٠، و النكت والعيون :٢/ ١٦٦ ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ٦٤ و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٣٤٣ ، و زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ٧٥، والجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٨١.

(٤) يُنظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن :٤/ ١٨٧، و معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣/ ١٨٦.

(٥) التحرير والتنوير: ٨/ ٥٩.

ثالثًا : قد يختار الواحدي رحمه الله تعالى أحد الأوجه الإعرابية التي يحتملها اللفظ بناء على السياق، حيث يرتبط الإعراب ارتباطًا وثيقًا بالسياق؛ لأن الإعراب والمعنى متلازمان، وكثيرًا ما يحدد الإعراب المعنى المراد، ومن المعلوم أن السياق له أثر كبير على المعنى المراد من الجملة أو من اللفظة، ومن هنا تظهر العلاقة بين الإعراب والسياق، وكلاهما يعتمد على التركيب ويكمل أحدهما الآخر؛ إذ إن الإعراب وجه من وجوه البيان الذي يعتمد على بناء الجملة.
وظهرت العلاقة الوثيقة بين السياق والإعراب واضحة جلية لدى الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره البسيط كما في النماذج الأتية :

النموذج الأول : قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [البقرة :٢٨٠]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى معاني (كان) واستعمالاتها، ومن بينها: أن تكون (كان) بمعنى حَدَثَ ووَقَعَ، نقول: قد كان الأمر، أي: حدث ووقع. ومن معانيها: أن تأتي فعلًا ماضيًا ناقصًا فتتطلب اسمًا وخبرًا مثل: كان زيدٌ ذاهبًا. ومن معانيها: أن تكون بمعنى صار. ثم ذكر أن معنى (كان) في الآية: وقع وحدث، أي: وإن وقع ذو عسرة؛ لأن السياق يقتضي هذا التفسير، ولا يمكن أن تكون (كان) فعلًا ناقصًا؛ لأنها لو كانت فعلًا ناقصًا لقيل: وإن كان ذا عسرة، ويكون المعنى: وإن كان المستربي ذا عسرة فنظرة، فيكون النظر مقصورًا عليه، وليس الأمر كذلك؛ لأن المستربي وغيره إذا كان ذا عسرة فله النظر إلى الميسرة (١).
والعُسْرَة: الاسم من الإعسار: وهو تعذر الموجود من المال، يقال: أَعْسَر الرجلُ إذا صار إلى حالة العُسْرةِ، وهي الحالة التي يتعسَّر عليها وجود المال واليسر نقيض العسر، أي : تيسر وجود المال يقال رجل موسر بمعنى غني (٢) كان فعل تام أكتفى باسمه وتُرك الخبر لآنها بمعنى وجد ووقع وحدث وقوله تعالى ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ مرفوع بكان ، أي : وإن وجد ذو عسرةٍ من غرمائكم برؤوس أموالكم، و في قراءة أبي بن كعب: «وإن كان ذا عسرة» وتكون كان على هذه القراءة ناقصة والخبر محذوف تقديره غرمائكم وذلك وإن كان في العربية جائزًا فغير جائزة القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين (٣)، وقال ابن عباسرضي الله عنه (٤) ذو عسّرة ذو شدِّةٍ.

قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة شكا بنو المغيرة العسرة وقالوا: أخرونا إلى أن تدرك الغلات، فأبوا أن يؤخروا، فنزلت. قيل: هذه الآية ناسخة لما كان في الجاهلية

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٤/ ٤٧٦-٤٧٧، وينظر مفاتيح الغيب:٧/ ٨٥.
(٢) تهذيب اللغة: ٢ / ٤٨ ، و"المفردات في غريب القرآن: ٣٣٧.
(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/٥٦.
(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ٤٠.

من بيع من أعسر بدين، وقيل: أمر به في صدر الإسلام، فإن ثبت هذا فهو نسخ، وإلا فليس بنسخ وقرأ الجمهور: ذو عسرة، على أن: كان، تامة، وهو قول سيبويه، وأبي علي، وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة، وأجاز بعض الكوفيين أن تكون: كان، ناقصة هنا. وقدر الخبر: وإن كان من غرمائكم ذو عسرة فحذف المجرور الذي هو الخبر، وقدر أيضا: وإن كان ذو عسرة لكم عليه حق، وحذف خبر كان لا يجوز عند أصحابنا، لا اقتصارا ولا اختصارا لعلة ذكروها في النحو. وقرأ أبي، وابن مسعود، وعثمان، وابن عباس ﷺ: ذا عسرة. وقرأ الأعمش: معسرا." (١) .

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [آل عمران: ١١١] حمل الواحدي رحمه الله تعالى قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ على الاستئناف، لا على العطف، وعلى ذلك يصبح تقدير الكلام: ثم هم لا ينصرون. قال الواحدي رحمه الله تعالى "وإنَّما لم يُحْتَمَلْ على العطف؛ لأنه غير مشاكل للمعطوف عليه؛ وذلك أن سبب التولية: القتال، وليس كذلك منعُ النصر؛ لأن سببه: الكفر. وأيضًا فإنه آخر آية فكان الرفعُ فيه أقوى؛ ليشاكل سائرَ الفواصل بالنُّون ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [المرسلات: ٣٦]" (٢).

نلاحظ هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى يرى أنحراف حرف العطف (ثم) لم يعطف الفعل (ينصرون) على الفعل (يولوكم)، ولو كان معطوفًا عليه لقيل: (ثم لا ينصروا). وعليه تكون جملة (لا ينصرون) خبرًا لمبتدأ محذوف، والتقدير: (ثم هم لا ينصرون). والذي حمل الواحدي رحمه الله تعالى على هذا توجيه إعراب الجملة على هذا الشكل هو سياق الآية، إذ لا يصح أن يعطف (لا ينصرون) على (يولوكم الأدبار)؛ لأن الأصل في المتعاطفين أن يتشاكلا من حيث المعنى، والفعل (لا ينصرون) لا يشاكل الفعل (يولوكم الأدبار)، فسبب تولية الأدبار هو القتال، أما عدم النصر فليس سببه القتال بل سببه الكفر، فلا يصح عطف الفعلين على بعضهما.

وقد وضح أبو حيان رحمه الله تعالى هذا المعنى فقال في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ : "هذا استئناف إخبار أنهم لا ينصرون أبداً، ولم يشرك في الجزاء فيجزم؛ لأنه ليس مرتباً على الشرط، بل التولية مترتبة على المقاتلة، والنصر منفي عنهم أبداً سواء قاتلوا أم لم يقاتلوا؛ إذ مَنْعُ النصر سبب الكفر، فهي جملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء.." (٣).

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٢ / ٧١٦.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٥/ ٥٠١-٥٠٢.

(٣) البحر المحيط في التفسير :٣/ ٣٠٤.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى قوى الواحدي رحمه الله تعالى الإعراب الذي وجه به الآية بفواصل الآيات، وهذا أسلوب من أساليب توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق في تفسير الآيات، فإن الآيات التي الآية المفسَّرة في سياقها تنتهي فواصلها بالنون، فاقتضى ذلك أن تكون فاصلة هذه الآية منتهية بالنون.

فسياق الآية اقتضى رفع الفعل (ينصرون) لفظًا [أي: لكون فواصل آياته تنتهي بالنون] ومعنى [لأنه لا يصح عطف الفعل (ينصرون) على الفعل (يولوكم)].

رابعًا: وقد يعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على تراكيب الآية وألفاظ وردت فيها في اختيار أحد المعاني التي تحتملها اللفظة، والنماذج الأتية توضح ذلك:

النموذج الأول : قوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ۝٧٢﴾ [الإسراء :٧٢] ، العمى: ذهاب البصر وقوم عمون من عمى القلب، وفي هذا المعنى يقال ما أعماه، ولا يقال، من عمى البصر، ما أعماه لأنه نعت ظاهر تدركه الأبصار، و العمى: عمى العين، ورجل عم وقوم عمون. والعماء: السحاب ممدود. وهؤلاء قوم في عميتهم وعمائهم، أي: جهلهم. (١) العمى يكون بمعنى عمى العين وكما يكون بمعنى عمى القلب لأنه يحجب عن القلب نور الإيمان والإسلام. وقد حمل الواحدي رحمه الله تعالى العمى في هذه الآية على عمى القلب، فقال: "والعمى في الآية المراد منه: عمى القلب، ولذلك جاز ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ بمعنى أشد عمى، ولو كان من عمى العين لم يجز أعمى بمعنى أشَدَّ عمى" (٢) بمعنى أن عمى العين لا تصح به المفاضلة. وافق الواحدي رحمه الله تعالى المعنى اللغوي من حيث عدم صحة المفاضلة والتعجب بعمى العين كما ذكرته آنفًا في المعنى اللغوي .

وذكر الطبري رحمه الله تعالى أنه لا يقصد به عمى العينين الذي لا تفاوت فيه فيقال فلان أعمى من فلان إلا بإدخال أشد أو أبين و ليس المقصود ذلك بل عنى به عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت، فإنما عمى قلوب الكفار عن حجج الله ﷻ التي قد عاينتها أبصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسن (٣) وكذلك قال الرازي رحمه الله تعالى: "لا شك أنه ليس المراد من قوله تعالى : ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ عمى البصر بل المراد منه عمى القلب" (٤). وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى "والمراد بالعمى في الدنيا الضلالة في الدين، أطلق عليها العمى على

---

(١) كتاب العين: ٢/٢٦٦ ، ومجمل اللغة لابن فارس : ١/٦٢٨.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٣/٤١٦.

(٣) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٥/ ١٢.

(٤) مفاتيح الغيب : ٢١/ ٣٧٧.

وجه الاستعارة. والمراد بالعمى في الآخرة ما ينشأ عن العمى من الحيرة واضطراب البال، فالأعمى أيضا مستعار لمشابه الأعمى بإحدى العلاقتين. ووصف أعمى في المرتين مراد به مجرد الوصف لا التفضيل. ولما كان وجه الشبه في أحوال الكافر في الآخرة أقوى منه في حاله في الدنيا أشير إلى شدة تلك الحالة بقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ القائم مقام صيغة التفضيل في العمى لكون وصف (أعمى) غير قابل لأن يصاغ بصيغة التفضيل لأنه جاء بصيغة التفضيل في حال الوصف" [(١)].
فنلاحظ جمهور المفسرين حملوا العمى على عمى القلب دون البصر لموافقته السياق.

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥/ ١٧٠.

الفصل الثاني

اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في الترجيح بين الأقوال ونقدها

توطئة:

تميز الواحدي رحمه الله تعالى بنظرة نقدية في تفسيره ؛ ولذلك وجدته في تفسيره لم يكتفِ بنقل الأقوال عن المفسرين، بل إنه كان حريصًا على نقد الأقوال، وبيان ما لها وما عليها، وقد تنوع أسلوب الواحدي رحمه الله تعالى في نقده للأقوال، فأحيانًا كان يكتفي بالتصريح بتضعيف الأقوال، وأحيانًا كان يميل إلى أحد الأقوال لكنه لا يصرح بترجيحه له، وأحيانًا أُخرى يصرح برجاحة أحد الأقوال على غيره ويصرح باختياره له.

وقد اعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على أُسس كثيرة في الترجيح، ومن بين هذه الأسس السياق، إذ اعتمد رحمه الله تعالى عليه كثيرًا في نقد الأقوال وبيان قوتها أو ضعفها بناءً على ذلك.

وفيما يأتي نماذج تطبيقية توضح منهجه رحمه الله تعالى في ذلك، مقسمة على ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التصريح بتضعيف الأقوال.

المبحث الثاني: الإشارة إلى ترجيح بعض الأقوال بدون تصريح.

المبحث الثالث: التصريح بترجيح بعض الأقوال

المبحث الأول: التصريح بتضعيف الأقوال.

ضعف الواحدي رحمه الله تعالى كثيرًا من الأقوال التي نقلها في تفسيره اعتمادًا على سياق الآيات، وكان اعتماده في ذلك على النحو الآتي:

أولاً: قد يعتمد على تعدية الفعل وطريقة وروده في الآية لإثبات أن سياق الآية في موضوع معين، وهذا الموضوع ينافي القول الذي يضعفه الواحدي رحمه الله تعالى ،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة :٣٤] بين الواحدي رحمه الله تعالى معنى السجود لغة، فقال: "أصل السجود في اللغة: الخضوع والتذلل... ثم قيل لكل من وضع جبهته على الأرض: سَجَدَ؛ لأنه غاية الخضوع" (١). ثم ذكر اختلاف المفسرين في كيفية سجود الملائكة لآدم، فقال جماعة: كان سجود الملائكة لآدم على جهة التكريم، فكان ذلك تكريمًا لآدم وطاعةً لله ﷻ ولم يكن عبادة لآدم. فكان السجود امتثالًا لأمر الله ﷻ وتكريمًا لأدم عليه السلام؛ لأنه ﷻ جعل ملائكته تخضع وتذل لآدم عليه السلام (٢). وقيل: كان سجود الملائكة لآدم على الحقيقة، جُعل آدمُ قبلةً لهم، والسجود لله ﷻ. وضعف الواحدي رحمه الله تعالى هذا القول الأخير اعتمادًا على السياق، فقال: "إلا أن هذا ضعيف؛ لأنه لو كان لقيل: اسجدوا إلى آدم" (٣)، ونقل قول أُبَيٍّ بن كعب: "أَقِرُّوا لآدم أنه خير وأكرم عليَّ منكم، واخضعوا له وكونوا تحت أمره" (٤)، ثم علق عليه قائلًا: "وهذا المعنى موافق لأصل اللغة" (٥).

في هذا الكلام نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى وظف الطريقة التي ورد فيها الفعل (اسجدوا) في نقد مذهب من ذهب إلى أن السجود لم يكن لآدم عليه السلام ، وإنما آدم كان قبلةً للسجود، فضعَّف الواحدي هذا القول؛ لأنه منافٍ للمعنى الظاهر من تعدية الفعل (اسجدوا) بحرف الجر (اللام)، فهناك فرق بين (اسجدوا لآدم) وبين (اسجدوا إلى آدم) كما هو ظاهر. وفي هذا بيان أن سياق الآيات هو في بيان تكريم الله ﷻ لآدم عليه السلام ، ولذلك فقول من قال: (إن آدم كان قبلةً للسجود) ينافي هذا الغرض ولا يتفق مع السياق. قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى "وفي صفة سجودهم لآدم قولان: أحدهما: أنه على صفة سجود الصلاة، وهو الأظهر، والثاني :أنه الانحناء والميل المساوي

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢/ ٢٦٢-٢٦٤.

(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١/ ٥٤٦ قاله قتادة.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن :١/١٨٠.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط:٢/ ٣٦٦.

للركوع." [١] والراجح عنده أن السجود حقيقي لا الانحناء المقارب للركوع. ونقل الرازي رحمه الله تعالى إجماع المفسرين على أن السجود كان سجود تكريم لا سجود عبادة والخلاف وقع في كيفية السجود ثم ردَّ على قول الواحدي رحمه الله تعالى بقوله فإن قيل لو كان آدم قبلة لقيل إلى آدم ولا يقال ﴿لِآدَمَ﴾ فكيف لا يجوز ذلك وقد جاز في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾[الإسراء جزء من الآية : ٧٨]

والصلاة لله لا للدلوك .فإذا جاز ذلك فلِمَ لا يجوز أن يقال صليت للقبلة مع أن الصلاة تكون لله ﷻ لا للقبلة، وإن قيل كون آدم عليه السلام قبلة يُنافي صفة تكريم الله ﷻ له على إبليس فنقول إنَّ الكعبةَ كانت قبلة رسول الله ﷺ وهو أعظم منها؟! والقول الثاني ان السجود كان تحية وسلام لآدم على عادة العرب في الجاهلية [٢] والقول الثالث السجود كان انحناء وخضوع لا وضع الجبهة على الأرض وهذا ينافي معنى السجود في الشرع ولا يصح مناقضة المعنى اللغوي للمعنى الشرعي فرجح الرازي رحمه الله تعالى ان يكون آدم قبلة والسجود لله ﷻ [٣] قال القرطبي رحمه الله تعالى "واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة، فقال الجمهور: كان هذا أمرا للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة، لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع، وعلى هذا قيل: كان ذلك السجود تكريما لآدم وإظهارا لفضله، وطاعة لله تعالى ، وكان آدم كالقبلة لنا. ومعنى" لآدم": إلى آدم، كما يقال صلى للقبلة، أي إلى القبلة. وقال قوم: لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الأرض ولكنه مبقى على أصل اللغة، فهو من التذلل والانقياد، أي اخضعوا لآدم وأقروا له بالفضل. (فسجدوا) أي امتثلوا ما أمروا به" [٤] نلاحظ القرطبي يتفق مع الرازي رحمهم الله تعالى في أنَّ السجود لله وآدم قبلة لهم ، وقال الشعبي: "إنما كان آدم كالقبلة، ومعنى لآدم إلى آدم " [٥]. وعلى هذا يكون السجود حقيقة لا تحية ولا انحناء

ثانيًا: أحيانًا كثيرة نرى الواحدي رحمه الله تعالى يضعف القول الذي ينافي وحدة السياق، ويؤدي إلى عدم تناسق وتناسب التعابير الواردة في السياق، فالأصل الذي يعتمد عليه رحمه الله تعالى كثيرًا في تضعيف الأقوال التي ينقلها هو أن المِثْلَ يُقابَلُ بمثيله، والضِّدَ بضِدِّهِ.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ١/٥٤.

(٢) وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: «إنما كان سجود تحية كسجود أبوي يوسف عليه السلام لا سجود عبادة» . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :١/ ١٢٤.

(٣) يُنظر : مفاتيح الغيب : ٢/ ٤٢٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن :١/ ٢٩٣.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٢٤.

النموذج الأول : قوله تعالى ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة جزء من الآية : ٢٨٢] إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى (فتذكر) [١] قرئ بالتشديد (فتُذَكِّرَ) والتخفيف (فتُذْكِرَ) [٢]، وقد بين أن كلتا القراءتين معناهما واحد، قال: "وعامة المفسرين على أن هذا التذكير و الا ذكار من النسيان" [٣]. ثم ذكر أنه روي عن سفيان بن عُيَيْنَة [٤] أنه فسر قوله تعالى ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ بمعنى: أنها إذا شهدت مع أخرى صارت شهادتهما كشهادة ذَكَر (أي: كشهادة رجل) [٥]، وقد روي هذا أيضًا عن أبي عمرو بن العلاء [٦] وضعف الواحدي رحمه الله تعالى هذا التفسير لأسباب منها أنه قوبل في الآية بقوله تعالى ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ ومعنى الضلال هنا النسيان، والذي ينبغي أن يعادله هو ما يقابل النسيان من التذكير [٧].

وفي هذا يظهر لنا أن الواحدي رحمه الله تعالى رفض التفسير المروي عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى استنادًا إلى سياق الآية، لتتناسب تعابيرها، وتتناسق تراكيبها، فالسياق قابل قوله تعالى : ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ بقوله: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ ومعلوم أن الأصل تناسب العناصر المتقابلة في السياق الواحد، ومعلوم أن الضلال (الذي يعني هنا النسيان) يناسبه التذكير الذي هو ضد النسيان، لا التذكير بالمعنى الذي ذكره سفيان بن عيينة فيما روي عنه. قال الطبري مضعفًا قول ابن عُيَيْنة " وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه، فتأويل خطأ لا معنى له لوجوه شتى: أحدها: أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل، والثاني: أنه معلوم بأن ضلال إحدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها إنما هو خطوها عنها بنسيانها إياها كضلال الرجل في دينه إذا تحير فيه فعدل عن الحق، وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكرا معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها؟ فالضالة منهما في شهادتها حينئذ لا شك أنها إلى التذكير أحوج منها إلى الأذكار، إلا إن أراد أن الذاكرة إذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها ستجرئها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته،" [٨] قال أبو حيان رحمه الله تعالى "فقال

---

(١) قرأ ابن كثير وأبوعمرو بتخفيف الكاف،وقرأ الباقون بالتشديد. ينظر: كتاب السبعة في القراءات: ١٩٣ ، و الحجة للقراء السبعة: ٢/ ٤١٩.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤/ ٥٠٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٥٠١.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ٨٩ ، وفي الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٢/ ٢٩٥ ، و زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٢٥١ معناه .

(٥) ينظر: التفسير البسيط: ٤/ ٥٠١.

(٦) زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٢٥١ ، و البحر المحيط في التفسير ٢/ ٧٣٣.

(٧) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٤/ ٥٠٢.

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ٩١.

الزمخشري [١]: من بدع التفاسير وقال ابن عطية [٢]: هذا تأويل بعيد غير صحيح، ولا يحسن في مقابلة الضلال إلا الذكر. انتهى." ثم قال لما أبهم فاعل الضلال أبهم بالمقابل فاعل الأذكار فإذا نست إحداهما ذكرت الأخرى وبالعكس فالتعبير القرآني على العموم لعدم ظهور الفاعل ولو الفاعل لتعين بإحداهما التذكير [٣] يتبين لنا أن الواحدي وافق الجمهور في تضعيف قول سفيان بن عينة،

ومما يتصل بهذا الموضوع أن الواحدي رحمه الله تعالى ضعف بعض الأقوال اعتمادًا على أساس اتحاد معاني اللفظة التي تتكرر في السياق الواحد إذا وردت على سبيل العطف،

النموذج الثاني : في قوله تعالى ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران جزء من الآية: ١١٢]، إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير (حبل الله) هنا أنه سبق أن بين معنى الحبل في الآية الثالثة بعد المئة من آل عمران [٤]، ثم ذكر أن بعض المفسرين ذهب إلى أن حبل الله ﷻ هنا الإسلام؛ يعني إلا أنْ يُسْلِمُوا [٥].

وضعف الواحدي رحمه الله تعالى هذا القول بدلالة السياق فقال: "وهذا بعيد؛ لعطف (حبل الناس) عليه، وإذا أسلموا استغنوا عن حَبْلِ الناس، ولو أرادَ الله ﷻ بالحبل الأوَّل: الإسلام، وبالثاني: الذِّمَّة؛ لقالَ: (أو حبل من الناس)، ولكن الصحيح: أن كلا الحبلين المراد به العهد والذِّمَّة والأمان، كما قال ابن عباس ﷺ يريد: بعهد مِنَ الله وعهد مِنَ المؤمنين. وهذا ما ذهب إليه مجاهد وقتادة والسُّدي وابن زيد والضحاك والربيع ﷺ [٦] وإنما ذكر الله ﷻ حبل الله مع حبل المؤمنين؛ لأن الأمان الذي يأخذونه من المؤمنين هو بإذن الله تعالى ، فهو أمانٌ مِن جهته " [٧].

هذا النص يؤكد منهج الواحدي رحمه الله تعالى الثابت في الاعتماد على السياق اعتمادًا كبيرًا في تحديد معاني الآيات القرآنية وألفاظها وفي نقد الأقوال التفسيرية، فنراه هنا يضعف قولًا تفسيريًا؛ لأنه ينافي سياق الآية؛ إذ إن الأصل اشتراك المتعاطفات في المعنى للحفاظ على الوحدة الموضوعية للآية، فوحدة السياق الموضوعية أصل أصيل عند الواحدي رحمه الله تعالى لا يمكن

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٣٢٦.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :١/ ٣٨٢.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٢/ ٧٣٤.

(٤) بين الواحدي هناك أن معنى حبل الله: العهد، وفصل القول في ذلك. ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٥/ ٥٦٩ – ٥٧١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٥/ ٥٠٧-٥٠٨.

(٦) أخرجه الطبري رحمه الله في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ٦٨٢-٦٨٣ ، و يُنظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ٣/ ٧٣٥ و تفسير القرآن العظيم : ٢ / ١٠٤ ، و الدر المنثور، ٢/ ٢٩٦.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٥/ ٥٠٨. وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/ ٤٠٢.

إغفاله. فالحبل هو الذمَّة و العهد الذي يأمنون فيه على أموالهم وأنفسهم من الله ﷻ ومن محمد ﷺ والمؤمنين حيثما لقوا في بلاد المسلمين ولا سبيل لهم غيره ووجه الشبه بين الحبل والعهد كليهما يصل بين طرفين [١] وكذلك قال الرازي رحمه الله تعالى "والمراد إلا بعهد من الله وعصمة وذمام من الله ومن المؤمنين لأن عند ذلك تزول الأحكام، فلا قتل ولا غنيمة ولا سبي" [٢]

ثالثًا : قد يضعف الواحدي رحمه الله تعالى أقوالًا؛ لأنها تخالف ألفاظًا أو تراكيبَ وردتْ في السياق وتتنافى معها،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾[الأنعام: ١٢١] ، إذ نقل الواحدي عن المفسرين أنهم حملوا قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ على الميتة، يعني: ما لم يُذَكَّ ومات قبل أن تُدْرَك ذَكَاته أو ذُبح لغير الله؛ قاله ابن عباس ﵄ [٣] وقال الزجاج: مما لم يخلص ذبحه لله. [٤]

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى قول من ذهب أن المقصود الميتة بدلالة السياق فقال: "إن جميع المفسرين فسروا الآية بالميتة وأشباهها مما ذكره ابن عباس، ولم يحملها أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية. وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة، منها قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية بالإجماع [٥]، وإنما التفسيق في أكل الميتة مع اعتقاد التحريم، ومنها قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾ وهذه المناظرة إنما كانت في مسألة الميتة بإجماع من أهل التفسير لا في هذه المسألة، ومنها قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله

---

(١) يُنظَر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/ ٦٨١ ، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٣/ ١٢٩، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٤٠٢، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤٩١.

(٢) مفاتيح الغيب : ٨/ ٣٢٨ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩/ ٥٢٣ ، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٤/ ١٣٧٨ و الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢/ ٣١٦ و معالم التنزيل في تفسير القرآن :٣/ ١٨٣ و زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ٧٢ البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٦٣٣و الدر المنثور: ٣/ ٣٤٩.

(٤) معاني القرآن وإعرابه :٢/ ٢٨٧.

(٥) يُنظر : مفاتيح الغيب : ١٣/ ١٣١.

عليها" [1] وقال الكلبي: يعني ما لم يذكّ، أو ذبح لغير الله، وقال عطاء: نهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان. [2]

هنا ظهرت براعة الواحدي رحمه الله تعالى في تضعيف الأقوال التفسيرية اعتمادًا على سياق الآية ودلالات عباراتها، بحيث تعضد كل عبارة في الآية أختها وتبين معناها وتحدد مفهومها. و قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى "وفي المراد بما لم يذكر اسم الله عليه أربعة أقوال: أحدها: أنه الميتة، رواه ابن جبير عن ابن عباس. والثاني: أنه الميتة والمنخنقة، إلى قوله تعالى : وما ذبح على النصب، روي عن ابن عباس رضي الله عنه.
والثالث: أنها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها، قاله عطاء. والرابع: أنه عام فيما لم يسم الله عند ذبحه و إلى هذا المعنى ذهب عبد الله بن يزيد الخطمي، ومحمد بن سيرين." [3] قال ابن عطية رحمه الله تعالى "المقصد بهذه الآية النهي عن الميتة إذ هي جواب لقول المشركين تتركون ما قتل الله، والنهي أيضا عما ذبح للأنصاب، ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه من ذبح الإسلام،" [4] ذهب المفسرون ان اللفظ عام يشمل الميتة ومالم يذكر اسم الله عليه.

رابعًا: يعتمد الواحدي رحمه الله تعالى كثيرًا على السباق أو اللحاق أو كليهما في تضعيف الأقوال، **النموذج الأول** : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾ [الاعراف ١٩٤]، إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى عن المفسرين أنهم قالوا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (يعني: الأصنام)، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه: (يريد: الملائكة) [5]، وقد ضعف القول الثاني من جهتين الأولى ان المشركين في زمن النبي ﷺ يعبدون الأصنام لا الملائكة والآية خطاب لهم والثانية بناءً على سياق الآية التالية بقوله: " ولأنه تعالى قال بعد هذه الآية : ﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ ﴾[الأعراف:١٩٥] الآية ، فدلت هذه أنه يريد الأصنام التي هي جماد لا توصف بالأيدي الباطشة والأرجل الماشية" [6].

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٨/٤٠٢-٤٠٣.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد :٢/ ٣١٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ٧٢.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٣٤٠ وينظر : مفاتيح الغيب : ١٣/ ١٣٠ والبحر المحيط في التفسير: ٤/٢١٥ .

(٥) ذكر نحوه عن مقاتل ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣/ ٣١٥ ، و لباب التأويل في معاني التنزيل :٢/ ٢٨٢.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٩/ ٥٢٨ .

فاعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على اللحاق، وهو أمر مهم تجب مراعاته في تفسير الآيات، وقد وظفه الواحدي في نقد الأقوال وتضعيفها، كما فعل هنا. يقول الله ﷻ للمشركين هذه الأصنام التي تعبدونها من دوني هل يملكون لكم نفعًا أو يدفعون عنكم ضرًا أو يستجيبون دعائكم وندائكم إذا دعوتموهم وهم لا يسمعون ولا يبصرون فأيقنوا أنها لا تملك نفعا ولا تدفَع ضرًا ولا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى يعني الأصنام لا يتبعوكم لأنها غير عاقلة سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ساكتون لأن المالك إذا سُئل أعطى وإذا دُعيَ أجاب فهذه عباد أمثالكم يعني: مخلوقين مملوكين مسخرين مذللين أشباهكم وليسوا بآلهة فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين أنها آلهة. (١)

ومن اعتماد الواحدي على السباق ما جاء في تفسير :

النموذج الثاني : قوله تعالى :﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ ﴾[الرعد: ١٤] ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ ﴾ بمعنى له كلمة الإخلاص والتوحيد فالله ﷻ له دعوة الحق من خلقه ؛لأن عبادة الله وحده وعدم الاشراك به هو الحق، والقول الثاني من وحد الله وأخلص العبادة له تستجاب دعوته وعلى هذا تكون الدعوة بمعنى الدعوات وهو الراجح عند الواحدي رحمه الله تعالى لمناسبته السياق "وهذا هو الوجه؛ وهو الأليق بما بعده من سياق الآية؛ لأنه ذكر أن الأصنام لا يستجيبون للداعين، فقال:﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ يعني الأصنام، يدعونها المشركون من دون الله، في قوله تعالى : ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ " (٢) ورجحه البيضاوي رحمه الله تعالى بقوله "له دعوة الحقِّ الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه، ويؤيده ما بعده" (٣)، وما بعده السياق اللاحق فنلاحظ البيضاوي وافق الواحدي رحمهم الله تعالى في ترجيح القول الثاني والاعتماد على السياق اللاحق للنص المقصود بالدراسة.

ثم ذكر الواحدي قولين عن ابن عباس ﷺ : القول الأول من رواية عطاء عنه: أن المراد عبادة الكافرين للأصنام في ضلال، والقول الثاني من رواية جويبر عن ابن عباس (٤) أن المعنى: وما دعاء الكافرين لربهم إلا في ضلال؛ لأن أصواتهم محجوبة عن الله، وقد ضعف الواحدي رحمه الله تعالى القول الثاني، فقال: " وهذا التفسير لا يليق بما سبق من الآية؛ لأنه ذُكر في الآية دعاء

---

(١) يُنظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٠/ ٦٣٥ و معاني القرآن للنَّحاس:٣/ ١١٧ و بحر العلوم :١/ ٥٧٥ ، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٤/ ٣١٧.

(٢) يُنظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٢/ ٣٢٣.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ١٨٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٣٠١.

الكافرين الأصنام، وهو قوله: :﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ ، والذمُّ لاحِقٌ بذلك الدعاء، وهو دعاؤهم إياها، ولم يذكر دعاءهم الله ﷻ . وجويبر ضعيف، والصحيح ما ذكرنا في رواية عطاء، ولعل ما رواه جويبر رواه في نظير هذه الآية في المؤمن﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر جزء من الآية: ٥٠]، وذلك صحيح المعنى في تلك السورة " [١]

في هذا النص نلاحظ أن الواحدي ضعف القول الثاني المروي عن ابن عباس درايةً وروايةً، أما من حيث الدراية فإنه اعتمد على السياق، فسياق الآية في ذكر دعاء الكافرين لآلهتهم وذمهم بذلك، وليس السياق في بيان مصير دعاء الكافرين لله، والدليل على ذلك أن الآية افتتحت بقوله ﷻ:﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾ . وأما من حيث الرواية فإن جويبرًا الراوي عن ابن عباس ضعيف ونلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى قدم النقد على أساس الدراية على النقد على أساس الرواية. وصفه ﷻ في ضلال ؛لأنه على غير استقامة و لا هدى لا حق ؛لأنه يشرك بالله فدعواهم في ضياع لا يفيد ولا يغني ولا ينفع ولا يدفع عنهم ضرا لأنهم يدعون من لا يستجيب لهم لكون آلهتهم لا تجيب دعواهم [٢]

النموذج الثالث : قوله تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤١ ﴾[الرعد: ٤١] إذ نقل قولين للمفسرين في تفسير قوله تعالى : ﴿ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ ﴾ : الأول قول ابن عباس والحسن والضحاك رضي الله عنهم [٣]
وأبي إسحاق الزجاج [٤] و الفراء [٥]: ألم يرَ كفار مكة انفتاح البلاد الإسلامية واتساع رقعتها لمحمد ﷺ وأصحابه ودخول الكثير من أهل القرى المجاورة لمكة في الاسلام وتحقيق ما وعد الله ﷻ من نصرة جنده وغلبتهم وقهر أعدائه وذلهم، فالمعنى: ننقصها بالفتوح على المسلمين منها فكيف لا يعتبرون؟!

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٢/ ٣٢٥.

(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٣/ ٤٩١، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٥٢١، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٣٠٥، و الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٣٠١ و أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٣/ ١٨٤.

(٣) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٣/٥٧٤ –٥٧٥ ، وزاد المسير في علم التفسير:٢/٥٠١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٩/٣٣٤ ، والدر المنثور: ٤/٦٦٦ .

(٤) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ١٥١.

(٥) يُنظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٦٦.

والقول الثاني قول ابن عباس رضي الله عنه (١) في رواية أخرى ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ خراب القرية بموت خيار أهلها من العلماء والفقهاء ونقص الثمرات والخيرات ويكون العمران في ناحية والخراب في ناحية غيرها، فيعتبر مشركو مكة بما حل بهم من العذاب والخراب. ونحو هذا قال مجاهد (٢)، وعلى هذا المراد بالأطراف الأشراف؛ قال بعض أهل اللغة: الطّرَف والطَّرْف من الرجال الكريم، والمعنى: أو لا يخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك، فنهلكهم ونخرب أرضهم (٣).

ورجح الواحدي القول الأول وضعف القول الثاني، فقال: "والتفسير على القول الأول؛ لأن هذا وإن صح لا يليق بهذا الموضع" (٤) ، أي: لا يليق بسياق الآية، وذلك لأن الله تعالى قال في الآية التي قبل هذه الآية: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الرعد :٤٠] وهذا ظاهر في أن سياق الآية في بيان ما وعد الله ﷻ به من نصر المؤمنين وقهر الكافرين، فجاءت هذه الآية كالدليل والبرهان على قرب حصول ما وعد الله به، فذكر أن في فتح الله البلاد للمؤمنين ونصرهم على الكافرين دليلاً وبرهاناً على قرب ذلك.

لذلك ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المعنى الذي ذُكر في القول الثاني وإن صح من حيث اللغة، إلا أنه لما خالف سياق الآية كان قولًا ضعيفًا لا يصح التعويل عليه.

ونحن نلاحظ هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى قدَّم دلالة السياق على دلالة اللغة، فالنص القرآني قد يحتمل معنى لغةً، لكن الواحدي رحمه الله تعالى لا يقبله ويرفضه بسبب عدم ملائمته لسياق الآية وسباقها ولحاقها. وهذا يؤكد على حقيقة مهمة، وهي أن الواحدي رحمه الله تعالى ـ مع كونه من علماء اللغة ـ يرفض تفسير القرآن بمجرد اللغة دون النظر إلى مصادر التفسير الأخرى كالسياق مثلًا، وقد بين ابن تيمية أن من أسباب الخطأ في التفسير هو تفسير القرآن "بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه ، من غير نظر إلى المتكلِّم بالقرآن والمنزَّل عليه والمخاطَب به... راعوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به عندهم العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام" (٥).

وضعف الإمام الرازي قول الواحدي رحمهم الله تعالى قائلًا: " وهذا القول وإن احتمله اللفظ إلا أن اللائق بهذا الموضع هو الوجه الأول. ويمكن أن يقال هذا الوجه أيضا لا يليق بهذا الموضع، وتقريره أن يقال: أولم يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة، وموت بعد حياة، وذل بعد عز، ونقص بعد كمال، وإذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذي يؤمنهم من

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٥٧٦/١٣ .

(٢) يُنظر: تفسير مجاهد: ٤٠٩.

(٣) يُنظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٢/ ٣٨٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) مقدمة في أصول التفسير:٣٣.

أن يقلب الله الأمر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد أن كانوا عزيزين، ويجعلهم مقهورين بعد أن كانوا قاهرين، وعلى هذا الوجه فيحسن اتصال هذا الكلام بما قبله،" (١) ، ورجح أبو حيان رحمه الله تعالى الأول بقوله: "والمناسب من هذه الأقوال هو الأول. ولم يذكر الزمخشري (٢) إلا ما هو قريب منه قال: نأتي الأرض أرض الكفر ننقصها من أطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم، فينقص دار الحرب، ويزيد في دار الإسلام، وذلك من آيات الغلبة والنصرة. ونحوه:

قوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنبياء جزء من الآية :٤٤] ، و قوله تعالى :﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣]

والمعنى: عليك بالبلاغ الذي حملته، ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه، ونتم ما وعدناك من الظفر، ولا يضجرك تأخره، فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها، ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر. ويتجه قول من قال: النقص بموت الأشراف والعلماء والخيار وتقريره: أو لم يروا أنا نحدث في الدنيا من الاختلافات خرابا بعد عماره، وموتا بعد حياة، وذلا بعد عز، ونقصا بعد كمال، وهذه تغييرات مدركة بالحس. فما الذي يؤمنهم أن يقلب الله الأمر عليهم ويصيرون ذليلين بعد أن كانوا قاهرين." (٣).

النموذج الرابع : في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[الصافات : ١٣٠] إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أقوال المفسرين في قوله تعالى ﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾فقال ابن عباس ﷺ يريد إلياس ومن معه (٤)؛ لأن الياسين إنما هو بمعنى إلياس أو بمعنى إلياس وأتباعه، وأريد به إدريس عليه السلام على ما ذكره عكرمة والسدي (٥) ، وقد ذكر الكلبي (٦) في تفسيره أن معنى (إل ياسين):

---

(١) مفاتيح الغيب: ٥٣/١٩.

(٢) يُنظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ٥٣٥.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٤٠١/٦.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٣/ ٥٣٢، وقد ذكر هذا القول أكثر المفسرين لكنهم لم ينسبوه لابن عباس. ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٢٣/ ٩٤، النكت والعيون: ٥/ ٦٥، و الجامع لأحكام القرآن : ١٥/ ١١٨.

(٥) لم أقف عليه فيما بين يديَّ من المصادر، ووجدتُ نحوه عن ابن عباس وقتادة ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون : ٥/ ٦٤.

(٦) وذكر نحوه عن ابن عباس ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ١٠/ ٣٢٢٥، و الدر المنثور: ٧/ ١٢٠.

سلام على آل محمد ﷺ [1]. قال الواحدي مضعفًا قول الكلبي: " وهذا بعيد؛ لأن ما قبله من الكلام وما بعده لا يدل عليه" [2].

فنلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى لا يرتضي الأقوال التي تؤدي إلى إخراج الآية عن سياقها، فالسياق (سباق الآية ولحاقها) ضابط مهم عند الواحدي في بيان معاني الآيات القرآنية ونقد الأقوال الواردة في تفسيرها. فالآيات القرآنية في سياق قصة ياسين عليه السلام ولا ذكر لمحمد ﷺ ؛ لذلك لا يصح صرف المعنى عن مقصود الكلام، ولا يناسب نظم القصة [3]. فنلاحظ جمهور المفسرين ضعفوا قول الكلبي لعدم موافقته السياق.

خامسًا: اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على اقتناص المعنى المراد الذي يشير إليه سياق الآية وتعابيرها، وبناءً على ذلك يضعف الواحدي رحمه الله تعالى الأقوال التي تنافي هذا المعنى المقتنص أو المستنبط؛ لأنها تنافي السياق.

النموذج الأول : قوله تعالى :﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد: ٤] إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى [4] أقوال المفسرين في معنى ﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾القول الاول قول قتادة [5]: قرى قريب بعضها من بعض، ومعنى المتجاورات: المتدانيات القريب بعضها من بعض. والقول الثاني قول مجاهد وابن عباس والضحاك [6] والفراء [7]: يعني في الأرض منها عذبة ومنها مالحة، ومنها طيبة تنبت، ومنها سبخة لا تنبت، وضعف الواحدي رحمه الله تعالى هذا القول بالسياق قائلاً: "ولا دليل في الآية على ما ذكروا؛ لأن قوله﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ليس فيه ما يدل على اختلافها في العذوبة والملوحة، وإنما تتبين الفائدة عند قوله: ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾وقد كشف ابن الأنباري في كتابه على هذا، فموضع الآية ومحل الأعجوبة: أن القطع

---

(١) معاني القرآن للفراء : ٢/ ٣٩٢.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٩/ ١٠٣.

(٣) يُنظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٧/ ٥٩ و الجامع لأحكام القرآن :١٥/ ١٢٠، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ١٨.

(٤) يُنظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٢/٢٨٧-٢٨٨.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٣/ ٤١٨، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٧/ ٢٢٢٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٣/ ٤١٨.

(٧) يُنظر: معاني القرآن للفراء : ٢/ ٥٨.

المتجاورة تُنْبِتُ نباتًا مختلفًا؛ منه الحلو والعذب والحامض البعيد من الحلاوة، وشِرْبها واحد ومكانها مجتمع لا تفاوت بينها ولا تباين، وفي هذا أوضح آية على نفاذ قدرة الله" (١).

نرى هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى لمح أن في الآية إشارة إلى التعجيب من كون القطع متجاورة، وتُسقى بماء واحد، ومع ذلك تنبت نباتًا مختلفًا في اللون والطعم، فقوله تعالى : ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾يشير إلى المعنى الذي يرمي إليه سياق الآية، فسياق الآية يدل على أن الاختلاف في الطعم لا في كون الأرض صالحة وغير صالحة، وهذا ظاهر مما هو مذكور في الآية، وهذا المعنى يلائمه تفسير من فسر قوله تعالى ﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾بأنها قطع قريبٌ بعضها من بعض. أما القول الثاني في تفسير ﴿ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾الذي نقله الواحدي رحمه الله تعالى فإنه لا يتوافق مع مقصود الآية، ولا يتناسب مع قوله تعالى : ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ فالمجاورة والسقي بماء واحد تدل على وجودها في أرض واحدة لا اختلاف الارض، قال المفسرون: بقاع وأجزاء وأبعاض مختلفة، مع كونها متجاورة متلاصقة ويقرب بعضها من بعض بالجوار ويختلف بالتفاضل، ومنها طيبة منبتة ومنها سبخة لا تنبت، فالمجاورة في الارض والنباتات، طيبة إلى سبخة، وكريمة إلى زهيدة، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع إلى أخرى على عكسها، مع انتظامها جميعا في جنس الأرضية. وذلك دليل على قادر مريد، مُوقِعٍ لأفعاله على وجه دون وجه.

وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع، مختلفة الأجناس والأنواع، وهي تسقى بماء واحد، وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها، فالاختلاف واقع في الارض بعضها ينبت والبعض الآخر غير صالح للإنبات والنباتات تختلف في الطعوم والروائح (٢).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢٨٨/١٢.

(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٣/ ٤١٥، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٥١٢ ، و البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٣٤٨، و تفسير القرآن العظيم :٤/ ٤٣١.

المبحث الثاني : الإشارة إلى ترجيح بعض الأقوال بدون تصريح

خلال قراءتي لتفسير الواحدي رحمه الله تعالى لتبيُّن منهجه في تعامله مع الأقوال التي ينقلها في تفسيره في ضوء السياق، رأيتُ أنه في كثير من الأحيان يستدل لبعض الأقوال دون التصريح باختياره أو ترجيحه لهذه الأقوال، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولًا: من ذلك أنه قد يشير إلى تقوية أحد الأقوال التي ينقلها، معتمدًا على الموضوع الذي سيقت الآية من أجله، وبعبارة أخرى: معتمدًا على السياق الذي وردت الآية فيه،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة : ٤٣]

بين الواحدي رحمه الله تعالى أن أصل الركوع في اللغة: الانحناء، وكل شيء ينكب لوجهه وتمس ركبته الأرض أو لا تمسها بعد أن يخفض رأسه فهو راكع، ثم نقل عن المفسرين أنهم فسروا الركوع بالصلاة، أي: صلوا مع المصلين، كما روي عن مجاهدﷺ (١). ثم ذكر الاختلاف في سبب التعبير عن الصلاة بالركوع، فقيل: لأن الركوع ركن من أركانها، وقيل: لأنه أول ما يشاهد مما يدل على أن الإنسان في صلاة هو الركوع، وقيل: لأنه أراد الحث على إقامة صلاة الجماعة. ثم قال: "وقيل: لأنه لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوع، فذكر ما اختص بشريعة الإسلام" ثم أشار إلى ما يقوي ويؤيد هذا القول فقال: "والآية خطاب لليهود" (٢).

هنا نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد على سياق الآية في بيان علة التعبير فيها، فأشار إلى أن أنسب الأقوال المذكورة في سبب التعبير عن الصلاة بالركوع في الآية هو ذكر خصيصة من خصائص الدين الإسلامي؛ لأن الآية وردت في سياق خطاب اليهود، فناسب ذكر ما هو من خصائص الدين الإسلامي مما لا يوجد في دين اليهود، وهذا من روائع الواحدي رحمه الله تعالى في المقارنة بين الأقوال وبيان ما فيها من نقاط القوة أو الضعف.

وذكر بعض المفسرين أن الله تعالى أمر اليهود بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يصلوا مع المصلين جماعة من أصحاب رسول الله محمد ﷺ في الجماعات، لا منفردين ليكونوا معهم ومنهم. وعبر عن الصلاة بالركوع كما عبر عنها بالسجود تسمية للكل بالجزء، ويجوز أن يراد به حقيقة الركوع؛

---

(١) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١/١٠٠ .

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢/ ٤٤٧-٤٤٨. وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٢٧٤ - ٢٧٥، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/١٣٣، و معالم التنزيل في تفسير القرآن : ١/ ٨٨، وزاد المسير في علم التفسير: ١/٧٥، والجامع لأحكام القرآن: ١/٣٤٥. وفسر الطبري الركوع: بالخضوع لله بالطاعة فهو أمر لبني إسرائيل بالخضوع لله بالطاعة :١/ ٢٥٧، وذكر نحوه الزمخشري: ١/ ٢٧٧.

لأن صلاة اليهود لا ركوع فيها فأمرهم أن يركعوا مع الراكعين منهم بعد أن أمرهم بالزكاة وإقامة الصلاة، ويستعار الركوع أيضا في الانحطاط في المنزلة، فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وأمرا بالتذلل [١].

والذي أراه أنه ذُكر الركوع لكون الخطاب لليهود وليس في دينهم الركوع الذي هو من خصائص دين الإسلام، فناسب ذِكْر ما هو من خصائص الإسلام، والذي سوَّغ ذلك هو أن العرب تطلق اسم الجزء وتريد به الكل. وهذا هو معنى كلام الواحدي رحمه الله تعالى .

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الاحزاب :٣٣]، إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى اختلاف المفسرين في المقصود بأهل البيت الوارد ذكرهم في الآية في قوله تعالى : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾
فذهب ابن عباس ﷺ في رواية سعيد بن جبير، وعكرمة ومقاتل [٢] والكلبي [٣] إلى أن المقصود بأهل البيت نساء النبي ﷺ ، وذهب فريق آخر من المفسرين منهم أبو سعيد الخدري [٤] إلى أن المقصود بأهل البيت في الآية: النبي ﷺ وفاطمة وعلي والحسن والحسين ﷺ [٥].
قال الواحدي رحمه الله تعالى في القول الأول: "وهؤلاء احتجوا بما تقدم من الخطاب وما تأخر، وهو قوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ ﴾[الأحزاب جزء من الآية: ٣٤] الآية، وكل ذلك خطاب لأزواج رسول الله ﷺ خاصة. قالوا: وإنما ذكر الخطاب في قوله: عنكم ويطهركم؛ لأن رسول الله ﷺ كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غُلِّب المذكر" [٦].
فذكر الواحدي رحمه الله تعالى دليل هذا القول من السياق الذي وردت فيه الآية، لأنه في خطاب نساء النبي ﷺ، والأصل اتحاد موضوع السياق الواحد في القرآن الكريم، ولا يصح إخراج الآية عن سياقها وعزلها عنه، وعلى ذلك لابد من أن يكون الخطاب الوارد في الآية لنساء النبي ﷺ .

---

(١) يُنظر: بحر العلوم : ٤٨/١ والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٣٣/١، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٣٦ والبحر المحيط في التفسير: ٢٩٢/١ وتفسير القرآن العظيم :٢٤٦/١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان : ٤٨٩.
(٣) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٠٧/١٩ وذكر الطبري روايات أخرى عن عائشة وأم سلمة وعلي ﷺ تؤيد هذا القول ، وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣١٣١/٩.
(٤) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٣١٣١/٩.
(٥) يُنظر: التفسير البسيط: ١٨/ ٢٣٩-٢٤٠.
(٦) المصدر نفسه. و يُنظر: البحر المحيط في التفسير:٢٢٤/٧.

وقد ذكر الواحدي رحمه الله تعالى الدليل الذي استدل به أصحاب القول الثاني، فذكر حديث الكساء [١] الذي تضمن أن النبي ﷺ جمع فاطمة وعليًا والحسن والحسين ﷺ جميعًا بكساء وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً" [٢]، ثم قال الواحدي رحمه الله تعالى: "وهذا لا يدل على أن هذه الآية خاصة فيهم؛ لأن هذه الرواية تدل على أن النبي ﷺ دعا لهم بهذا الدعاء، وسأل الله أن يطهرهم، لا جرم أنه استجيب له فيهم بالتطهير..." [٣].

فالواحدي يرى أن من ذكروا في حديث الكساء داخلون في (أهل البيت) وأنهم مشمولون بإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم، وهذا لا جدال فيه ولا خلاف، أما أهل البيت الوارد ذكرهم في الآية فالمقصود به نساء النبي ﷺ ؛ لأن السياق الذي وردت في الآية هو في خطابهنَّ وبيان ما يتعلق بهنَّ.

وقد خالف الواحدي رحمه الله تعالى عدد من المفسرين؛ منهم الرازي رحمه الله تعالى حيث قال أن النص عام لكل أهل بيت النبي ﷺ ؛ زوجاته والحسن والحسين وعلي ﷺ ، بمعنى الرجال والنساء [٤]. وأبو حيان رحمه الله تعالى بقوله : "إن أهل البيت في هذه الآية مختص بزوجاته عليه ليس بجيد، إذ لو كان كما قالوا، لكان التركيب: عنكن ويطهركن، وإن كان هذا القول مرويا عن ابن عباس ﷺ ، فلعله لا يصح عنه" [٥]. وقد أجاب الواحدي في معرض كلامه عما ذكره أبو حيان اعتراضًا على القول الذي رجحه.

وكذلك القرطبي رحمه الله تعالى بقوله "والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم. وإنما قال:" ويطهركم" لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن؛ يدل عليه سياق الكلام" [٦] فالخطاب لنساء النبي ﷺ كما يقال أهل الرجل بمعنى زوجه وخاصته كعادة العرب. والمراد بالبيت بيت كل واحدة من أزواجه ﷺ والضمائر جاءت على سنن الضمائر السابقة وصيغة المذكر اكرامًا لمنزلة النبي ﷺ لكونه رَّب البيت [٧].

ثانيًا: الاستدلال بسياق النص اللاحق لتأييد القول في الآية التي يفسرها معطوفًا، مشيرًا إلى أن الأصل اتحاد سياق الآيات المتعاطفة.، وفيما يأتي النماذج التيي توضح ذلك :

---

(١) أخرجه أحمد في مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٤٤/ ١١٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩/ ١٠٧و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٤٢/٨ والدر المنثور: ٦٠٣/٦.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢٤٠/١٨.

(٤) يُنظر: مفاتيح الغيب : ٢٥/ ١٦٨.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٢٢٤/٧ ونحوه قال الزجاج ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٢٢٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ١٨٣.

(٧) يُنظر : التحرير والتنوير: ٢٢/ ١٤.

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧ ﴾ [آل عمران :٧٧] ؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن أكثر أهل التفسير على أن الآية نزلت في اليهود؛ ونقل عن عكرمة [١] قوله: "إن جماعة من علمائهم كتموا ما عهد الله إليهم في التوراة من شأن محمد ﷺ وبدَّلُوه وكتبوا غيره بأيديهم من عندهم، فيما ادَّعوه أنه ليس عليهم في الأميين سبيل، وحلفوا أنه من عند الله؛ لئلا تفوتهم الرِّشَى والمآكل" [٢]. ثم ذكر القول الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية باذان [٣] أن الآية "نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضَيْعة، فهمَّ المدَّعَى عليه أن يحلف، فنزلت الآية، فنَكَلَ المدَّعَى عليه عن اليمين، وأقرَّ للمدَّعِي بحقه ودفعه إليه" [٤].

وقد أشار الواحدي إلى تقوية القول الأول، إذ ذكر في تفسير الآية التي بعدها: " قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا﴾ [آل عمران جزء من الآية : ٧٨] يعني من اليهود، وفي هذا دليل أن الآية المتقدمة نازلة في اليهود؛ حيث عطف عليها بهذا الآية التي هي نازلة فيهم بلا خلاف" [٥].

نلاحظ هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى أشار إلى ترجيحه قول جمهور المفسرين مستدلًا بسياق الآيات، إذ عُطف على الآية آيةٌ نازلة في اليهود باتفاق المفسرين، والأصل أن الآيات المتعاطفة في السياق الواحد أن تكون مشتركة في الموضوع، فجعل الآيات الواردة في سياق واحد نازلة في اليهود أولى من جعلها مختلفة، ليتم ترابط آيات السياق الواحد وتتسق عباراتها.

ذكر أبو حيان رحمه الله تعالى أنه يجوز أن تكون نازلة في أحبار اليهود أو من غَيَّرَ صفة محمد ﷺ [٦].

---

(١) أخرجه الواحدي في أسباب نزول القرآن : ١/ ١١٢.

(٢) قوله في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٥/٣ ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٩٨/٣، و معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٥٧/٢ ، و زاد المسير في علم التفسير: ٢٩٧/١.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط في تفسير القرآن المجيد : ١/ ٤٥٢، و الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. : ٢١٩.

(٤) لم أقف عليه فيما بين يديَّ من المصادر ووجدتُ نحوه دون نسبة : ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥١٦/٥-٥١٨، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٩٨/٣، و معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٥٧/٢ و زاد المسير في علم التفسير: ٢٩٧/١ والجامع لأحكام القرآن: ١٢٠/٤.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٥/ ٣٧٥. وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان :٢٨٥/١، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٣ ٣/ ٩٩، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/ ٣٧٦، والنكت والعيون للماوردي: ١/ ٤٠٥، و اللباب في علوم الكتاب: ٥/ ٣٤٠.

(٦) ينظر : البحر المحيط في التفسير: ٢٢٥/٣.

النموذج الثاني : قوله تعالى :﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ ﴾ [المائدة :٨٠] ، إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى فيها قولين: الأول : نزلت في اليهود حين تظاهروا مع كعب بن الأشرف واصحابه من كفار مكة والمشركين حين استجاشوا على رسول الله ﷺ ، وأصحابه. والثاني قول ابن عباس ومجاهد والحسن ﷺ [١] أن هذه الآية في المنافقين، والكناية في قوله تعالى :﴿ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ عائدة إلى المنافقين ورجحه الواحدي رحمه الله تعالى بقوله "وهذا القول يؤكده ما بعد هذه الآية" [٢] ، ويعني بما بعد هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ﴾ [المائدة : ٨١]
وألفاظ هذه الآية ظاهرة في المنافقين من اليهود لا المشركين؛ لأن الآية السابقة في سياق اليهود، وبهذا يتبين وجه اتصالها بما قبلها، وكذلك الجمع بين القولين السابقين فتكون الآية السابقة نازلة في المنافقين من اليهود. وإذا قيل في الذين جاهروا من اليهود فيكون النبي موسى ؈ والمنزل إليه التوراة ولو آمنوا به ما والوا المشركين [٣].

فنلاحظ أن الواحدي مشى على أصله الذي اعتمده في أكثر من موضع، فالأصل أن الآيات المتعاطفة في السياق الواحد أن يتحد موضوعها.

وقيل: نزلت في بني إسرائيل كعب بن الأشرف وأصحابه حين خرجوا إليها يعينون على محمد ﷺ ، فالضمير في {منهم} يعود إلى اليهود الذين يتولون الكفار وعَبَدة الأوثان، وعلى هذا الرؤية بصرية بمعنى اليهود الذين عاصروا النبي ﷺ. ويحتمل أن تكون قلبية، وعلى هذا يحتمل أن يريد من الأسلاف المذكورين في القرآن [٤].

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "ولو كانوا يؤمنون إيمانًا خالصًا من غير نفاق ما اتخذوا المشركين أولياء، يعنى أن موالاة المشركين كفى بها دليلاً على نفاقهم، وأن إيمانهم ليس بإيمان ولكن كثيرًا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم. وقيل معناه: ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون، ما اتخذوا المشركين أولياء كما لم يوالهم المسلمون" [٥].

---

(١) بحر العلوم: ١/ ٤١١ و الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٢/ ٢١٦ و معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣/ ٨٥ و زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٥٧٤.
(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤٩٢/٧.
(٣) ينظر : المصدر نفسه .
(٤) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤/ ٩٧، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٢٢٤ ، و مفاتيح الغيب : ١٢/ ٤١٢ و البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٣٣٨.
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٦٦٧.

وقيل: الراجح أن المراد اليهود في زمن موسى عليه السلام ؛ لأن الحديث عن كثير [1]، لكن الجمهور على أن الضمير يعود لليهود في زمن النبي ﷺ.

ثالثًا: ورأيتُ الواحدي رحمه الله تعالى يذكر أدلة أكثر من قول من الأقوال التي ينقلها دون أن يرجح، ولاحظتُ أنه عندما يذكر الأدلة يعتمد الأدلة القرآنية، فنراه يستدل لقولٍ بآية قرآنية من غير السورة التي يفسرها، ويستدل لقول آخر بالسياق،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ [آل عمران :٨٣]، ذكر الواحدي أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ ومن هذه الأقوال:

القول الأول: من في السموات: الملائكة، ومن في الأرض: المهاجرون والأنصار وعبد القيس طوعًا. والناس كرهًا. هذا قول ابن عباس في رواية عطاء والحسن [2].

القول الثاني: المراد أنهم خضعوا وانقادوا من جهة ما فطرهم عليه ودبرهم به، ولا يمتنع ممتنع من جبلة [3] جُبل عليها ولا يقدر على تغييرها. وهذا قول ابن كيسان [4]

والزجاج [5]. وعلى هذا القول يكون المراد بمن في السموات والأرض جميع الخلق في السموات والأرض.

وقد مال الواحدي رحمه الله تعالى إلى القول الثاني، واستدل له بما ورد في سياق الآية، ذكر أن قوله تعالى ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ يدل عليه، قال: "قوله تعالى ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ فالمعنى: أنه بدأهم على إرادته شئتم أم أبيتم، وهو يبعثكم كما بدأكم، والمقصود: الإنكار على من ابتغوا ديناً غير دينٍ [6] مَنْ هذه صفته" [7]

---

(١) ينظر : اللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٤٧٢.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ٥٥١، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم :٢/ ٦٩٦.

(٣) والجبلة بكسرتين وتثقيل اللام والطبيعة والخليقة والغريزة بمعنى واحد وجبله الله على كذا من باب قتل فطره عليه وشيء جبلي منسوب إلى الجبلة كما يقال طبيعي أي ذاتي منفعل عن تدبير الجبلة في البدن بصنع بارئها ذلك تقدير العزيز العليم. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ١/ ٩٠ وينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٢١٩.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ١٠٧، و البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٢٤٧.

(٥) معاني القرآن واعرابه: ١/ ٤٣٨.

(٦) هكذا في تفسير الواحدي ، وقد علق محققه عليه بالقول: "في معاني القرآن: الدين". يعني: أن اللفظ في معاني القرآن للزجاج "الدين" وليس "دين". ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج :١/ ٤٣٨.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٥/ ٤٠٤ – ٤٠٦، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :١/ ٤٦٧.

في هذا النص ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أقوالًا في تفسير الآية، وذكر ما يؤيد القولين الأخيرين، فاستدل لأحدهما بآية من سورة أخرى، واستدل للقول الآخر بما ورد في سياق الآية، والذي يهمنا هو ما استدل به من سياق الآية، فأشار الواحدي رحمه الله تعالى إلى أن الآية سيقت لبيان نفوذ مشيئته في خلقه، وأنه سبحانه يدبر أحوالهم كما شاء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله تعالى هو الذي ابتدأ خلق الخلق بإرادته شاؤوا أم أبوا، ثم هو يبعثهم كذلك كما بدأهم، وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ انقاد وخضع لله سبحانه وتقديره وتدبيره؛ لتلتئم معاني الآية وتكون عباراتها خادمة للمعنى الذي سيقت له، وهذا من دقيق نظر الواحدي رحمه الله تعالى وعنايته بسياق الآيات القرآنية لتوظيفه في بيان معانيها، لذلك فهو يوجه الكثير من الأقوال التفسيرية من خلال سياق الآيات القرآنية.

وعلى هذا يكون المقصود بالإسلام الاستسلام لإرادته الكونية وقدره وسلطانه، وليس الاستسلام لأوامره ونواهيه، فليس المقصود بالإسلام هنا دين الإسلام، وإنما المقصود هو نفوذ مشيئة الله سبحانه في خلقه كلهم، وأن الخلق كلهم منقادون لتدبير الله وحكمه، فهو خالقهم وهو مدبر أمورهم ومقلب شؤونهم كما يشاء هو سبحانه وتقتضيه حكمته.

وقد رجح الرازي ما رجحه الواحدي رحمهم الله تعالى ، فقال: "الإسلام: هو الاستسلام والانقياد والخضوع. إذا عرفتَ هذا ففي خضوع كل من في السموات والأرض لله وجوه: الأول وهو الأصح عندي: أن كل ما سوى الله ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته فإنه لا يوجد إلا بإيجاده ولا يعدم إلا بإعدامه، فإذن كل ما سوى الله فهو منقاد خاضع لجلال الله في طرفي وجوده وعدمه، وهذا هو نهاية الانقياد والخضوع، ثم إن في هذا الوجه لطيفة أخرى، وهي أن قوله ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾ يفيد الحصر، أي: وله أسلم كل من في السموات والأرض لا لغيره، فهذه الآية تفيد أن واجب الوجود واحد وأن كل ما سواه فإنه لا يوجد إلا بتكوينه ولا يفنى إلا بإفنائه... ونظير هذه الآية في الدلالة على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الرعد جزء من الآية: ١٥] وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[الإسراء جزء من الآية: ٤٤]... ". (١)

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "طوعاً بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه وكرهًا بالسيف، أو بمعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل، وإدراك الغرق فرعون، والإشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا: آمنا بالله وحده. وانتصب طوعاً وكرهاً على الحال، بمعنى طائعين ومكرهين" (٢).

---

(١) مفاتيح الغيب : ٨/٢٨٠، و ينظر : حاشية الشيخ الزاد ة على تفسير البيضاوي: ٧/١٠٧.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٣٨٠.

وقيل: كل شخص يقر بوحدانية الله وربوبيته وأنه خالق الكون فإن أستسلم وانقاد كان إسلامه طوعًا، وإن أشرك بالله وتكبر كان إسلامه كرهًا، فيكون الإخلاص في العبادة طوعًا والنفاق كرهًا فالكافر يسجد كرهًا والمؤمن طوعًا [(١)].

رابعًا: وقد يقوي الواحدي رحمه الله تعالى أحد الأقوال التي ينقلها بالسياق الذي تضمن مقابلة الضد بضده، فيستدل بالضد على بيان معنى ضده مما هو مذكور في الآية،

النموذج الأول : قوله تعالى ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران :١٤١]، إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى معنى ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليطهرهم من ذنوبهم ويسقطها عنهم، والمحص في اللغة التنقية والتخليص [(٢)]. ثم قال بعد صفحات: "فمعنى قوله:﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ، أي: ليخلصهم من ذنوبهم، و إلى هذا ذهب أكثر أهل المعاني والتفسير... وروى أبو عبيد عن أبي عمرو قال: التمحيص: الابتلاء والاختبار، و إلى هذا القول ذهب جماعة من المفسرين؛ السُّدِّي ومجاهد، وروي ذلك عن ابن عباس ﷺ في بعض الروايات [(٣)]؛

قالوا: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ ، أي: لِيَبْتَلِي. وهذا اختيار القُتَيْبِيّ [(٤)]" [(٥)].

وأشار الواحدي إلى تقوية القول الأول بدلالة السياق فقال بعد أن فسر قوله تعالى (ويمحق الكافرين): "فَقَابَلَ تَمْحِيصَ المؤمنين بِمَحْقِ الكافرين؛ لأن تمحيصَ هؤلاء [(٦)] بإهلاك ذنوبهم نظيرُ مَحْقِ أولئك [(٧)] بإهلاك أنْفُسِهِمْ، وهذا مُتقابِلٌ في المعنى حَسَنٌ" [(٨)].

وهذا من بديع صنيع الواحدي ، فبين أن سياق القرآن المتناسب المتوازن يقتضي تناسب معاني الألفاظ والكلمات، فكل من التمحيص والمحق فيه معنى الإهلاك، فتمحيص المؤمنين بمعنى إهلاك ذنوبهم يناسبه مقابلته بمحق الكافرين بمعنى إهلاكهم أنفسهم. فما أجمله من توجيه! وما أدقه من نظر! وهذا يدخل فيما ذكره سيد قطب بخصوص التناسق في القرآن، فقال وهو يشرح أنواع التناسق: "وهناك تلك المقابلات الدقيقة بين الصور التي ترسمها التعبيرات، والتقابل طريقة

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤٦٦.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٢٠. وينظر: كتاب العين : ٣/ ١٢٧، وتهذيب اللغة : ٤/ ١٥٩، ومجمل اللغة لابن فارس :١/ ٨٢٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٧/٨٩-٩٠.

(٤) هو ابن قتيبة، الدينوري واختياره هذا في: غريب القرآن: ١١٢/١ ، وهو كذلك قول المبرد في : الكامل في اللغة والأدب : ١/ ١٧٢.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٦/ ٢٦-٢٧.

(٦) يعني المؤمنين.

(٧) يعني الكافرين.

(٨) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٦/ ٢٩.

من طرق التصوير وطريقة من طرق التلحين، والتعبير القرآني يكثر من استخدامها في تنسيق صوره التي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق" (١). فإذا كانت الدائرة على المؤمنين يمحصهم بتمييز المؤمن من المنافق والاستشهاد في سبيل الله تعالى وتطهيرهم من ذنوبهم وبالمقابل يمحق الكافرين بالهلاك شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى لهم أثر ، وبين تعالى للمؤمنين الذَّين غُلبوا يوم أحد ان الغاية من ظهور الكفار عليهم هو التطهير من الذنوب وتنقية المؤمن من المنافق وإهلاك الكفار بالاستئصال (٢) .

خامسًا: ومن ذلك أن يذكر الواحدي رحمه الله تعالى دليل أحد الأقوال التي ينقلها من جهة اللغة، ألا أنه يشير إلى ضعفه وترجيح قول آخر عليه؛ لأن السياق لا يحتمل القول الأول وإن صح من جهة اللغة ويؤدي إلى إخراج العبارة عن سياق الآية وينافي مقابلة الضد بضده، وهو ما لا يقبله الواحدي ،

النموذج الأول : قولهتعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ [النساء :٣] ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن معنى (تعولوا): تميلوا وتجوروا، ونسب هذا القول إلى جميع أهل التفسير واللغة (٣)، ونقل عن الشافعي (٤) رحمه الله تعالى أنه ذهب إلى أن معنى (ألا تعولوا): ألا يكثر عيالكم، ثم دافع عن هذا القول لغةً، ورد على من ضعف القول من جهة اللغة ونقل عن الكسائي قوله: "وهي لغة فصيحة سمعتها من العرب" (٥)، ثم بين الواحدي أن قول الإمام الشافعي رحمهم الله تعالى مع كونه صحيحًا لغةً، إلا أن القول الأول أصح، قال: "وهذا القول وإن صح (٦)، فالاختيار القول الأول؛ لقوله ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ فأطلق الآية من ملك اليمين، والأقل والأكثر منها، وهن كلهن عيال تتصل بهن المؤونة، وسواء كثر العيال من الحرائر أو الإماء، فلا معنى إذًا أن يقول: ذلك أدنى أن لا يكثر عليكم بعد إباحة الكثير من السراري. ودليل آخر، وهو أنه قال:﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ ولم يقل: أن تفتقروا، فكان الجواب معطوفًا على هذا الشرط، ولا يكون جوابه إلا بضد العدل وهو الجور، لا لكثرة العيال..." (٧).

---

(١) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب : ٩٦ .

(٢) ينظر : : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٤٢٠ و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٥١٤ و مفاتيح الغيب : ٩/ ٣٧٤ و الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ٢٢٠ و تفسير القرآن العظيم :٢/ ١٢٦.

(٣) ينظر: التفسير البسيط: ٦/ ٣١٠.

(٤) أحكام القرآن للجصاص :٢ / ٧٢.

(٥) المصدر نفسه:٦/ ٣١٢.

(٦) يعني قول الإمام الشافعي وإن صح من جهة اللغة.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٦/ ٣١٣-٣١٤. وينظر: بحر العلوم :٢٨٠/١.

في هذا النص تظهر براعة الواحدي رحمه الله تعالى ودقته في النظر ونقد الأقوال مستعينًا بسياق الآية، وهو تأكيد على منهجه رحمه الله تعالى بضرورة مراعاة تناسق أجزاء السياق عند تفسير القرآن الكريم، فرجح القول الأول لموافقته سياق الآية ولكونه موافقًا لتناسق أجزائها، إذ ذكر من أدلة رجحان هذا القول قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ ؛ فإن ذكر (تعدلوا) يناسبه ذكر (تعولوا) بمعنى تجوروا؛ لأن الجور يقابل العدل، أما كثرة العيال فلا تقابل العدل بل يقابلها الفقر، فلو أريد بـ (تعولوا) كثرة العيال لقيل: (فإن خفتم ألا تفتقروا). ووافقه الجصاص بقوله: "وقال الشافعي في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ معناه: أن لا يكثر من تعولون؛ قال: هذا يدل على أن على الرجل نفقة امرأته. وقد خطأه الناس في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه لا خلاف بين السلف وكل من روي عنه تفسير هذه الآية أن معناه: أن لا تميلوا وأن لا تجوروا، وأن هذا الميل هو خلاف العدل الذي أمر الله به من القسم بين الناس. والثاني: خطأه في اللغة؛ لأن أهل اللغة لا يختلفون في أنه لا يقال في كثرة العيال" عال يعول" ذكره المبرد وغيره من أئمة اللغة، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى (١): أن لا تعولوا، قال: أن لا تجوروا، يقال: علت علي أي جرت. والثالث: أن في الآية ذكر الواحدة أو ملك اليمين، والإماء في العيال بمنزلة النساء، ولا خلاف أن له أن يجمع من العدد من شاء بملك اليمين، فعلمنا أنه لم يرد كثرة العيال وأن المراد نفي الجور والميل بتزوج امرأة واحدة؛ إذ ليس معها من يلزمه القسم بينه وبينها؛ إذ لا قسم للإماء بملك اليمين" (٢) .

ونقل الرازي رحمه الله تعالى هذه الوجوه وزاد عليها وجهًا رابعًا، فقال: "وزاد صاحب النظم في الطعن وجهًا رابعًا، وهو أنه تعالى قال في أول الآية: فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ولم يقل أن تفتقروا، فوجب أن يكون الجواب معطوفاً على هذا الشرط، ولا يكون جوابه إلا بضد العدل، وذلك هو الجور لا كثرة العيال" (٣) .

وخالف إلكيا الهراسي الواحدي رحمهم الله تعالى بقوله: "ويدل على ما قاله الشافعي: أنه لو كان المراد به الميل، فإذا كثر عدد النساء أم قل فلا يختلف الميل، وإنما يختلف القيام بحقوقهن، فإنهن إذا كثرن تكاثرت الحقوق عليه. أما إظهار ميل الطبع ونفاره، فلا يختلف بكثرة العدد وقلته. وهذا يدل على أن المراد بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ ما قاله" (٤).

سادسًا : وقد يستدل الواحدي رحمه الله تعالى بتعابير الآية وتراكيبها لقول من الأقوال التي يذكرها،

---

(١) ينظر: مجاز القرآن : ١/ ١١٧.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٧٢.

(٣) مفاتيح الغيب : ٩/ ٤٩٠.

(٤) أحكام القرآن للكيا هراسي: ٢/ ٣٢٣.

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الانعام :٤٦] ، إذ ذكر رحمه الله تعالى أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، ومما ذكره: قول ابن عباس (١) ومقاتل (٢) "يريد: فلا يسمعون القرآن ولا يبصرون سبل الهدى، ولا يفهمون ثوابًا ، ولا يخافون عقابًا" والثاني قول الحسين بن الفضل : (المخاطبة للمؤمنين؛ لأن الكفار كانوا صمًا بكمًا عميًا لا يعقلون؛ لأن الله قد أخذها منهم، وكأنه يقول للمؤمنين: أرأيتم إن أخذها الله منكم فمن يردها عليكم) ، وبعد أن ذكر القولين الأول في الكفار والثاني في المؤمنين رجح القول الأول أنها في الكفار، ثم استدل بسياق الآية لترجيح القول الأول: "وكذلك باقي الآية يدل على هذا، وحينئذٍ يحمل أخذ هذه الأعضاء على إذهابها أصلًا؛ يقول: إن أخذها حتى لا تبصروا ولا تسمعوا من يردها عليكم" (٣).

ويعني الواحدي بأن باقي الآية يدل على أنها في الكفار: قوله تعالى:﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ إذ إن المؤمنين لا يؤمنون بإله غير الله ، فلا يصح أن يخاطبوا بذلك، ولهذا تكون الآية في الكفار. وعليه يكون المراد بأخذ السمع والبصر: ذهابها بالكلية وإصابتهم بالعمى والصمم؛ لبيان أن الآلهة التي يعبدها المشركون لا تستحق العبادة؛ لأنها لا تنفع ولا تضر، فالله وحده هو المستحق للعبادة وبيده الأمر كله. والجملة استفهامية بمعنى: هل رأيتم أيها الكفار إن نزع الله منكم أشرف أعضائكم السمع والبصر التي هي محل الإدراك والفهم فتصبحوا كالبهائم؛ لأنه بزوالها تبطل مصالح الدنيا والدين. وهذا احتجاج عليهم. فهل يستطيع أحد غيره أن يعيدها إليكم ؟! ويعلمون أن لا أحد يتمكن من ردها فالله ﷻ وحده يستحق التعظيم والعبادة.

وأفرد تعالى الضمير في﴿ بِهِ ﴾ مع كونه عائدًا لعدة مذكورات لتنزيله منزلة اسم الاشارة أو لتأويل المذكورات بالذي ختم عليه وأخذ منه لا على التعيين؛ لأن المراد من إيراد الآيات المتكررة والمتكاثرة الدالة على التوحيد والنبوة بحيث يقوي كل منها ما قبله في الإيصال إلى المطلوب، ومع ذلك انصرفوا وصدفوا عنها (٤).

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحاقة : ١٢]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أنه اختلف في مرجع الضمير (ها) في (لنجعلها) إلى قولين: الأول أنه

---

(١) جاء في : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : ١٠٩ قال: ({إن أخذ الله سمعكم} فلم تسمعوا موعظة ولا هدى {وأبصاركم} فلم تبصروا الحق {وختم} طبع {على قلوبكم} فلم تعقلوا الحق والهدى).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان :٥٦١.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٨ /١٤٨.

(٤) ينظر حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي : ٤/ ٤٥ .

يعود إلى السفينة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ [الحاقة : ١١] ، والجارية هي سفينة نوح عليه السلام، والقول الثاني أن الضمير يعود إلى الفعلة من إغراق قوم نوح عليه السلام ونجاة من آمن معه فهي تذكرة لكم، أي: عبرة وموعظة (١)، وعلى هذا القول: يكون مرجع الضمير هو المصدر المفهوم من الكلام السابق، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة جزء من الآية:٨] الضمير (هو) يعود إلى المصدر المفهوم من الفعل (اعدلوا)، أي: اعدلوا والعدل أقرب للتقوى.

وقد رجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الثاني معتمدًا على ما ورد في سياق الآية، فسياق الآية في فعل الله سبحانه في الأمم السابقة، بهلاك أعدائه ونجاة أوليائه، لذلك يكون مرجع الضمير إلى ما يدل على فعل الله، قال الواحدي رحمه الله تعالى: "ويدل على صحة هذا الوجه [أي: القول الثاني] قوله: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحاقة: ١٢] قال ابن عباس: " تحفظها، وتسمعها أذن حَافظةٌ لما جاء من عند الله، والسفينة لا توصف بهذا" (٢).

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى: "لنجعل هلاك قوم نوح عليه السلام لكم عبرة لتعتبروا بها" (٣). وقال ابن عطية: "والضمير في ﴿ لِنَجْعَلَهَا ﴾ عائد على الفعلة، أي: من يذكرها ازدجر، ويحتمل أن يعود على الجارية، أي: من سمعها اعتبر" (٤). وقال الرازي رحمه الله تعالى: "قال الزجاج (٥): إنه عائد إلى الواقعة التي هي معلومة، وإن كانت هاهنا غير مذكورة، والتقدير: لنجعل نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة عظة وعبرة الثاني: قال الفراء (٦): لنجعل السفينة، وهذا ضعيف والأول هو الصواب، ويدل على صحته قوله: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ فالضمير في قوله: "وتعيها" عائد إلى ما عاد إليه الضمير الأول، لكن الضمير في قوله: "وتعيها" لا يمكن عوده إلى السفينة فكذا الضمير الأول" (٧)، وكلام الرازي هو عينه كلام الواحدي رحمهما الله.

---

(١) ينظر: التفسير البسيط: ٢٢/ ١٥٠، و معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٢١٥ و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٦٠٠ و أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٥/ ٢٤٠.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢٢/ ١٥٠.

(٣) بحر العلوم :٣/ ٤٨٩.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ٣٥٨ وينظر : الجامع لأحكام القرآن: ١٨/ ٢٦٣ و البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٢٥٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٥/ ٢١٥.

(٦) معاني القرآن للفراء : ٣/ ١٨١.

(٧) مفاتيح الغيب : ٣٠/ ٦٢٤، وذكر نحوه ابن عادل في اللباب في علوم الكتاب:١٩/ ٣٢٢.

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ [النور : ٢] ؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى اختلاف المفسرين في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ ﴾ على قولين: القول الأول: أن المراد: لا تأخذهم بهما رأفةٌ فتعطلوا الحد ولا تقيموه رحمة عليهما وشفقة، وهو قول مجاهد في رواية ابن أبي نجيح والكلبي [١] وغيرهم؛ قالوا في هذه الآية: ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يترك الحد ولا يقيمه عليهم رحمةً بهم. والقول الثاني: ﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ ﴾ تقيموا الحد وتخففوا الضرب لكن يجب التشديد بالضرب حتى يوجعهم بمعنى ضربًا موجعًا، وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب والزهري وقتادة؛ كل هؤلاء قالوا: يُوجَع الزاني ضربًا ولا يخفَّف رأفة [٢].

وقد استدل الواحدي لتقوية القول الأول بقوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ والمعنى: إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال فلا تعطلوا الحد، قال: "وهذا يقوي القول الأول؛ لأن قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ كالوعيد في ترك الحد، ومثل هذا الوعيد لا يلحق في التخفيف" [٣].

فاستدل الواحدي رحمه الله تعالى بالتراكيب الواردة في الآية على أن سياق الآية في وجوب إقامة الحدود والتحذير من تعطيلها، وبناءً على ذلك نقد الأقوال الواردة في تفسير الآية. ووافقه الرازي رحمه الله تعالى إذ بين في الآية ثلاثة أقوال الأول : يحتمل أن يكون المراد أن لا تأخذكم رأفة بأن يعطل الحد أو ينقص منه، والمعنى لا تعطلوا حدود الله ولا تتركوا إقامتها للشفقة والرحمة، والثاني يحتمل أن لا تأخذكم رأفة بأن يخفف الجلد ، والثالث يحتمل كلا الأمرين. والأول أولى؛ لأن الذي تقدم ذكره الأمر بنفس الجلد، ولم يذكر صفته، فما يعقبه يجب أن يكون راجعًا إليه [٤] وفي كلام الرازي وجه آخر للاستدلال بالسياق لترجيح القول الذي رجحه الواحدي رحمهم الله تعالى.

فالراجح عند أغلب المفسرين أن النهي هو عن ترك إقامة الحد وليس عن تخفيف الضرب.

النموذج الرابع : قوله تعالى : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ۝٣١ ﴾ [يوسف جزء من الآية : ٣١]؛ قال الواحدي رحمه الله تعالى: "وأكثر أهل العربية على أن معنى قوله ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ تنزيه ليوسف عليه السلام عما رمته به امرأة العزيز كما ذكرنا، وذهبت طائفة إلى أن المراد تنزيهه من شبه البشرية؛ لفرط

---

(١) تفسير عبد الرزاق : ٢/ ٤٢٤.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٦/ ٩٦- ٩٧. وتنظر أقوال من ذكر في: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٦٤/٧.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٦/ ١٠٠.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب : ٣١٧/٢٣ ، وذكر نحوه البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٤/ ٩٨ ورجحه أبو حيان في البحر المحيط في التفسير: ٨/ ٩.

جماله وروعة بهائه، ويؤكد هذا المعنى سياقُ الآية بعد هذا. ويكون تقدير الآية على هذا المعنى: حاشا يوسف، أي: بَعُدَ عن أن يكون بشرًا، ودخل(ت لله) تأكيدًا لهذا المعنى" [١].

في هذا النص يظهر جليًا اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على سياق الآية في ترجيح قول على آخر، فقوله تعالى : ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ المقصود منه تنزيه يوسف عن البشرية، واستدل الواحدي لرجاحة هذا القول ما ذُكر في سياق الآية ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ فكأن هذه الجملة بيان وتأكيد لما تضمنته جملة ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ ﴾ من نفي البشرية عن يوسف عليه السلام وتنزيهه عنها.

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري، وأبو حيان رحمهم الله تعالى بقولهم : لما شاع أمر امرأة العزيز في المدينةِ دعت النسوة لوليمة الطعام وأمرت يوسف عليه السلام بالخروج إليهن ليعذرنها مما وقعت فيه، فلما رأى النسوة يوسف عليه السلام أعظمنه وافْتُـتِنَّ به ونفينَ عنه صفة البشرية لفرط جماله وكمال حسنه وقلنَ ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ وأثبتنَ له الملكية؛ لأن الله تعالى ركز في الطباع البشرية أنه لا أجمل من الملائكة ولا أقبح من الشُّيطان، لذلك يُشَبَّه كل متناهٍ في الحسن والقبح بهما. وعَمِلَ(ت ما) عَمَلَ (ليس) بمعنى: ليس هذا من البشرِ [٢].

وكذلك ابن عطية رحمه الله تعالى ذهب إليه بقوله : "والتشبيه بالمَلَك هو من قبيل التشبيه بالمستعظمات وإن كانت لا تُرَى ... لما استعظمن حسن صورته قلن: ما هذا إلا مما يصلح أن يكون عبد بشراء، إن هذا مما يصلح أن يكون ملكا كريما. " [٣]. وأما الإمام الرازي رحمه الله فقال :"وهو الأقرب عندي أن المشهور عند الجمهور أن الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة، وجواذب الغضب، ونوازع الوهم والخيال، فطعامهم توحيد الله تعالى وشرابهم الثناء على الله تعالى ، ثم إن النسوة لما رأين يوسف عليه السلام لم يلتفت إليهن ألبته ورأينَ عليه هيبة النبوة وهيبة الرسالة، وسيما الطهارة قلن إنا ما رأينا فيه أثراً من أثر الشهوة، ولا شيئا من البشرية، ولا صفة من الإنسانية، فهذا قد تطهَّر عن جميع الصفات المغروزة في البشر، وقد ترقى عن حد الإنسانية ودخل في الملكية" [٤] بمعنى أن يوسف عليه السلام شُبِّه بالملائكة في عدم الميل للنساء ونُزِّهَ عما رمته به امرأة العزيز من الرغبة فيها.

ثم ضعف الإمام الرازي رحمه الله تعالى الوجه الأول بقوله: "والأول باطل لوجهين: الأول: أنهم وصفوه بكونه كريمًا، وإنما يكون كريما بسبب الأخلاق الباطنة لا بسبب الخِلْقة الظاهرة، والثاني: أنا نعلم بالضرورة أن وجه الإنسان لا يشبه وجوه الملائكة ألبته. أما كونه بعيدا عن الشهوة والغضب

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٢/١٠٤.

(٢) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ٤٦٦ وذكر نحوه أبو حيان في البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٢٧٠.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٢٤٠.

(٤) مفاتيح الغيب : ١٨/ ٤٤٩.

معرضا عن اللذات الجسمانية متوجها إلى عبودية الله تعالى مستغرق القلب، والروح فيه فهو أمر مشترك فيه بين الإنسان الكامل وبين الملائكة.

وإذا ثبت هذا فنقول: تشبيه الإنسان بالملك في الأمر الذي حصلت المشابهة فيه على سبيل الحقيقة أولى من تشبيهه بالملك فيما لم تحصل المشابهة فيه ألبته، فثبت أن تشبيه يوسف عليه السلام بالملك في هذه الآية إنما وقع في الخلق الباطن، لا في الصورة الظاهرة، وثبت أنه متى كان الأمر كذلك وجب أن يكون الملك أعلى حالا من الإنسان في هذه الفضائل، فثبت أن الملك أفضل من البشر والله أعلم" [١]. نلاحظ هنا أن الرازي خالف المفسرين رحمهم الله في ترجيح الوجه الثاني واغلب المفسرين ذهبوا إلى أن وجه الشبه بين يوسف عليه السلام والملائكة في الخلقة الظاهرة لا في الخُلق الباطن ،أي : وجه الشبه بين يوسف عليه السلام والملائكة في الجمال والحسن ، لا في عدم الميل للنساء.

النموذج الخامس : قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النحل :٦٢]، إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أنه تحصل في ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ هاهنا قولان: الأول: معنى الحسنى البنون بمعنى لهم البنون ولله البنات، والثاني: معنى الحسنى الجنَّة، أي لهم الجنَّة والثواب من الله إن كان محمد ﷺ صادقًا في البعث؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث والنشور. ثم مال إلى القول الثاني، فقال: "ولعل الأقرب في تفسير الحسنى: الجنة" واستدل بالسياق فقال: "وفي الآية ما يدل على هذا، وهو قوله: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ ، فردَّ عليهم قولَهم وأثبت لهم النَّار ، فدلّ هذا أنهم حكموا لأنفسهم بالجنَّة" [٢].

حمل الواحدي رحمه الله تعالى الحسنى على الجنَّة؛ لذكر نقضيها النَّار فلا محالة ولابد من دخولهم النَّار وأنهم يدخلونها على عجلة ويُنْسَوْن ويُتْرَكون فيها ولا يُذكرون؛ لأنهم أفرطوا في القول والمعصية، فرد عليهم قولهم وأثبت لهم ضده، أي: ليس كما تزعمون حقاً، لكم النَّار ، وقد جعلوا لله البنات وأراذل الأموال ومع ذلك زعموا لهم الجنَّة وحسن الثواب عند الله إن كان محمد ﷺ صادقًا – في زعمهم – في الإخبار عن البعث والنشور [٣].

النموذج السادس : قوله تعالى : ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [مريم: ٨٠]

إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى :﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾ قولين: أحدهما: نرثه ما يملك من المال والولد بهلاك نفسه وذهاب ماله فيلقى الله بلا مال ولا ولد،

---

(١) المصدر نفسه : ١٨/ ٤٥٠.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٣/ ١٠٢.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١٢١، و البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٥٥٠.

وهذا قول ابن عباس (١) وقتادة (٢) وابن زيد (٣) ﷺ. والقول الثاني: قول السدي والكلبي (٤): نسلب منه ما كان له في الجنَّة من الذهب والفضة قال: (نرثه أهله وماله الذي في الجنة) (٥). قال: ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾: في الجنَّة من الذهب والفضة والحرير فنجعله لغيره من المسلمين (٦).

وأيد الواحدي رحمه الله تعالى القول الأول، فقال: "ويدل عليه قراءة ابن مسعود: (ونرثه ما عنده). وما بعده من قوله: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ يدل على هذا القول، أي: إنه يأتي الآخرة بلا مال ولا ولد... وعلى هذا معنى الآية: لا نعطيه ما يقول ونسلبه الذي آتيناه في الدنيا حتى يأتينا خاليًا منه. وهو قوله: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ ، أي: خاليًا من الأموال والأولاد" (٧). قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "ونرثه ما يقول ، أي: نزوي عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه. والمعنى مسمى ما يقول. ومعنى ما يقول وهو المال والولد. يقول الرجل: أنا أملك كذا، فتقول له: ولي فوق ما تقول، ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا مالاً وولداً، وبلغت به أشعبيته (٨) أن تألى على ذلك في قوله ﴿ لَأُوتَيَنَّ ﴾ [مريم جزء من الآية: ٧٧]؛ لأنه جواب قسم مضمر، ومن يتألَّ على الله يكذبه، فيقول الله عز وجل: هب أنا أعطيناه ما اشتهاه، إما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فرداً غدا بلا مال ولا ولد، كقوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾

الآية فما يجدى عليه تمنيه وتأليه. ويحتمل أن هذا القول إنما يقوله ما دام حيا، فإذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله، ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له، أو لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه، بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد، لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه، فيجتمع عليه الخطبان: تبعة قوله ووباله، وفقد المطموع فيه. فردا على الوجه الأول: حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لأنه وغيره سواء في إتيانه فردا حين يأتى، ثم يتفاوتون بعد ذلك." (٩).

---

(١) قوله في جامع البيان في تأويل آي القرآن: ١٥/ ٦٢٣ ، و : الدر المنثور: ٥/ ٥٣٦ .

(٢) قوله في تفسير عبد الرزاق: ٢/ ٣٦٢.

(٣) ينظر : قوله في تفسير القرآن العظيم : ٥/ ٢٦١.

(٤) ذكره أبو حيان في البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٢٩٥.

(٥) ذكر نحوه ابن الجوزي دون نسبة ينظر : زاد المسير في علم التفسير: ٣/ ١٤٦.

(٦) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٤/ ٣١٧.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٤/ ٣١٧.

(٨) ، أي: طمعه، وهذه نسبة إلى أشعب بن جبير مولى عبدالله بن الزبير، رجل مشهور بالطمع عاش في عصر التابعين وكان صاحب نوادر، ويضرب به المثل في الطمع فيقال: "أطمعُ من أشعبَ". ينظر: مجمع الأمثال :١/ ٤٣٩.

(٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/ ٤٠ –٤١ وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٢٩٥.

وذكر ابن عطية رحمه الله تعالى أن الوراثة استعارة والمراد الخيبة والذلة وقلة النَّصرة يوم القيامة [(١)]. وقال الرازي رحمه الله تعالى: "يزول عنه ما وعده من مال وولد فلا يعود كما لا يعود الإرث إلى من خلفه وإذا سلب ذلك في الآخرة يبقى فردا فلذلك قال: ويأتينا فردًا فلا يصح أن ينفرد في الآخرة بمال وولد: قَالَ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام جزء من الآية: ٩٤]" [(٢)]. وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "نسلبه ما أعطيناه في الدنيا من مال وولد. وقال ابن عباس رضي الله عنه وغيره: أي نرثه المال والولد بعد إهلاكنا إياه. وقيل: نحرمه ما تمناه في الآخرة من مال وولد ونجعله لغيره من المسلمين﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ أي منفردا لا مال له ولا ولد ولا عشيرة تنصره" [(٣)].

النموذج السابع : قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الانفال :٣٥]؛ المكاء جمع اليدينِ والتصفير فيهما والتصدية التصفيق و نقل الواحدي أقوال المفسرين في معنى الآية، فذكر ثلاثة أقوال:

الأول: قال ابن عباس رضي الله عنه : [(٤)] كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون. والثاني: قول مجاهد [(٥)]: كانوا يعارضون النبي ﷺ في الطواف ويستهزؤون به ويصفرون يخلطون عليه طوافه وصلاته. والثالث: قول مقاتل [(٦)]: كان إذا صلى رسول الله ﷺ في المسجد يقومون على يمينه ويساره بالصفير والتصفيق ليخلطوا عليه صلاته. وبين معنى الأقوال الثلاثة بصورة مجملة؛ فعلى ما ذكره مجاهد ومقاتل كان التصدية والمكاء إيذاءً للنبي ﷺ، وعلى قول ابن عباس رضي الله عنه كان ذلك نوع عبادة لهم، فإنهم مع صدهم أولياء المسجد الحرام كان تقربهم إلى الله بالصفير والتصفيق [(٧)].

ثم رجح الواحدي رحمه الله تعالى قول ابن عباس رضي الله عنه بأن ذلك كان نوع عبادة لهم فقال: " وهذا القول أشبه بظاهر اللفظ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ وكأنهم جعلوا ذلك صلاة لهم" [(٨)].

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٣١ .

(٢) مفاتيح الغيب : ٢١/ ٥٦٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن :١١/ ١٤٨ وينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤/ ١٩.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١١/ ١٦٢ والثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤/ ٣٥٣.

(٥) ذكره البغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن :٣/ ٣٥٥.

(٦) قوله في الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤/ ٣٥٣.

(٧) ينظر: التفسير البسيط: ١٠/ ١٣٥—١٣٩.

(٨) المصدر نفسه : ١٠/ ١٤٠.

نرى الواحدي رحمه الله تعالى هنا يقوي قولًا على غيره استنادًا إلى ظاهر سياق الآية وما ورد فيها، فجعل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ دليلًا على أن غاية المشركين من المكاء والتصدية هي التعبد لله تعالى بذلك، وليست إيذاء النبي ﷺ . والواحدي رحمه الله تعالى اعتمد في ذلك على أن قوله تعالى (صلاتهم) اسم (كان)، و(مكاءً) خبرها. وخبر (كان) في حقيقته خبر عن اسمها، فـ (مكاء) خبر ووصف لـ (صلاتهم)، فيكون معنى الآية أن صلاة المشركين عند البيت كانت بالمكاء والتصدية.

وقد ذكر أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى أن صلاتهم كانت صفيرًا وتصفيقًا في المسجد الحرام (١)، وقال ابن عطية: "وذهب أكثر المفسرين إلى أن «المكاء والتصدية» إنما أحدثها الكفار عند مبعث رسول الله ﷺ لتقطع عليه وعلى المؤمنين قراءتهم وصلاتهم ويخلط عليهم، فكان المصلي إذا قام يقرأ من المؤمنين اكتنفه من الكفار عن يمينه وشماله من يمكو ويصدي حتى تختلط عليه قراءته، فلما نفى الله تعالى ولايتهم للبيت أمكن أن يعترض معترض بأن يقول: وكيف لا نكون أولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده؟ فقطع الله هذا الاعتراض بأن قال وما كان صلاتهم إلا المكاء والتصدية، وهذا كما يقول رجل: أنا أفعل الخير، فيقال له: ما فعلك الخير إلا أن تشرب الخمر وتقتل، أي: هذه عادتك وغايتك... والذي مر بي من أمر العرب في غير ما ديوان أن المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديماً قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشرع، ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من جبل حراء، وبينهما أربعة أميال، وعلى هذا يستقيم تعييرهم وتنقُّصهم بأن شرعهم وصلاتهم وعبادتهم لم تكن رهبة ولا رغبة، إنما كانت مكاء وتصدية من نوع اللعب، ولكنهم كانوا يتزيدون فيها وقت النبي ﷺ ليشغلوه وأمته عن القراءة والصلاة" (٢). وكذلك الإمام الرازي رجح القول الاول بدلالة السياق قائلاً: "والأول أقرب لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ فإن قيل: المكاء والتصدية ما كانا من جنس الصلاة فكيف يجوز استثناؤهما عن الصلاة؟ قلنا: فيه وجوه: الأول: أنهم كانوا يعتقدون أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة، فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم. الثاني: أن هذا كقولك وددت الأمير فجعل جفائي صلتي. أي: أقام الجفاء مقام الصلة فكذا هاهنا. الثالث: الغرض منه أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء. يريد من كان السخاء عيبه فلا عيب له" (٣).

---

(١) ينظر : بحر العلوم : ٢/ ٢٠ ، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٢١٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٥٢٤ وينظر : حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي: ٣٩٠/٤.

(٣) مفاتيح الغيب : ١٥/ ٤٨١.

سابعًا: و أحيانًا يستدل الواحدي رحمه الله تعالى لبعض الأقوال من خلال بيان عائدية الضمائر المذكورة في الآية المفسَّرة،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الانعام: ١٢٤]، إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى اختلاف المفسرين في سبب نزول هذه الآية، فذهب مقاتل إلى أن الآية نزلت في أبي جهل الذي قال: "زاحَمَنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفَرَسَيْ رهانٍ قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدًا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه" فأنزل الله الآية [(١)]، وذهب بعضهم إلى أنها نزلت في الوليد بن المغيرة [(٢)] الذي قال: "والله لو كانت النبوة حقًا لكنت أولى بها منك؛ لأني أكبر منك سنًا وأكثر منك مالاً" فأنزل الله هذه الآية. وقال الضحاك [(٣)]: "سأل كل واحد من القوم أن يُخَصَّ بالوحي والرسالة" [(٤)].

وأشار الواحديرحمه الله تعالى إلى ترجيح قول الضحاك اعتمادًا على سياق الآية؛ لأن الضمير في قوله تعالى (جاءتهم) يعود إلى أكابر مجرمي القرية المذكورين في الآية التي قبل الآية المفسَّرة، ليتحقق ترابط الآيات الواردة في سياق واحد، قال الواحدي تعليقًا على قول الضحاك: "وظاهر الآية يدل على هذا؛ لأن الكناية في قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾

تعود على الأكابر الذي جرى ذكرهم، فعلى هذا أراد القوم أن تكون لهم النبوة والرسالة كما كانت لمحمد ﷺ " [(٥)] ثم ذكر رحمه الله مرجحًا آخر وهو قوله تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ يعني: أنهم ليسوا لها بأهل.

وذكر الرازي رحمه الله تعالى أنه اختلف في هذه الآية في قوله تعالى : ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾

على قولين:

القول الأول: أن المقصود أن القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت لمحمد ﷺ، وأن يكونوا متبوعين لا تابعين ومخدومين لا خادمين.

(١) ينظر: التفسير البسيط: ٨/ ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان :٥٨٨/١ ، و معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٨٥/٣، والبحر المحيط في التفسير: ٦٣٧/٤.

(٣) ذكره ابن الجوزي في : زاد المسير في علم التفسير: ٧٥/٢.

(٤) ينظر: التفسير البسيط: ٨/ ٤١٢.

(٥) المصدر نفسه: ٨ / ٤١٢-٤١٣.

القول الثاني: أن المعنى: وإذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع النبي ﷺ قالوا ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ﴾ [الأنعام جزء من الآية : ١٢٤] وهو قول مشركي العرب ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ ﴾ (١) [الإسراء: ٩٠].

والقول الأول هو القول الذي ذهب إليه الواحدي رحمه الله تعالى اعتمادًا على سياق الآية كما سبق بيانه في قوله، وقد وصفه الرازي رحمه الله بالقول المشهور، وقال: "وقال المحققون: والقول الأول أقوى وأولى؛ لأن قوله ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ لا يليق إلا بالقول الأول..." (٢). فرد عليهم تعالى بقوله ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ بمعنى يختار ويصطفي من يشاء من عباده للنبوة والرسالة وليس حسب النسب والمال ثم قال ﷻ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾

أي: يصيب أكابر المجرمين ذلة ومهانة نتيجة تكبرهم على رسول الله ﷺ وهذا يُؤكد ما رجحه الواحدي رحمه الله. وقال ابن عطية رحمه الله: "هذه الآية آية ذم للكفار وتوعُّد لهم، يقول: وإذا جاءتهم علامة ودليل على صحة الشرع تشططوا وتسحبوا وقالوا: إنما يفلق لنا البحر إنما يحيي لنا الموتى ونحو ذلك، فرد الله عز وجل عليهم بقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته، أي: فيمن اصطفاه وانتخبه لا فيمن كفر وجعل يتشطط على الله" (٣).

ثامنًا: وقد يلمح الواحدي من ألفاظ الآية وتراكيبها أنها في سياق موضوع معين، فيشير إلى تقوية قولٍ بناءً على ذلك،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ ﴾ [الأعراف :١٩٨] ، إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى عن الحسن (٤) أن المقصود بهذه الآية المشركون، والمعنى: وإن تدعوا أيها المؤمنين المشركين إلى الهدى ﴿ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ ﴾ ، أي: لا يعقلوا بقلوبهم،﴿ وَتَرَىٰهُمۡ ﴾ ، يا محمد ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ ﴾ بأعينهم ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ بقلوبهم. ثم نقل أن الأكثرين على أن المراد بالآية الأصنام وبيان صفاتها التي هي عليها من النقص، ثم قال: "وظاهر النظم يدل على هذا المقدم (٥)" (١).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب : ١٣/ ١٣٦.

(٢) مفاتيح الغيب : ١٣/ ١٣٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٤٢/٢.

(٤) أخرجه الطبري عن السُّدي ومجاهد بسند جيد في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٣٧/١٠-٦٣٨ وذكره الواحدي في الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤٣٦/٢ .

(٥) قول الحسن المقصود المشركين.

في هذا النص نجد أن الواحدي يميل إلى قول الحسن، موضحًا أن ظاهر نظم الآية وسياقها يؤيده ، وأرى أن الواحدي رحمه الله تعالى يعني أن في قوله تعالى ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْ﴾ دلالة إلى أن المقصود المشركون؛ لأن الأصنام لا تُدعَى إلى الهدى، فهو يرى أن موضوع الآية في الحديث عن المشركين عُبَّاد الأصنام.

ويبدو لي أن الواحدي رحمه الله تعالى هنا خالَفَ منهجه المتمثل بالنظر في سابق الآية ولاحقها، فقد قال الله ﷻ في الآية التي قبلها مباشرةً: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الاعراف:١٩٧] إذ إنه من الواضح أن ضمائر الغائبين في (لا يستطيعون) و(أنفسهم) و(ينصرون) تعود إلى الأصنام، فكذلك تكون ضمائر الغائبين في الآية في قوله تعالى (تدعوهم) و(لا يسمعوا) و(تراهم) و(ينظرون) و(هم) و(لا يبصرون) عائدة إلى الأصنام؛ لأن الأصل هو اتحاد الضمائر الواردة في السياق نفسه؛ ولذلك ذكر الطبري رحمه الله تعالى أن "الكلام في سياق الخبر عن الآلهة، فهو بوصفها أشبه" [(٢)]، ورجح الطبري رحمه الله أن المراد بالآية الآلهة، وذكر أن المعنى "قل للمشركين: وإن تدعوا أيها المشركون آلهتكم إلى الهدى، وهو الاستقامة إلى السداد ﴿ لَا يَسۡمَعُواْۖ ﴾ يقول: لا يسمعوا دعاءكم ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ١٩٨ ﴾... وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان يقابلونك وهم لا يبصرونك؛ لأنه لا أبصار لهم...ولو كان الخطاب للمشركين لقال ترونهم " [(٣)].

وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: "تناسق الضمائر يقتضي أن الضمير المنصوب في (وإن تدعوهم) هو للأصنام، ونفى عنهم السماع لأنها جماد لا تحس، وأثبت لهم النظر على سبيل المجاز" [(٤)]، ألا أنَّ أبا حيان حسَّن القول الذي رجحه الواحدي رحمهم الله تعالى وذكر أن الآية التي بعد هذه الآية تدل عليه؛ "إذ في آخرها ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف جزء من الآية: ١٩٩]

أي: من شأنهم إن تدعوهم لا يسمعوا، وينظرون إليك وهم لا يبصرون، فتكون مرتَّبة على العلة الموجبة لذلك وهي الجهل" [(٥)].

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٩/ ٥٣٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٠/ ٦٣٨.

(٣) المصدر نفسه : ١٠/ ٦٣٧ . ٦٣٩.

(٤) البحر المحيط في التفسير:٤/ ٤٤٤.

(٥) المصدر نفسه .

النموذج الثاني : قوله تعالى :﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [العنكبوت :٥٣]؛ إذ ذكر الواحدي أن المفسرين اختلفوا في الأجل المسمى المذكور في قوله تعالى :﴿ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ ، إلى ثلاثة اقوال فذهب ابن عباس ومقاتل [(١)] إلى أن المراد به يوم القيامة، وذهب الضحاك [(٢)] إلى أن الأجل المسمى هو مدة أعمارهم فإذا ماتوا صاروا في العذاب. وذهب ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء أن الأجل المسمى هو يوم بدر [(٣)].

وقد قوى الواحدي القول الأول، فقال: "ودليل القول الأول قوله تعالى :﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[العنكبوت: ٥٤] ، أخبر أن ميعاد عذابهم جهنم، وأنها تحيط بجماعتهم، فلا تبقي منهم أحدًا إلا دخلها" [(٤)]

يرى الواحدي رحمه الله تعالى أن سياق الكلام في العذاب الذي سيلحق الكافرين يوم القيامة، بدليل قوله تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ فهذه الجملة كالتفسير لقوله تعالى ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ﴾ فالعذاب المذكور في كلام الكفار هو عذاب جهنم الذي يكذبون به، وهو يكون بعد قيام الساعة الذي ضرب الله له أجلاً مسمى لا يستقدمونه ساعة ولا يستأخرون. قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا، والنظر بن الحارث هو الذي قال: اللهم أمطر علينا حجارة من السماء، كما قال أصحاب الأيكة: فأسقط علينا كسفا من السماء ولولا أجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم، وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا. والمراد بالأجل: الآخرة، لما روى أن الله تعالى وعد رسول الله ﷺ أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم، وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة.

وقيل: يوم بدر. وقيل: وقت فنائهم بآجالهم لمحيطة ، أي : ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب أو هي محيطة بهم في الدنيا: لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم. أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم. ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر، أي: يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت. من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النَّار ومن تحتهم ظلل، و{يقول} قرئ بالنون والياء. {ما كنتم تعملون} أي: جزاءه" [(٥)].

وضعف ابن عطية رحمه الله تعالى قول الضحاك بأنَّ معنى الآجال الأعمار؛ فالأعمار وإن كانت آجالًا لامحالة لكن هذا الموضع لا يناسبه، أي: سياق الآيات لا يتناسب مع انتهاء الآجال

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٨٧ و معاني القرآن وإعرابه :٤/ ١٧٢ ولم ينسب القول.

(٢) ذكره الثعلبي في : الكشف والبيان عن تفسير القرآن :٧/ ٢٨٦.

(٣) ذكره الثعلبي في : الكشف والبيان عن تفسير القرآن دون نسبة:٧/ ٢٨٦.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٧/ ٥٤٥.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/٤٦٠.

بالموت؛ لأن الله تعالى ذكر إحاطة جهنم بهم وتغطيتها لهم. و{يوم} مفعول فيه والعامل فيه الإحاطة، وهذا يكون في الآخرة (١)، فلولا حكم الله وتقديره الوقت المحدد للعذاب لحكمة لجاءهم العذاب عاجلاً كما طلبوا لكن يأتيهم بغتة بالموت والبعث ولا يستأصل أُمة محمد ﷺ والعذاب يغشاهم لامحالة (٢).

النموذج الثالث : قوله تعالى :﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١١﴾ [يونس :١١] ؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى قولين في قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ الأول قول مجاهد وقتادة (٣) قالا: هو دعاء الانسان إذا غضب على نفسه وماله وولده بما يكره أن يستجاب له من المرض والموت واللعنة، والتعجيل: تقديم الشيء قبل وقته، والاستعجال: طلب العجلة. والقول الثاني ذكر عن بعض المفسرين (٤) أن هذه الآية نزلت في النظر بن الحارث (٥) حين قال: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ ﴾ [الأنفال جزء من الآية: ٣٢] الآية، واستدل الواحدي رحمه الله تعالى لهذا القول بسياق الآية، فقال: "يدل على صحة هذا قوله: ﴿ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ يعني الكفار الذين لا يخافون البعث" (٦).

فأشار الواحدي إلى تقوية القول الأخير اعتمادًا على ما ورد في سياق الآية، فقوله تعالى ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا... ﴾ دليل على أن سياق الآية في الكفار، لذلك يكون المقصود بالناس المذكورين في أول الآية الكفار وهو إشارة إلى النظر بن الحارث الذي قال ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٢﴾ [الأنفال : ٣٢]

ونلاحظ الواحدي خص لفظ النَّاس العام بالكافر دون المؤمن؛ وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله: تعالى "مجيء حرف العطف في صدر هذه الآية يقتضي في علم البلاغة خصوصية لعطفها على ما قبلها ومزيد اتصالها بما قبلها فتعين إيضاح مناسبة موقعها. والظاهر أن المشركين كانوا من غرورهم يحسبون تصرفات الله كتصرفات الناس من الاندفاع إلى الانتقام عند الغضب اندفاعًا

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٢٣/٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٨٩/٦.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٢/١٣٠-١٣١ عن مجاهد وقتادة، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم :٦/ ١٩٣٢.

(٤) ذُكر القول في تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/ ٢٢٩ ، و الجامع لأحكام القرآن :٨/ ٣١٥.

(٥) اخرجه البخاري في صحيح البخاري: ٦ / ٦٢ وكذلك الواحدي في أسباب نزول القرآن : ١/ ٢٣٦.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٣٣/١١ و١٣٧.

سريعًا، ويحسبون الرسل مبعوثين لإظهار الخوارق ونكاية المعارضين لهم، ويسوون بينهم وبين المشعوذين والمتحدين بالبطولة والعجائب، فكانوا لما كذبوا النبي ﷺ وركبوا رؤوسهم ولم تصبهم بأثر ذلك مصائب من عذاب شامل أو مَوَتان عامٌّ ازدادوا غرورًا بباطلهم وإحالة لكون الرسول ﷺ مرسلًا من قبل الله تعالى . وقد دلت آيات كثيرة من القرآن على هذا كقوله تعالى :﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحج : ٤٧] ، كان المؤمنون ربما تمنوا نزول العذاب بالمشركين واستبطؤوا مجيء النصر للنبيء عليه الصلاة والسلام وأصحابه كما جاء في الحديث: أن المسلمين قالوا: ألا تستنصر؟ وربما عجب بعضهم من أن يرزق الله المشركين وهم يكفرون به. فلما جاءت آيات هذه السورة بقوارع التهديد للمشركين أعقبت بما يزيل شبهاتهم ويطمئن نفوس المؤمنين بما يجمعه قوله: ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم.

وهو إجمال ينبئ بأن الله جعل نظام هذا العالم على الرفق بالمخلوقات واستبقاء الأنواع إلى آجال أرادها، وجعل لهذا البقاء وسائل الإمداد بالنعم التي بها دوام الحياة، فالخيرات المفاضة على المخلوقات في هذا العالم كثيرة، والشرور العارضة نادرة ومعظمها مسبب عن أسباب معجلة في نظام الكون وتصرفات أهله، ومنها ما يأتي على خلاف العادة عند محل آجاله التي قدرها الله بقوله تعالى :﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الرعد جزء من الآية : ٣٨]

فهذه الجملة معطوفة على جملة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [يونس: ٧]

فحيث ذكر عذابهم الذي هم آئلون إليه ناسب أن يبين لهم سبب تأخير العذاب عنهم في الدنيا لتكشف شبهة غرورهم وليعلم الذين آمنوا حكمة من حكم تصرف الله في هذا الكون.والقرينة على اتصال هذه الجملة بجملة إن الذين لا يرجون لقاءنا [يونس: ٧] قوله في آخر هذه فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون.

فبينت هذه الآية أن الرفق جعله الله مستمرا على عباده غير منقطع عنهم لأنه أقام عليه نظام العالم إذ أراد ثبات بنائه، وأنه لم يقدر توازي الشر في هذا العالم بالخير لطفا منه ورفقا، فالله لطيف بعباده، وفي ذلك منة عظيمة عليهم، وأن الذين يستحقون الشر لو عجل لهم ما استحقوه لبطل النظام الذي وضع عليه العالم.

والناس: اسم عام لجميع الناس، ولكن لما كان الكلام على إبطال شبهة المشركين وكانوا المستحقين للشر كانوا أول من يتبادر من عموم الناس، كما زاده تصريحا قوله: فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في

طغيانهم يعمهون." [١] فأيد الطاهر بن عاشور ما ذهب إليه الواحدي رحمهم الله جمعيا من أن الآية في المشركين خاصة.

النموذج الرابع : قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٩ ﴾ [يونس : ٣٩]؛ إذ نقل أقوال العلماء في معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ﴾، فذكر أنهم ذهبوا في معناه إلى ثلاثة أقوال ، القول الأول: أنهم جهلوا القرآن وعلمَ تأويله فعادوه بالتكذيب. والقول الثاني: أن المعنى أنهم كذبوا بما يحيطوا بعلمه ، أي: بما في القرآن من الجنَّة والنَّار والبعث والقيامة والثواب والعقاب [٢]. والثالث شكو في كون القرآن مفترى ولم يتيقنوا منه وهذا قول الذين كفروا لأنهم شاكون في القرآن من غير أن يحيطوا بعلمه، ثم قوى الواحدي رحمه الله: تعالى القول الثاني بدلالة السياق قائلًا: "ويدل على صحة هذا التأويل قوله:﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ، أي: بالبعث والقيامة، وتكذيب الكفار من الأمم الخالية كان بالبعث والقيامة، لا بالقرآن" [٣].

فأشار الواحدي رحمه الله: تعالى إلى تقوية القول الثاني اعتمادًا على السياق؛ لأن سياق الآية هو في تشبيه تكذيب هؤلاء الكفار بتكذيب الكفار من الأمم السابقة، قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ، وعليه يكون تكذيب هؤلاء كتكذيب كفار الأمم السابقة، وتكذيب كفار الأمم السابقة لم يكن بالقرآن بل بما تضمن القرآن مما هو مذكور في كتب الرسل السابقين من الجنَّة والنَّار والبعث والحساب.

ومن جميل عمل الواحدي رحمه الله تعالى أنه حينما مال إلى ترجيح أحد القولين، أشار إلى أنه لا يرفض القول الآخر، وذكر توجيهه ومعنى الآية عليه، فقال: "وعلى القول الأول شبه تكذيبهم بالقرآن والنبي بتكذيب الأمم الخالية فيما وعدوهم به" [٤]. زعم الكفار أن لا جنَّة ولا نَّار ولا ثواب ولا عقاب ولما يأتيهم بيانه وما فيه من الحساب كحال الأمم السابقة حين زعموا ذلك [٥].

وذكر الرازي رحمه الله: تعالى في تفسيرها خمسة أوجه :

" الوجه الأول: أنهم كلما سمعوا شيئا من القصص قالوا: ليس في هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها: فأولها: بيان قدرة الله

---

(١) التحرير والتنوير: ١١/١٠٥-١٠٦.

(٢) ينظر: التفسير البسيط: ١١/ ٢٠٢.

(٣) التفسير البسيط: ١١/ ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٢٣٨ .

تعالى على التصرف في هذا العالم، ونقل أهله من العز إلى الذل ومن الذل إلى العز، وذلك يدل على قدرة كاملة.

وثانيها: أنها تدل على العبرة من حيث إن الإنسان يعرف بها أن الدنيا لا تبقى، فنهاية كل متحرك سكون، وغاية كل متكون أن لا يكون، فيرفع قلبه عن حب الدنيا وتقوى رغبته في طلب الآخرة.

وثالثها: أنه ﷺ لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتلمذ، دل ذلك على أنه بوحي من الله تعالى .

والوجه الثاني: أنهم كلما سمعوا حروف التهجي في أوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقرآن. وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾[آل عمران: ٧].

والوجه الثالث: أنهم رأوا أن القرآن يظهر شيئا فشيئا، فصار ذلك سببا للطعن الرديء كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ فأجاب الله تعالى عنه بقوله ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾[الفرقان: ٣٢]

والوجه الرابع: أن القرآن مملوء من إثبات الحشر والنشر، والقوم كانوا قد ألفوا المحسوسات فاستبعدوا حصول الحياة بعد الموت، ولم يتقرر ذلك في قلوبهم، فظنوا أن محمدا عليه الصلاة السلام إنما يذكر ذلك على سبيل الكذب، والله تعالى بين صحة القول بالمعاد بالدلائل القاهرة الكثيرة.

والوجه الخامس: أن القرآن مملوء من الأمر بالصلاة والزكاة وسائر العبادات، والقوم كانوا يقولون إله العالمين غني عنا وعن طاعتنا، وإنه تعالى أجل من أن يأمر بشيء لا فائدة فيه، فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[المؤمنون: ١١٥:] ثم قال الرازي رحمه الله: تعالى "وبالجملة فشبهات الكفار كثيرة، فهم لما رأوا القرآن مشتملا على أمور ما عرفوا حقيقتها ولم يطلعوا على وجه الحكمة فيها لا جرم كذبوا بالقرآن، والحاصل أن القوم ما كانوا يعرفون أسرار الإلهيات، وكانوا يجرون الأمور على الأحوال المألوفة في عالم المحسوسات وما كانوا يطلبون حكمها ولا وجوه تأويلاتها، فلا جرم وقعوا في التكذيب والجهل، فقوله: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه إشارة إلى عدم علمهم بهذه الأشياء، وقوله: ولما يأتهم تأويله إشارة إلى عدم جدهم واجتهادهم في طلب تلك الأسرار." (١).

النموذج الخامس : قوله تعالى : ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الانبياء :١٠٣]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين اختلفوا في معنى قوله تعالى :﴿ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴾ على عدة أقوال: الأول: إنه إطباق جهنم على

---

(١) مفاتيح الغيب : ١٧/٢٥٥ – ٢٥٦.

أهلها، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكلبي (١) والثوري ﷺ (٢)، والقول الثاني: قول الحسن ﷺ (٣): هو أن يُؤَمَّر بالعبد إلى النَّار . والثالث: قول ابن جريج ﷺ (٤): هو ذبح الموت بين الفريقين. والرابع: قول ابن عباس ﷺ (٥): هو النفخة الأخيرة، وهذا كما قال في رواية عطاء: يريد البعث، يعني أنهم لا يحزنون للبعث كما يحزن غيرهم ممن يعلم أنه يصير إلى النَّار . وقواه الواحدي من بين سائر الأقوال فقال: "قوله تعالى :﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء جزء من الآية: ١٠٤]

أي: لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السَّماء، وهذا يدل على أنَّ المراد بالفزع الأكبر البعث؛ لأنّه يقع في ذلك اليوم" (٦)

فأشار الواحدي إلى أن سياق الآية هو في يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال؛ لذلك فالأنسب بهذا السياق أن يذكر البعث؛ لأنه أول أهوال ذلك اليوم.

قال الطبري رحمه الله تعالى "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة ، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعده أحرى أن لا يفزع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده " (٧) ، وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: "والفزع الأكبر عام في كل هول يكون في يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملته هو الفزع الأكبر وإن خصص بشيء فيجب أن يقصد لا عظم هو له انتهى" (٨).

النموذج السادس : قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢﴾ [المؤمنون : ١٢] ، إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين اختلفوا في معنى الإنسان إلى قولين: الأول أنه آدم عليه السلام ، وهذا قول ابن عباس وقتادة (٩) ومقاتل ﷺ (١٠)

---

(١) ورواه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/ ٣٩٤ عن الكلبي.

(٢) ورواه الطبري في"تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٢٢/١٦ ، و ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣/ ٤٤ عن ابن جبير والضحاك.، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٦٨٢، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٦٨٢.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير: ٣/ ٢١٥.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥/ ٦٨٢.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢١٦/١٥- ٢١٨.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٢٢/١٦ ورجحه ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير: ٣/ ٢١٥.

(٨) البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٤٧١ ورجحه ابن عطية المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ١٠٢.

(٩) ذكر قولهم ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير: ٣/ ٢٥٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان :٣/ ١٥٣.

والفراء [1]؛ قالوا: خُلق آدم من طين وذريته من ماء مهين. والثاني رواية عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة [2] والكلبي [3] ﷺ؛ قالوا: وُلد آدم وقوله: ﴿ مِّن طِينٍ ﴾ أراد تولد السلالة من طين خلق آدم منه. قال الواحدي رحمه الله تعالى: "ويدل على أن المرادَ بالإنسانِ ابنُ آدم قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٣] يعني ابن آدم؛ لأن آدم لم يكن نطفة في رحم" [4].

فنرى أن الواحدي رحمه الله تعالى استدل بما ورد في الآية على أن سياق الكلام هو في ابن آدم، وليس في آدم نفسه، وبالتالي يكون المقصود بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ هو ابن آدم، وقد بين الواحدي رحمه الله تعالى معنى خلق ابن آدم من سلالة من طين. ثم بين وجه اتصال الآية بما قبلها فقال على القول الاول الكناية تعود لولد آدم لا إلى الانسان المذكور لكونه مفهوم من فحوى الكلام ، قال الثعلبي رحمه الله تعالى "ولقد خلقنا الإنسان يعني ابن آدم من سلالة من طين ، أي : من صفوة ماء آدم الذي هو من الطين ومنيه والعرب تسمي نطفة الشيء وولده سليله وسلالته لأنهما مسلولان منه." [5] ، وخالفهم البيضاوي رحمه الله تعالى بقوله : "لقد خلقنا الإنسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر، ﴿ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ متعلق بمحذوف؛ لأنه صفة لسلالة أو ﴿ مِّن ﴾ بيانية أو بمعنى سلالة لأنها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالأولى، والإنسان آدم عليه السلام خُلق من صفوة سُلَّت من الطين، أو الجنس فإنهم خُلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار. وقيل: المراد بالطين آدم؛ لأنه خلق منه والسلالة نطفته. ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ ﴾ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف. ﴿ نُطْفَةً ﴾ بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة، وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء. في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم، وهو في الأصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار" [6].

---

(١) يظهر أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد في نسبة هذا القول إلى الفراء على الأزهري، فإن الأزهري قال في تهذيب اللغة :١٢/ ٢٠٦ذكر قول قتادة: استل آدم ... ، ثم قال: و إلى هذا ذهب الفراء.

أما كتاب الفراء معاني القرآن :٢/ ٢٣١ فليس فيه ذكر لشيء من ذلك، وإنما فيه: السلالة.

(٢) ذكر قولهم السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٩١.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن : ١٢/ ١٠٩.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٥٣٨/١٥.

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٧/ ٤٢ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤/ ٨٣.

المبحث الثالث : التصريح بترجيح بعض الأقوال

عُني الواحدي رحمه الله تعالى بنقل اختلاف العلماء في تفسير الآيات القرآنية، وحرص على نقد الأقوال التي ينقلها مبينًا ما لها وما عليها، ومن بين أهم ما اعتمده في ذلك هو سياق الآيات كما سبق بيانه في المبحثين الأول والثاني من هذا الفصل، وكذلك سيأتي بيانه في هذا المبحث، وقد وجدته كثيرًا ما يصرح بترجيحه لأحد الأقوال التي ينقلها في تفسير الآية مستندًا إلى سياق الآيات، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولًا: عُني الواحدي رحمه الله تعالى ببيان الموضوع الذي سيقت الآية للكلام عليه وبناءَ على ذلك يرجح بين أقوال المفسرين التي ذُكرت في تفسير الآية،

النموذج الأول : قوله تعالى :﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة : ١١٨]إذ نقل الواحدي قول ابن عباس ﵁ [١] أن المقصود بالآية اليهود، وقول مجاهد﵀ [٢]: أن المقصود النصارى، وقول الحسن [٣]وقتادة [٤]﵏: هم مشركو العرب. ثم رجح القول الأخير فقال: "وهذا أظهر الأقوال؛ لأنه يُشاكل ما طلبوا، حيث قالوا: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ ﴾

الآيات الأربع [الإسراء: ٩٠ – ٩٣]، ولأن أهل الكتاب أهل علم به، والله تعالى قال:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ " [٥].

نرى هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى رجح القول الأخير؛ لكونه موافقًا لطلب المشركين الذي ذكر في الإسراء، ولكونه أنسب بسياق الآية؛ لأن الطلب أسند إلى ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ وهذا الوصف أقرب إلى مشركي العرب منه إلى أهل الكتاب؛ ولذلك قال: "لأن أهل الكتاب أهل علم به" [٦]. وخالفه الطبري رحمه الله بقوله: "وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل: إن الله ﷻ عنى بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ١١٨] النصارى دون غيرهم؛ لأن ذلك في سياق خبر الله ﷻ عنهم، وعن افترائهم عليه وادعائهم له ولداً. فقال جل ثناؤه، مخبرا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢ / ٤٧٤.
(٢) المصدر نفسه : ٢/٤٧٣.
(٣) لم أجده عن الحسن وقد ذكره الواحدي في "الوسيط": ١/ ١٩٧.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١/ ٢١٥.
(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/٢٧٤.
(٦) المصدر نفسه .

عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم أنهم مع افترائهم على الله الكذب بقوله:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [البقرة جزء من الآية : ١١٦] تمنوا على الله الأباطيل، فقالوا جهلا منهم بالله وبمنزلتهم عنده وهم بالله مشركون: لولا يكلمنا الله كما يكلم رُسلَه وأنبياءه، أو تأتينا آية كما أتتهم. ولا ينبغي الله أن يكلم إلا أولياءه، ولا يؤتي آية معجزة على دعوى مدَّعٍ إلا لمن كان مُحقًّا في دعواه وداعيا إلى دينه وتوحيده. فأما من كان كاذبا في دعواه وداعيا إلى الفرية عليه وادعاء البنين والبنات له، فغير جائز أن يكلمه الله جل ثناؤه، أو يؤتيه آية معجزة تكون مؤيدة كذبه وفريته عليه. وقال الزاعم: إن الله عنى بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨] العرب، فإنه قائل قولا لا خبر بصحته ولا برهان على حقيقته في ظاهر الكتاب. والقول إذا صار إلى ذلك كان واضحا خطؤه، لأنه ادعى ما لا برهان على صحته، وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد " [١].

وقيل: النص عام في الجهلة من الكفار والمشركين واليهود والنصارى الذين جهلوا توحيد الله والنبوة وطاعته والعمل بكتابه وسموا جهلة لانهم لم يعملوا بما علموا والذين من قبلهم من الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمود عليهم السلام وغيرهم حيث قالوا هلا يكلمنا الله كما كلم موسى عليه السلام ويخبرنا إنك رسوله [٢] والأمام الرازي وافق الطبري وخالف الواحدي رحمهم الله جميعا بقوله: "إن قيل: الدليل على أن المراد مشركو العرب أنه تعالى وصفهم بأنهم لا يعلمون، وأهل الكتاب أهل العلم، قلنا: المراد أنهم لا يعلمون التوحيد والنبوة كما ينبغي، وأهل الكتاب كانوا كذلك" [٣].

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨ ﴾[النساء :٣٨] ؛ نقل الواحدي عن السدي [٤] والزجاج [٥] أنهما ذهبا إلى أن الآية نزلت في المنافقين كانوا يظهرون الإيمان ولا يؤمنون بالله عز وجل وذهب آخرون [٦] إلى أن الآية نزلت في مشركي مكة المتفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رجح الواحدي قول السدي والزجاج فقال عن هذا القول: "وهو الوجه؛ لذكر الرياء ههنا، وهو ضرب من النفاق" [٧].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/ ٤٧٥.

(٢) ينظر : بحر العلوم: ٨٨/١ ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٨٢/١ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل :١٢٤/١.

(٣) مفاتيح الغيب : ٢٧/٤.

(٤) قوله في : معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٢/ ٢١٤.

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٥١.

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٣/ ٣٠٧ ، وابن الجوزي في : زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٤٠٥.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٥١١/٦.

هنا اعتمد الواحدي على سياق الآية في ترجيح قول السدي والزجاج؛ لأن ذكر الرياء يرجح كون المقصود بالآية المنافقين، فذكر الرياء يناسب النفاق، إذ هو من صفات المنافقين. فالواحدي يقتنص المعنى الذي سيقت الآية لأجله من خلال بعض التعبيرات التي وردت فيها. ووافقه ابن عطية في ذلك بقوله: "وقال الجمهور: نزلت في المنافقين، وهذا هو الصحيح، وإنفاقهم: هو ما كانوا يعطون من زكاة، وينفقون في السفر مع رسول الله ﷺ ، «رياء» ودفعا عن أنفسهم، لا إيمانًا بالله، ولا حبًا في دينه ورئاء نصب على الحال من الضمير في ينفقون والعامل ينفقون، ويكون قوله: ولا يؤمنون في الصلة، لأن الحال لا تفرق إذا كانت مما هو في الصلة، وحكى المهدوي: أن الحال تصح أن تكون من الذين فعلى هذا يكون ولا يؤمنون مقطوعا ليس من الصلة،" (١). وذكر الرازي قول الواحدي رحمهما الله تعالى ورجحه وبين أنَّ الله تعالى لما أمر بالإحسان إلى أرباب الحاجات كان النَّاس ثلاثة أقسام: قسم يبخلون ويأمرون بالبخل قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾[النساء جزء من الآية : ٣٧] والقسم الثاني ينفقون رياء وسمعة وهم المذكورون بهذه الآية وكلاهما مذموم، والثالث ينفقون ابتغاء مرضاة الله تعالى (٢).

قال القرطبي رحمه الله تعالى: " قال الجمهور نزلت في المنافقين: لقوله تعالى : ﴿ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾والرئاء من النفاق. مجاهد (٣): في اليهود. وضعفه الطبري (٤) ؛ لأنه تعالى نفى عن هذه الصنفة الإيمان بالله واليوم الآخر، واليهود ليس كذلك. قال ابن عطية (٥) : وقول مجاهد متجه على المبالغة والإلزام، إذ إيمانهم باليوم الآخر كلا إيمان من حيث لا ينفعهم. وقيل: نزلت في مطعمي يوم بدر، وهم رؤساء مكة، أنفقوا على الناس ليخرجوا إلى بدر" (٦).

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ ﴾[الانبياء :٧] إذ اختلف المفسرون في المراد بالذكر إلى أقوال: الأول قول الحسن وقتادة (٧) والكلبي (٨) قالوا: الذكر هنا التوراة والإنجيل، بمعنى أهل التوراة والانجيل. والثاني

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٥٢.
(٢) مفاتيح الغيب : ١٠/ ٧٩.
(٣) ينظر: تفسير مجاهد : ٢٧٦.
(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧/ ٢٦.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢/ ٥٢.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ١٩٣.
(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون : ٣/ ٤٣٨.
(٨) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره. ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٢/ ٣٨٢.

قول السدي: يعني اليهود والنصارى (١). قالت العرب: الله أجل وأعظم من أن يرسل بشرًا وينبغي أن يرسل ملكًا من الملائكة، فقال الله تعالى لنبيه: قل لهم يا محمد: سلوا الذين من قبلكم من أهل الكتاب هل جاءهم إلا بشرٌ مثلهم يوحى إليهم ﴿ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ أن الرسل بشر. وأنكر قوم هذا التفسير، وقالوا: لا يجوز مراجعة اليهود والنصارى في شيء، إلا من آمن منهم بالله والنبي ﷺ وهم أهل التوراة، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء (٢) والزجاج (٣)، وعلى هذا يجوز مراجعة المؤمنين من أهل الكتب الماضية. وقال ابن زيد (٤): أهل الذكر أهل القرآن؛ يعني: فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، وضعفه الرازي رحمه الله بقوله: "ومن الناس من قال: المراد بأهل الذكر أهل القرآن وهو بعيد لأنهم كانوا طاعنين في القرآن وفي الرسول ﷺ ." (٥) قال الواحدي : "والوجه القول الأول (أي: أهل التوراة والإنجيل)؛ لأن الله تعالى أمر المشركين بهذا السؤال لا المسلمين وهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي ﷺ من أهل الكتاب أقرب منهم إلى تصديق من آمن. واليهود والنصارى لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرًا وإن أنكروا نبوة محمد ﷺ . وهذا السؤال مختص بالكفار في هذه المسألة فقط، فأما المسلمون فلا يجوز لهم مراجعة أهل الكتاب في شيء من الدين" (٦). والواحدي هنا يشير إلى أن الآية نازلة في سياق مجادلة المشركين وإرشادهم إلى ما يؤيد بطلان ما هم عليه وأحقية ما عليه النبي محمد ﷺ وأتباعه، وبناء على ذلك رجح ما رجحه في تفسير الآية.

ورجحه الطبري رحمه الله تعالى بقوله: "وهم الذين قد قرأوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده" (٧). وكذلك الرازي رحمه الله تعالى بقوله: "وأقول: الظاهر أن هذه الشبهة وهي قولهم: الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحدا من البشر إنما تمسك بها كفار مكة، ثم إنهم كانوا مقرين بأن اليهود والنصارى أصحاب العلوم والكتب فأمرهم الله

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور:٥/ ١٣٢، وعزاه لابن أبي حاتم. ذكره عند قوله تعالى {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} [النحل: ٤٣].

(٢) روى الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٤ / ٢٢٨ من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: يعني أهل الكتب الماضية، وروي أيضًا: ١٤/ ٢٢٨ من طريق مجاهد قال: إن محمدًا رسول الله في التوراة والإنجيل.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٣٨٥ وفيه: لأن القول يكون .. وفيه أيضا أهل الكتب.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٤ /٢٢٨ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٥٧٣.

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٢/ ١٢٢ .

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٥/ ٢٣ و ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٥/ ٣١١.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٤/ ٢٢٧.

بأن يرجعوا في هذه المسألة إلى اليهود والنصارى ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها، فإن اليهودي والنصراني لا بد لهما من تزييف هذه الشبهة وبيان سقوطها" (١). وقال ابن كثير: "أي: اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرا أو ملائكة؟ إنما كانوا بشرا، وذلك من تمام نعم الله على خلقه؛ إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم" (٢).

النموذج الرابع : قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠]؛ إذ ذكر أن المفسرين ذكروا أوجهًا في قوله تعالى : ﴿ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ ، منها أن المراد به طلب الرزق، وقيل: طلب الولد، وقيل: طلب العلم وعيادة المريض وحضور الجنازة، (٣) ثم قال: "والظاهر هو الأول؛ لأن إباحة ما منه هو البيع" (٤).

هنا الواحدي رجح أن المراد بالابتغاء من فضل الله المذكور في الآية: طلب الرزق؛ لأن سياق الآية في إباحة ما تم المنع منه في الآية السابقة، قال تعالى في الآية السابقة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الجمعة: ٩]، فمنع من البيع إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة، ثم قال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ١٠]، فأباحت هذه الآية ما مُنع منه في الآية السابقة، وبهذا يظهر الترابط بين الآيات من خلال اتحاد السياق فيها.

قال أبو حيان رحمه الله تعالى : "وفضل الله هو ما يلبسه في حالة حسنة، كعيادة المريض، وصلة صديق، واتباع جنازة، وأخذ في بيع وشراء، وتصرفات دينية ودنيوية فأمر مع ذلك بإكثار ذكر الله" (٥).

النموذج الخامس : قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [التحريم : ٤]؛ ذكر الواحدي في المراد بقوله تعالى : ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أقوالاً، منها أن المراد أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٠/ ٢١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٥/ ٣٣٤.

(٣) ذكره الطبري في عن أنس جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٦٤٤/٢٢.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢١/ ٤٥٧-٤٥٨. ورجحه الزجاج ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤١/٤، والتحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٨.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ١٧٥/١٠.

عنهما، ومنها أن المراد خيار المؤمنون الذين ليس في قلوبهم نفاق (١)، ومنها قول قتادة (٢) أنَّ المراد الأنبياء (٣)، ثم قال: "وأظهر هذه الأقوال قول من قال: إن المراد بصالح المؤمنين أبو بكر وعمر؛ لأن الخطاب في هذه الآية لابنتيهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما، وكأنه قيل لهما: إن تعاونتما على إيذاء النبي ﷺ فأن أبويكما لا يوافقانكما ولا يتظاهرا معكما، فإنهما وَلِيَّا رسولِ الله" (٤).

في هذا النص يرجح الواحدي قولًا من الأقوال التفسيرية في الآية على غيره بناء على سياق الآية، فلما كان سياق الآية خطابًا لعائشة وحفصة رضي الله عنهما فإن الأولى أن يكون المراد بصالح المؤمنين في الآية أبا بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنهما أقرب المؤمنين إليهما؛ لكونهما والديهما، فإذا كان والدا عائشة وحفصة رضي الله عنهما عوناً للنبي ﷺ عليهما فمن باب أولى يكون غيرهما عونًا للنبي ﷺ ، وكأنه قيل: جميع المؤمنين مع النبي ﷺ ابتداءً من أقرب الناس إليهما.

غير أن البيضاوي مال إلى أن المراد بصالح المؤمنين العموم، بقوله: "فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين، فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه، ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه. والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون، وتخصيص جبريل لتعظيمه، والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالإضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله تعالى به" (٥) فالمراد به كل من صلح من المؤمنين وبرئ من النفاق ، فقد يكونوا الصحابة والخلفاء والانبياء (٦). وأرى أن هذا لا ينافي قول الواحدي ؛ لأن الواحدي يرى أن المقصود بصالح المؤمنين في الآية أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ويدخل في الآية عموم صالح المؤمنين من باب أولى على النحو الذي تقدم بيانه، والله تعالى أعلم.

ثانيًا: أحيانًا يرجح الواحدي قولًا على غيره بما ورد من تعابير في الآية المفسرة والآيات التي قبلها، **النموذج الأول** : قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ [البقرة جزء من الآية : ١٩٤]؛ بين الواحدي أن الحرمات: جمع حُرْمَة، كالظلمات جمع ظلمة والحجرات جمع حجرة والحُرْمَة: ما وجب حفظه ومُنِع من انتهاكه. وجاءت بصيغة الجمع لأنها تعني الشهر الحرام، والبلد

---

(١) ذكر هذين القولين الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩٧/٢٣.

(٢) تفسير عبد الرزاق :٣٢٣/٣.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢٢/ ١٨، و النكت والعيون: ٤١/٦ ، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠٠/١٩.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢٢/ ١٨-١٩.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٢٥/٥.

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٢١١/١٠، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٠٥/٣.

الحرام، وحُرمة الإحرام والقصاص: المساواة والمماثلة. (١) ومعنى قوله: ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ ،أي: اقتصصت لكم منهم، حيث أضاعوا وانتهكوا هذه الحرمات في سنة ستٍ حين صدوا النبي ﷺ وأصحابه ومنعوهم من العمرة في ذي القعدة، فقضيتم على زعمهم ما فاتكم في سنة سبع فاعتمروا في ذي القعدة من العام المقبل؛ هذا قول قتادة عن عكرمة (٢) ومجاهد وابن عباس. (٣) ثم نقل قول ابن عباس (٤) والزجاج (٥) وهو لا يجوز للمسلمين أن ينتهكوا الحرمات ويبدؤوا القتال إلا على سبيل القصاص، ثم رجحه بدلالة السياق فقال: "وهذا القول أولى القولين بالصواب وأشبهها (٦) بالآية وبما قبلها، وهو قوله: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ١٩١] والذي يدل عليه من سياق الآية قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي: ظلم فقاتل: ﴿ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾..." (٧)

هنا نرى أن الواحدي صرح بترجيح القول الثاني؛ لأنه هو الذي يوافق سياق هذه الآيةِ وآيةٍ سابقةٍ في السياق نفسه، فأما الآية السابقة فهي قوله تعالى :﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [البقرة: ١٩١]

وهي تصرح بأنه لا يجوز الابتداء بالمقاتلة، وأما سياق الآية نفسها فقد صرحت بقوله تعالى ﴿ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ففي هذه الجملة شرط جواز قتال المشركين في الحرم هو اعتداؤهم على المسلمين، فيجوز للمسلمين أن يردوا اعتداء المعتدين ؛ لذلك لا يجوز أن تفسر جملة من جمل الآية بتفسير لا يلائم سياق الآية والآيات التي قبلها؛ لكي لا يؤدي ذلك إلى تشتت السياق وعدم التئامه وتناسبه.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى : "قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة، فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة: الشهر الحرام بالشهر

---

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٣/ ٣٠٩ ، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢/ ٩٠.

(٢) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٣١٥.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣/ ٣٠٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ١/ ٣٢٩.

(٥) قال الزجاج "وأعلم الله عز وجل أن هذه الحرمات قصاص، أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصا." معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٢٦٤.

(٦) كذا في المطبوع من التَّفْسِيرُ البَسِيْط ، ولعل الأصوب: "وأشبههما"؛ لأن الكلام عن قولين .

(٧) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٦٢٩/٣ ورجحه الرازي ينظر : مفاتيح الغيب : ٥/ ٢٩٣، و اللباب في علوم الكتاب: ٣/ ٣٤٩.

الحرام أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه، يعنى تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص أي وكل حرمة يجرى فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت، اقتص منه بأن تهتك له حرمة، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا، وأكد ذلك بقوله ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم، فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم." [١] ورجح ابن عطية القول الأول بقوله "فأباح الله بالآية مدافعتهم، والقول الأول أكثر" [٢].

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩﴾ [الاسراء :٩٩] ؛ إذ ذكر الواحدي أن الآية فيها أقوال: الأول ألم يعلموا أن الذَّي قدر على خلق السموات والارض في عظمها نظيره قوله تعالى : ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [غافر: ٥٧].

﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ ، أي: على أن يعيد خلقهم ثانياً، والمراد بمثلهم هم أنفسهم، وذلك أن مثل الشيء مساوٍ له في حالته، فجاز أن يُعَبِّر به عن الشيء نفسه، والله تعالى قادر على إعادة خلقٍ مساوٍ لهم في الضعف والصغر [٣].

والقول الثاني في الآية قول عطاء عن ابن عباس ﷺ [٤]: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ يريد عبيدًا يوحدونني ويعظمونني ولا يعدلون بي شيئًا، فالمعنى على هذا يخلق مثلهم في الخلقة والشبه، ويكون المعنى كقوله: ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩﴾ [إبراهيم: ١٩].قال الواحدي "والقول هو الأول؛ لأنه أشبه بما قبله، ولأنه لا دليل على توحيد المخلوقين مثلهم في الآية، وتَمَّ الكلام، أي : لا دليل في الآية على أن الذين يخلقهم أمثالهم يوحدونه ويعظمونه كما ذكرتم" [٥] فضعف الواحدي القول الثاني بدليلين، مقدمًا دليل السياق. وهو الصحيح والذي عليه الجمهور -كما ذكر- ولم يكن حاجة إلى إيراد القول الثاني المرجوح جدا خاصة أن طريقه مقطوعة.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ٢٣٧.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٢٦٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٥ / ٩٧، وبحر العلوم: ٢/٣٣٠، والكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١٣٧/٦.

(٤) ذكره الرازي دون نسبة ينظر: مفاتيح الغيب : ٤١٢/٢١.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤٨٩/١٣.

قال الزمخشري: "وقوله ﴿ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ﴾ يحتمل معنيين: أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالإضافة إلى السماوات والأرض أو أن يعيدهم، لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به" (١) وقال الرازي "وفي قوله: ﴿ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ ﴾ قولان: الأول: المعنى قادر على أن يخلقهم ثانيا فعبر عن خلقهم ثانيا بلفظ المثل كما يقول المتكلمون أن الإعادة مثل الابتداء. القول الثاني: المراد قادر على أن يخلق عبيدا آخرين يوحدونه ويقرون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلى هذا التفسير فهو كقوله تعالى ﴿ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٩ ﴾ [إبراهيم: ١٩] وقوله: ﴿ وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ﴾ [التوبة: ٣٩] قال الواحدي والقول هو الأول لأنه أشبه بما قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور أن البعث والقيامة أمر ممكن الوجود في نفسه أردفه بأن لوقوعه ودخوله في الوجود وقتا معلوما عند الله وهو قوله: ﴿ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ٩٩ ﴾ ،أي : بعد هذه الدلائل الظاهرة أبوا إلا الكفر والنفور والجحود." (٢).

وضعف الألوسي القول الثاني بقوله "وفيه أنه لا يلائم السياق كما لا يخفى على ذوي الأذواق، ثم اعلم أن ظاهر الآية أن الكفرة أنكروا إعادتهم يوم القيامة على معنى جمع أجزائهم المتفرقة وعظامهم المتفتتة وتأليفها وإفاضة الحياة عليها كما كانت في الدنيا فهو الذي عنوه بقولهم أإنا لمبعوثون خلقا جديدا بعد قولهم أئذا كنا عظاما ورفاتا فرد عليهم بإثبات ذلك بطريق برهاني، وعلى هذا تكون الآية أحد أدلة من يقول: إن الحشر بإعادة أجزاء الأبدان التي تتفرق كأبدان ما عدا الأنبياء عليهم السلام ومن لم يعمل خطيئة قط والمؤذنين احتسابا ونحوهم ممن حرمت أجسادهم على الأرض كما جاء في الأخبار وجمعها بعد تفرقها وعنوا بذلك الأجزاء الأصلية وهي الحاصلة في أول الفطرة حال نفخ الروح وهي عندهم محفوظة من أن تصير جزءا لبدن آخر فضلا عن أن تصير جزءا أصليا له،" (٣). قال ابن كثير: "أي: يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى، ويعيدهم كما بدأهم" (٤).

النموذج الثالث : قوله تعالى ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [النساء : ٧٩] ذكر الواحدي أنَّ في المراد بالحسنة والسيئة قولين: الأول الحسنة هي النصر والغنيمة التي ظفر بها المسلمون يوم بدر والسيئة القتل والهزيمة يوم أحد والخطاب للنبي ﷺ والمراد أصحابه كقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق :١]

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٤/ ٣١ ، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٨٥/٩.

(٢) مفاتيح الغيب : ٤١٢/٢١.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٦٨/٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ١٢٣/٥.

فنادى النبي ﷺ والمراد أمته؛ لأنه لسانهم ونبيهم وقدوتهم، والمعنى ما أصابكم من فضل ورزق ونصر فبما قدمتم من الحسنات وكذلك ما أصابكم من القحط والجدب والهزيمة فبذنوبكم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام معصوم ومغفور له، وذلك أن الله تعالى حين بعثه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس [(١)]. والثاني الحسنة عامة في الخير والرزق والنعمة وكل ما تفضل به الله تعالى على عباده برحمته ، والسيئة الشِّدة والجدب والقحط و النقمة فهذه بذنوب بني آدم.

قال الواحدي : "ويدل على صحة هذا التفسير قوله ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى : ٣٠] " [(2)] ورجحه بقوله "وهذا القول هو اختيارنا لموافقته الآثار واللغة، ودلالة الآية الأولى على صحته، ولأن الحسنة معلوم أنها تكون بمعنى الخصب، والسيئة بمعنى الجدب" [(٣)]. فاستدل باللغة والاثار والسياق بقوله "ودلالة الآية الأولى على صحته" لم يكتفِ رحمه الله تعالى بدليل بل ينظر في كافة الأدلة التي تعينه في الوصول إلى الصواب.

قال الطبري: "ما يصيبك يا محمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة، فمن فضل الله عليك يتفضل به عليك إحسانا منه إليك. وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك، يعني: بذنب استوجبتها به اكتسبته نفسك" [(٤)]. وقال الماوردي: "وفي الحسنة والسيئة ها هنا ثلاثة أقاويل: أحدها: أن الحسنة النعمة في الدين والدنيا، والسيئة المصيبة في الدين والدنيا، وهذا قول بعض البصريين. والثاني: أن الحسنة ما أصابه يوم بدر، والسيئة ما أصابه يوم أحد من شج رأسه وكسر رباعيته، وهو قول ابن عباس والحسن. والثالث: أن الحسنة الطاعة، والسيئة المعصية، وهذا قول أبي العالية" [(٥)]. وقال الزمخشري: "ما أصابك يا إنسان خطابا عاما من حسنة ، أي: من نعمة وإحسان فمن الله تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن عندك، لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك" [(٦)].

النموذج الرابع : قوله تعالى ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [النحل : ١١٤]؛ ذكر الواحدي فيها قولين: الأول قول ابن عباس رضي الله عنه ذكر في تفسيرها أنها خطاب للمؤمنين؛ قال لهم عز وجل: يا معشر المؤمنين كلوا مما رزقناكم حلالاً طيباً

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٤٣٥.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٦/ ٦١٦.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٧/ ٢٤١، وينظر: بحر العلوم: ١/ ٣٢٠ ، و الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٢٨٥.

(٥) النكت والعيون: ١/ ٥٠٩ ، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢/ ٢٥٢.

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٥٣٨ ، و غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢/ ٤٥١.

من الغنائم التي رزقكم الله تعالى . والثاني قول الكلبي (١): إن رؤساء أهل مكة كَلَّمُوا رسولَ الله ﷺ حين جُهِدوا، قالوا: عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان، وكانت المِيرَة (٢) قد قطعت عنهم بأمر رسول الله ﷺ فأَذِن في الحَمْل إليهم، فَحُمِل إليهم الطعام، فقال الله تعالى : ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾الآية.

ثم رجح الواحدي القول الأول لابن عباس قائلًا: "والقول ما قاله ابن عباس، يدل عليه قوله بعد هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ وهذا خطاب للمسلمين لا لكفار" (٣). قال ابن عطية: "هذا ابتداء كلام آخر ومعنى حكم، والفاء في قوله فكلوا الصلة الكلام واتساق الجمل خرج من ذكر الكافرين والميل عليهم إلى أمر المؤمنين بشرع ما فوصل الكلام بالفاء وليست المعاني موصولة، هذا قول، والذي عندي أن الكلام متصل المعنى، أي: وأنتم أيها المؤمنون لستم كهذه القرية، فكلوا واشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة وهذه الآية هي بسبب أن الكفار كانوا سنوا في الأنعام سننا وحرموا بعضا وأحلوا بعضا فأمر الله تعالى المؤمنين بأكل جميع الأنعام التي رزقها الله عباده وقوله حلالا حال، وقوله طيبا أي مستلذا، ووقع النص في هذا على المستلذات ففيه ظهور النعمة وهو عظم النعم وإن كان الحلال قد يكون غير مستلذ، ويحتمل أن يكون الطيب بمعنى الحلال وكرره مبالغة وتوكيدا وباقي الآية بين، وقوله إن كنتم إياه تعبدون إقامة للنفوس كما تقول لرجل: إن كنت من الرجال فافعل كذا، على معنى إقامة نفسه، وذكر الطبري: أن بعض الناس قال نزلت هذه الآية خطابا للكافر عن طعام كان رسول الله ﷺ بعثه إليهم في جوعهم، وأنحى الطبري على هذا القول وكذلك هو فاسد من غير وجه." (4). قال ابن الجوزي: "قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾في المخاطبين بهذا قولان أحدهما: أنهم المسلمون، وهو قول الجمهور. والثاني: أنهم أهل مكة المشركون لما اشتدت مجاعتهم كلم رؤساؤهم رسول الله ﷺ فقالوا: إن كنت عاديت الرجال، فما بال النساء والصبيان؟! فأذن رسول الله ﷺ للناس أن يحملوا الطعام إليهم" (٥).

ثالثًا : وقد يستدل بتعابير الآية المفسرة نفسها لترجيح قول على غيره،

النموذج الأول : قوله تعالى﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ [البقرة جزء من الآية : ٢٢٨]؛ بين الواحدي أنَّ "الرحم: مَنْبَتُ الولد ووعاؤه في البطن" (٦)،

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٠/ ٢٨٠.

(٢) المِيرَةُ: جلب الطعام للبيع وللعيال، وهم يَمِيرون غيرهم ويَمْتَارون لأنفسهم. المحيط في اللغة: ٢/ ٤٤٥.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٣/ ٢٢٠ ، ورجحه الرازي: مفاتيح الغيب : ٢٠/ ٢٨٠.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٤٢٧.

(٥) زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ٥٩٠ ، وينظر: الجامع لأحكام القرآن :١٠/ ١٩٥.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤/ ٢١٦.

ثم ذكر قولين في معنى ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ الأول قول عكرمة (١) وإبراهيم (٢): يعنى الحيض، وهو أن تكون المرأة في عدة الطلاق الرجعي فتكتم أمر حيضتها على زوجها لتبطل حقه في الرجعة إليها، وقال ابن عباس وقتادة (٣) ومقاتل: (٤) يعنى: الحبل والولد. بمعنى المطلقة إذا كانت لا ترغب بالعودة إلى طليقها تكتم حملها عليه وعندما تتزوج غيره فيكون الولد للزوج الثاني كعادة العرب في الجاهلية ورجحه الواحدي بتعابير النص قائلًا: "وهذا القول أولى؛ لأن قوله: ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ أدل على الولد منه على الحيض... ومعنى الآية: لا يحل لهن أن يكتمن الحمل ليبطلن حق الزّوج من الرجعة والولد" (٥). وفيها قول ثالث لم يذكره الواحدي وذكره بعض المفسرين منهم ابن الجوزي، وهو قول ابن عمر وابن زيد أن المراد بالآية الحمل والحيض؛ نقله عنهما ابن الجوزي (٦)، ورجحه الكثير من المفسرين؛ قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: الذي نهيت المرأة المطلقة عن كتمانه زوجها الذي طلقها تطليقة أو تطليقتين مما خلق الله في رحمها الحيض، والحبل؛ لأنه لا خلاف بين الجميع أن العدة تنقضي بوضع الولد الذي خلق الله في رحمها كما تنقضي بالدم إذا رأته بعد الطهر الثالث في قول من قال: القرء: الطهر، وفي قول من قال: هو الحيض إذا انقطع من الحيضة الثالثة فتطهرت بالاغتسال" (٧). قال الرازي "واعلم أن هذه الوجوه ضعيفة؛ لأنه لما كان المقصود منعها عن إخفاء هذه الأحوال التي لا اطلاع لغيرها عليها، وبسببها تختلف أحوال الحرمة والحل في النكاح، فوجب حمل اللفظ على الكل" (٨) فالجمهور حملوا ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ على الحيض والولد بخلاف الواحدي رحمه الله تعالى .

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر: ٢٢]؛ إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾قولين: الأول قول مقاتل "وأرسلنا الرياح لواقح، وذلك أن الله يرسل الريح فتأخذ الماء بكيل معلوم من سماء الدنيا ثم تثير الرياح والسحاب فتلقي الريح السحاب بالماء الذي فيها من ماء النبت

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/ ١٠٦ ، و تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٢/ ٤١٦.

(٢) هو إبراهيم النخعي. أخرج قوله الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤/ ١٠٥.

(٣) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٣٤٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان : ١/ ١٩٤.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٤/ ٢١٦.

(٦) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ١/ ١٩٩.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤/ ١١٢، و ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣٠٥.

(٨) مفاتيح الغيب : ٦/ ٤٣٩ وينظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٣٩٢.

ثم تسوق تلك الرياح السحاب إلى الأرض التي أمر الرعد أن يمطرها" (١)، وهو قول ابن عباس (٢) وابن مسعود والحسن وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك ﷺ (٣)؛ شُبهت الرياح التي تُلقح السحاب بالفحل الذي يُلقح ناقته، وسُميت لواقحَ مع كونها ملقحة؛ لأن لواقح بمعنى ملاقح جمع ملقحة حُذفت الميم ورُدَّت إلى الأصل، وريح لاقح التي تقدم بخير وريح عقيم التي لا تقدم بخير (٤). واللاقح الحامل؛ لأن الرياح تحمل كل ما علق بها من التراب وغيره وكذلك تحمل المطر والحر والبرد، كما يقال شجرة: لاقحة أي: حاملة (٥)، ورجحه الواحدي رحمه الله تعالى بدلالة السياق قائلاً: "والأظهر في هذه الآية إلقاحها السحاب لقوله بعده: ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ولأن إلقاحها للسحاب ظاهر كما ذكرنا، وإلقاحها للشجر لم يذكر كيف هو" (٦). ثم ذكر القول الثاني وهو قول عبيد بن عمير (٧): " يرسل الله المبَشِّرة فتَقـُمُّ الأرضَ قمًّا، ثم يرسل المُثيرة فتثير السحاب، ثم يرسل المؤلِّفة فتؤلفه، ثم يرسل اللواقح فتُلقِح الشجر" (٨). قال ابن كثير: " تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها" (٩) ، وقال الطاهر بن عاشور: "واقتصر جمهور المفسرين على أنها لواقح السحاب بالمطر" (١٠).

النموذج الثالث : قوله تعالى﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ [محمد :١٦] ؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين ذكروا قولين في وجه سؤال المنافقين: أحدهما: أنهم سألوا ذلك على وجه الاستهزاء وللإعلام بأنهم لم يستمعوا إلى ما قال ولم يلتفتوا إليه. ورجحه أبو الليث السمرقندي بقوله: "ماذا قال آنفا؟ يعني: الساعة، على جهة الاستهزاء" (١١). والقول الثاني: أن سؤالهم على وجه الاستفهام والاستعلام الحقيقي؛ لأنهم سمعوا كلامه لكنهم لم يفقهوه فلذلك سألوا (١٢). وقد رجح

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان : ٢/ ٤٢٧ .

(٢) مفاتيح الغيب : ١٩/ ١٣٤.

(٣) أخرج قولهم الطبري ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤/ ٤٣- ٤٦.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٢/ ٥٧٤.

(٥) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٣٥٦ .

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٥٧٦/١٢ –٥٧٧.

(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن :٤/ ٣٧٥.

(٨) التَّفْسِيرُ البَسِيْط:١٢/ ٥٧٧.

(٩) تفسير القرآن العظيم :٤/ ٥٣٠.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٤/ ٣٨.

(١١) بحر العلوم: ٣/ ٣٠١ ، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٣٢٢ ، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥/ ١١٥ ، و الجامع لأحكام القرآن : ١٦/ ٢٣٨.

(١٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢٠/ ٢٣٩-٢٤٠.

الواحدي رحمه الله تعالى القول الثاني وبين أن كلام ابن عباس (١) يدل عليه، وعليه يدل سياق الآية أيضاً، قال: "وعلى هذا دل سياق الآية، وهو قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ " (٢). وطبع على قلوبهم ختم عليها بالكفر فلا يعقلون الإيمان ؛ لذلك يتبعون الكفر والنفاق (٣). قال الطبري: "وهو المنافق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاوناً منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، وتغافلاً عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان" (٤). وذكر الرازي أن مما يؤكد كونهم مستهزئين قوله ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ﴾ [البقرة:١٤] ويؤكد كون الاستفهام حقيقياً ، أي: البحث عن مجهول ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ [الحجرات :١٤] " (٥). وقال الألوسي : "ماذا قالَ آنِفاً، أي: ما الذي قال قبيل هذا الوقت؟ ومقصودهم من ذلك الاستهزاء وإن كان بصورة الاستعلام، وجوز أن يكون مرادهم حقيقة الاستعلام إذا لم يلقوا له آذانهم تهاوناً به ولذلك ذُمُّوا، والأول أولى،" (٦) والذي يظهر لي أنَّ الواحدي رحمه الله تعالى خالف الجمهور في ترجيحه القول الثاني.

النموذج الرابع : قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ [الاعراف :١٤٣]؛ إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى (٧) في تفسير قوله تعالى على لسان رسوله موسى عليه السلام ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ قول الزجاج: "المعنى أرني نفسك أنظر إليك" (٨)، قال الواحدي رحمه الله تعالى : "وهذا يقطع بأن موسى سأل رؤية الباري، ولو كانت الرؤية لا تصح في وصفه ما سأل موسى ذلك؛ لأنه كان أعلم بالله من أن يسأله ما يستحيل في وصفه، وليس يحتمل قوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ إلا أنه سأله أن يريه نفسه لينظر إليه. وليس يصح أن يقال: إنه سأل أمرًا عظيماً على تقدير: أرني أمرًا، أنظر إلى أمرك، ثم حذف المفعول والمضاف؛ لأن سياق الآية يدل

---

(١) وهو «أنا منهم، وقد سألت فيمن سأل». ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٢١/ ٢٠٤.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢٠/٢٤٠.

(٣) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/ ٤٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢١/ ٢٠٣.

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٨/ ٥٠.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٣/ ٢٠٦.

(٧) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٩/ ٣٣٢.

(٨) معاني القرآن وإعرابه: ٢/ ٣٧٣.

على بطلان هذا، وهو قوله: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ﴿ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ ﴾ ولا يجوز أن يحمل جميع هذا على حذف المضاف؛ ولأنه لو سأل آية وأمرًا لأعطاه الله تعالى ما سأل كما أعطاه سائر الآيات، وأيُّ معنى لإحالته على استقرار الجبل ووقوعه مغشيًا عليه، وتوبته بعد ذلك، هذا كله لا يكون في سؤاله أمرًا وعلامة" (١).

في هذا الكلام يشير الواحدي رحمه الله تعالى إلى ردِّ احتمال لغوي قد تحتمله الآية ممكن أن يتعلق به المعتزلة الذين يرون استحالة رؤية الله ﷻ ، وبالتالي لا يمكن أن يسأل موسى عليه السلام ربه إياها. وقد استعان الواحدي رحمه الله تعالى في ردِّ هذا الاحتمال ورَفْضِهِ على سياق الآية، فبين أن سياق الآية يُؤكد على أن المراد أن موسى عليه السلام سأل ربَّهُ أن يريه نفسه، لا أن يريه أمراً عظيماً آخر، ولذلك ورد في السياق عبارات تدل على ذلك: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ﴿ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ ﴾ وكل ذلك يؤكد على أن المراد بسؤال موسى عليه السلام هو سؤال لرؤية ربِّه ﷻ.

وبناءً على قوة ما ذكره الواحدي رحمه الله تعالى وغيره من المفسرين؛ ولكون سياق الآيات يرفض تقدير مفعول به ثان محذوف، وأن المعنى: أرني أمراً عظيماً من أمرك أنظر إليه، ذهب الزمخشري إلى أن معنى ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ أرني نفسك أنظر إليك، ثم ذهب إلى أن موسى عليه السلام إنما طلب رؤية الله وهو عليه السلام يعلم أنها مستحيلة [بزعم الزمخشري وفقاً على مذهب المعتزلة] تبكيتاً لقومه الذين وصفهم بالسفهاء وتبرأ من فعلهم "وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا وقالوا: لابد، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأراد [أي: موسى عليه السلام] أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ليتيقنوا وينزاح عنهم ما داخلهم من الشبهة، فلذلك قال:﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ ....." (٢).

النموذج الخامس : في قوله: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ [الأعراف جزء من الآية : ١٤٣]؛ إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى قولين للمفسرين في معنى ﴿ صَعِقٗاۚ ﴾ فذهب ابن عباس والحسن وابن زيد (٣) إلى أن معناه: مغشياً عليه. وذهب قتادة (٤) أن معناه: ميتاً (٥).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط:٩/ ٣٣٢.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ١٥٣.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ١٥٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم :٥/ ١٥٦١

(٥) ينظر: التفسير البسيط: ٩/ ٣٤٠.

ثم رجح القول الأول بدلالة قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾إذ لا يكاد يقال للمي(ت قد أفاق من موته)، ولكن يقال للذي يغشى عليه والذي قد ذهب عقله: قد أفاق من علته. أما الموت فقد استعمل القرآن معه البعث، قال تعالى في الذين ماتوا: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1] [البقرة: ٥٦].

نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى يوظف السياق ويرجح الأقوال بناء عليه، ويشرح الكلمات بناء على ورود كلمات أخرى وردت في الآية نفسها، وهذا تأكيد على تفسير ألفاظ القرآن بناء على معنى ألفاظ أخرى وردت في السياق، وترجيح قول على غيره في تفسير الآية وفقاً لذلك. قال الطبري: "أي: مغشيا عليه" [2] فوافق الواحدي رحمه الله تعالى جمهور المفسرين.

النموذج السادس : قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة :١٠٩]؛ إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ ﴾ أقوالاً عدة عن المفسرين من الصحابة فمن بعدهم، وحاصل ما نقله يرجع إلى قولين:

القول الأول: قول من ذهب إلى أن الرسل عليهم السلام قالوا ذلك بسبب شدة أهوال القيامة حتى زالت قلوبهم من مواضعها وعزبت أفهامهم فذهلوا عن الجواب فقالوا هذا القول الذي حكاه الله عنهم.

القول الثاني: قول من ذهب إلى أن الرسل عليهم السلام قالوا ذلك بمعنى: لا علم لنا كعلمك؛ لأنك تعلم ما أظهروا وما أضمروا ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، وعلى هذا إنما نفوا العلم عن أنفسهم؛ لأن علمهم بحكم العدم نسبة إلى علم الله ﷻ [3].

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الثاني فقال: "يدل على صحة هذا التأويل: قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة جزء من الآية: ١٠٩]، أي: أنت تعلم ما غاب، ونحن نعلم ما نشاهده، ولا نعلم ما في البواطن" [4].

وهذا الكلام ظاهر في أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد على ما ورد في سياق الآية لترجيح القول الثاني على القول الأول، فلا يوجد للقول الأول مستند من السياق أو غيره، وما وافق السياق والتأم معه أولى بالترجيح من غيره.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه . وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: ٢/٢٤٧ ، التفسير الوسيط للزحيلي:١/٧٢١. و زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ١٥٢، و مفاتيح الغيب : ١٤/ ٣٥٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠/ ٤٢٧.

(٣) ينظر: التفسير البسيط: ٧/ ٥٨٤-٥٨٦.

(٤) المصدر نفسه : ٧/ ٥٨٦.

ورجحه الطبري أيضًا بقوله: "وأولى الأقوال بالصواب، قول من قال: معناه: لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا، لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩] ، أي : أنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفي العلوم وجليها." [١] نرى الواحدي رحمه الله تعالى وافق جمهور المفسرين في الاعتماد على سياق الآية وترجيح القول الثاني.

النموذج السادس : قوله تعالى ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الانعام : ٣١] ؛ إذ بين الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين اختلفوا في سبب تسمية يوم القيامة بالساعة إلى قولين:

الأول: سميت بهذا الاسم لسرعة الحساب وانتقال كل فريق إلى منزلته من الجنَّة والنَّار . ولم يذكر القرطبي وأبو حيان غير هذا القول [٢].

والثاني لكون القيامة تفاجئ الناس في ساعة [٣]، و رجحه الواحدي رحمه الله تعالى بدلالة السياق ؛لأن الآية وصفت مجيء الساعة بأنه بغتةً، قال: "وهذا القول أصح؛ ألا ترى أنه قال: ﴿ بَغْتَةً ﴾ والبغت والبغتة: الفجأة" [٤]

فلابد من مراعاة جميع ما ورد في سياق الآية في تفسيرها وفي نقد الأقوال التي وردت فيها وفي الترجيح بين الأقوال، وهذا أساس من أسس منهج الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره.

النموذج السابع : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى ثلاثة أقوال للمفسرين في معنى الحسنة والسيئة:

الأول: إنها عامة في كل حسنة وسيئة، والمعنى: ولا يستويان عند الله وعند الناس ، و رجحه الطاهر بن عاشور بقوله "فالحسنة تعم جميع أفراد جنسها وأولاها تبادرا إلى الأذهان حسنة الدعوة إلى الإسلام لما فيها من جم المنافع في الآخرة والدنيا، وتشمل صفة الصفح عن الجفاء الذي يلقى به المشركون دعوة الإسلام لأن الصفح من الإحسان، وفيه ترك ما يثير حميتهم لدينهم ويقرب لين نفوس ذوي النفوس اللينة. فالعطف على هذا من عطف غرض على غرض" [٥].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩/ ١١٢، وينظر : مفاتيح الغيب : ١٢/ ٤٥٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤١٢، و البحر المحيط في التفسير: ٤/ ٤٨١.

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ٣/ ٥٧، و معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٤١ و ٣/ ١٣١ومحاسن التأويل ٤/ ٣٤٢ .

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٨/ ٨٤.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٩٠.

والثاني: إن الحسنة: لا إله إلا الله، والسيئة: الشرك. رجحه الطبري بقوله: "ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته" (١).

والثالث: إن الحسنة هي الصبر والحلم والعفو، والسيئة ما يضادها من الغضب والجهل والإساءة (٢).

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الأخير فقال: "وهذا هو القول؛ لدلالة ما بعده عليه، وهو قوله ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ معنا ادفع السيئة بالتي هي أحسن منها كدفع الغضب بالصبر والإساءة بالعفو" (٣). ورجحه البغوي بقوله: "ولا تستوي الحسنة والسيئة، يعني الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة" (٤).

النموذج الثامن : قوله تعالى ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١ ﴾ [الانفال : ١]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين اختلفوا في حكم الآية: منسوخة هي أم لا؟ إلى قولين: الأول قول مجاهد وعكرمة والسدي (٥): هي منسوخة؛ نسخها قوله: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ٤١]، فكانت الغنائم يومئذ للنبي ﷺ خاصة، فنسخها الله بالخمس. وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي عنه (٦). والقول الثاني: قول ابن زيد (٧): الآية ليست بمنسوخة؛ لأن الأنفال لله ـ لا شك ـ مع الدنيا بما فيها والآخرة، وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله عز وجل بوضعها فيها (٨). ورجح الواحدي رحمه الله تعالى الأول قائلاً: "والقول هو الأول؛ لأن قوله:﴿ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾تمليك له إياها، وذلك التمليك نسخ بالخمس، وابن زيد ذهب إلى أن معنى قوله لله والرسول أن الحكم فيها له، وهذا لم ينسخ" (٩).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٢٠/ ٤٣٢.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٩/ ٤٦١، و زاد المسير في علم التفسير: ٤/ ٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن :١٥/ ٣٦١ ، و البحر المحيط في التفسير: ٩/ ٣٠٦.

(٣) التفسير البسيط: ١٩/ ٤٦٢.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٧/ ١٧٤، و ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٢٠٠.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١١/ ٢١ ، والبغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣/ ٣٢٥.

(٦) الدر المنثور: ٤/ ٨.

(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤/ ٣٢٧.

(٨) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٠/ ١٣-١٤.

(٩) المصدر نفسه.

في هذا النص نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى استند على سياق الآية في ترجيح القول الأول الذي يذهب أصحابه إلى أن الآية منسوخة، ويعني أن هذه الآية ملكت جميع النفل لله وللرسول ﷺ، وقد نسخ هذا الحكم في الآية (٤١) من ال نفسها، فجعلت خمس النفل لله وللرسولﷺ . واستند الواحدي رحمه الله تعالى في ترجيحه على ما ورد في سياق الآية، وذلك أن سياق الآية دل على تمليك الرسول للنفل، وهذا حكم شرعي قابل للنسخ، ولا مانع يمنع من ذلك، وبما أنه ورد في القرآن نفسه ما يفيد أن خمس النفل له، فهذا نسخ للتمليك المستفاد من الآية.

وقد اختلف العلماء في الآية، فذهب بعضهم إلى أنها منسوخة؛ لأن الله تعالى بعد أن ملَّك النبي ﷺ جميع النفل، وذكر في موطن آخر أن له خُمُسَهُ. منهم الجصاص بقوله "وإنما وقع النسخ في النفل بعد إحراز الغنيمة من غير الخمس. ويدل على أن قسمة غنائم بدر إنما كانت على الوجه الذي جعله النبي ﷺ قسمتها لا على قسمتها الآن أن النبي ﷺ قسمها بينهم بالسواء ولم يخرج منها الخمس، ولو كانت مقسومة قسمة الغنائم التي استقر عليها الحكم لعزل الخمس لأهله ولفضل الفارس على الراجل؛" [١]، والثعلبي بقوله "وأما الغنائم فإنها كانت في بدء الإسلام لرسول الله ﷺ يصنع بها ما يشاء، كما قال عز وجل:﴿ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾ [الأنفال : ٤١] الآية: فجعل أربعة أخماسها للغانمين تقسم بينهم." [٢].

وذهب فريق آخر إلى أنها محكمة غير منسوخة، منهم الرازي، قال: "قال مجاهد وعكرمة والسدي: إنها منسوخة بقوله فأن لله خمسه وللرسول، وذلك ؛ لأن قوله: قل الأنفال لله والرسول يقتضي أن تكون الغنائم كلها للرسول، فنسخها الله بآيات الخمس وهو قول ابن عباس في بعض الروايات، وأجيب عنه من وجوه: الأول: أن قوله: قل الأنفال لله والرسول معناه أن الحكم فيها لله وللرسول. وهذا المعنى باق فلا يمكن أن يصير منسوخا، ثم إنه تعالى حكم بأن يكون أربعة أخماسها ملكا للغانمين. الثاني: أن آية الخمس. تدل على كون الغنيمة ملكا للغانمين، والأنفال هاهنا مفسرة لا بالغنائم، بل بالسلب. وإنما ينفله الرسول ﷺ لبعض الناس لمصلحة من المصالح" [٣].

النموذج التاسع : قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [التوبة : ٣٧]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى : ﴿ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بضم الياء وكسر الضاد [٤]، و مرجع الضمير في يضَّلُ له ثلاثة أوجه: أحدها: يضل الله به الذين

---

(١) أحكام القرآن للجصاص : ٣/ ٦٠.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٩/ ٢٧٥.

(٣) مفاتيح الغيب : ١٥/ ٤٤٩.

(٤) وهي قراءة العامة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر، والقراءة الثانية قراءة عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي {يضل به} بضم الياء وفتح الضاد ينظر : كتاب السبعة في القراءات : ٣١٤.

كفروا، أي: يعود إلى الله تعالى والثاني: يضل الشيطان به الذين كفروا ، أي : يعود إلى الشَّيطان ، والثالث: وهو أقواها (عند الواحدي رحمه الله تعالى) يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بذلك، أي الكافرينَ يضل بعضهم بعضًا [1] وعلل اختياره لهذا الوجه بقوله "وإنما كان هذا الوجه أقوى؛ لأنه لم يجرِ ذكر الله ولا ذكر الشيطان فيُبنى الفعل لهما، والكناية في (به) تعود إلى النسيء" [2] .

وهذا ترجيح ظاهر بسياق الآية، فسياق الآية هو الحاكم عند الواحدي رحمه الله تعالى بين أقوال المفسرين في حال اختلافهم في كثير من المواطن كما في هذا الموطن، فلما لم يجرِ لله ذكر ولا للشيطان في السياق الذي وردت فيه الآية كي ترجع الضمائر الواردة فيها إلى الله أو إلى الشيطان، رجح الواحدي رحمه الله تعالى أن الضمير ظاهر ولا يوجد ضمير مستتر في الفعل (يضل) وأن فاعله ظاهر هو الاسم الموصول في (الذين كفروا) وأن مفعوله محذوف، والضمير في (به) يعود إلى النسيء. كذلك الضمير في يحلونه ويحرمونه يعود إلى النسيْ، قال الطبري "والصواب من القول في ذلك أن يقال: هما قراءتان مشهورتان (قراءة فتح الضاد وكسرها)، قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به، وهما متقاربتا المعنى؛ لأن من أضله الله فهو ضال ومن ضل فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضل،" [3] قال الثعلبي "أحدهما أن يكون الذين كفروا في محل النصب أي يضل الله به الذين كفروا. والوجه الثاني أن يكون الذين في محل رفع على معنى يضل به الذين كفروا الناس المفسدين منهم،" [4] ورجحه الرازي بقوله "أما قوله تعالى : ﴿ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ فهذا قراءة العامة وهي حسنة لإسناد الضلال إلى الذين كفروا ؛ لأنهم إن كانوا ضالين في أنفسهم فقد حسن إسناد الضلال إليهم، وإن كانوا مضلين لغيرهم حسن أيضا؛ لأن المضل لغيره ضال في نفسه لا محال. وقراءة أهل الكوفة يضل بضم الياء وفتح الضاد، ومعناه: أن كبراءهم يضلونهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور، فأسند الفعل إلى المفعول كقوله في هذه الآية: زين لهم سوء أعمالهم أي زين لهم ذلك حاملوهم عليه. وقرأ أبو عمرو في رواية من طريق ابن مقسم يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد وله ثلاثة أوجه: أحدها: يضل الله به الذين كفروا. والثاني: يضل الشيطان به الذين كفروا. والثالث: وهو أقواها يضل به الذين كفروا تابعيهم والآخذين بأقوالهم، وإنما كان هذا الوجه أقوى لأنه لم يجر ذكر الله ولا ذكر الشيطان" [5]، فقول الرازي هو عينه قول الواحدي رحمهما الله تعالى من حيث الترجيح والاستدلال بالسياق.

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٠/ ٤٢٨.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٠/ ٤٢٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١١/ ٤٥٠.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٥/ ٤٦.

(٥) مفاتيح الغيب : ١٦/ ٤٦.

رابعًا: يرجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الذي يحقق الترابط بين الآية المفسرة والآية التي بعدها ويقوي تناسبهما،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٦] ؛ إذ بين الواحدي رحمه الله تعالى أن المقصود بالذين كفروا بنو النظير وبنو قريظة، والمعنى أموالهم وأولادهم لا تَدْفَعُ عنهم ضراً، وخُصَّا بالذكر؛ لأنهما مُعتَمَد ما يقع به الغرور فإذا لم يغنيا فغناء مَن دونهما أبعد ونقل عن الزجّاج [١] أنه علل ذلك بأن رؤساء اليهود اكتسبوا الأموال بمعاندة رسول اللهﷺ وحصلت لهم السيادة ؛ لذلك ذكرت الأموال والأولاد، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾ [البقرة: ٧٩] الآية... وخص الأولاد؛ لأنهم أقرب أنسبائهم إليهم. ورجحه الطبري بقوله: "وإنما خص أولاده وأمواله؛ لأن أولاد الرجل أقرب أنسبائه إليه، وهو على ماله أقرب منه على مال غيره، وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره، فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الأمر فيه، فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم أبعد من أن تغني عنه من الله شيئا." [٢] وكذلك أبو الليث السمرقندي بقوله "ويقال: إنما ذكر الأموال والأولاد، لأن أكثر الناس يدخلون النَّار ، لأجل الأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أنه لا ينفعهم في الآخرة، لكيلا يفني الناس أعمارهم، لأجل المال والولد، وإنما ذكر الله تعالى الكفار، لكي يعتبر بذلك المؤمنون ثم قال تعالى : وأولئك هم وقود النَّار أي حطب النَّار ." [٣] والبغوي "وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد." [٤] وقال بعض المفسرين لن تغني عنهم أموالُهم في الصدقات، لأنهم ينفقونها رياء وشهرة ولا أولادُهم يشفعونَ لهم في الآخرة فيدفعونَ عنهم العذاب . فأما المؤمن ينفعه مالُه في الكَفَّارات والصدقات؛ وأولاده في الشفاعة .ورجح الواحدي رحمه الله تعالى هذا القول بدلالة سياق الآية التالية قائلاً: "والدليل على صحة هذا التفسير: ما ذكر مِن بُطلان نفقاتهم عقيب هذه الآية في: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [آل عمران١١٧]" [٥].

فاستدل الواحدي رحمه الله تعالى للقول الثاني بأنه يحقق تناسب الآية للآية التي بعدها، والذي يظهر لي أن الواحدي رحمه الله تعالى يميل إلى هذا القول؛ لقوله: "والدليل على صحة هذا التفسير..." فالواحدي رحمه الله تعالى يرى أن أولى الأقوال بالصحة ما كان أوفق وأقرب إلى

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ١/ ٤٦٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧٠٢/٥ –٧٠٣.

(٣) بحر العلوم :١٩٦/١.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٩٤/٢.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٥٢٣/٥.

تناسب الآيات مع بعضها، فكأن هذه الآية لما بينت أن أموال الكفار وأولادهم لن تنفعهم ولن تدفع عنهم ضراً تبادر إلى الأذهان تساؤل، هو: فما حال الأموال التي ينفقونها؟ فأجابت الآية التالية على هذا التساؤل، فاتضح بهذا البيان ضرورة مراعاة السياق في تفسير الأقوال ونقد الأقوال التفسيرية. وما رجحه لم يذكره أحدٌ من المفسرين بحسب اطلاعي.

النموذج الثاني : قوله تعالى ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ [النساء : ١١٧]، فقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ ذكر فيه الواحدي رحمه الله تعالى قولان : الاول : "قال المفسرون (١) : كان في كل واحدة من آلهتهم شيطان يترايا (٢) للسدنة والكهنة يكلمهم. والمعنى: ما يعبدون بعبادتهم لها إلا شيطانا مريدًا، لطاعتهم له في عبادتها، فتلك العبادة ليست للأوثان بل هي للشيطان. والثاني قول الزجاج: يعني بالشيطان ههنا إبليس؛ لأنهم إذا أطاعوه بما سول لهم فقد عبدوه" (٣).

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى قول الزجاج بدلالة سياق الآية التالية لها فقال: "وهذا هو القول؛ لأن ما بعد هذه الآية يدل على أن المراد بالشيطان في هذه الآية إبليس، ويحتمل أن ما قاله المفسرون من ترائي الشيطان للسدنة أرادوا به إبليس" (٤).

هنا نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى رجح قول الزجاج لموافقته لسياق الآية التي بعد الآية المفسَّرة، وهذا استدلال بالسياق الذي وردت فيه الآية، ونلاحظ في قول الواحدي رحمه الله تعالى هذا أنه حاول أن يجمع بين القولين اللذين ذكرهما، وهذا يعني أن الأصل عند الواحدي رحمه الله تعالى هو الجمع بين الأقوال مهما أمكن ذلك، وللجمع بين الأقوال له عدة وسائل من بينها الجمع بالسياق.

قال ابن عطية: "واختلف في المعني بـ «الشيطان» ، فقالت فرقة: هو الشيطان المقترن بكل صنم، فكأنه موحد باللفظ جمع بالمعنى؛ لأن الواحد يدل على الجنس، وقال الجمهور: المراد إبليس وهذا هو الصواب، لأن سائر المقالة به تليق،" (٥).

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى

---

(١) ينظر : بحر العلوم : ١/ ٣٣٩، و الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٣٨٧، و زاد المسير في علم التفسير ١/ ٤٧٣، و الدر المنثور: ٢/ ٦٨٧.

(٢) قال محقق التَّفْسِيرُ البَسِيْط هكذا في المخطوط يترايا ، ولعل الصواب: "يتراءى"

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٢/ ١٠٨.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ٩٨، وذكر نحوه الرازي ينظر : مفاتيح الغيب : ١١/ ٢٢١.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢ / ١١٣.

نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة :١١٦] ؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن عامة المفسرين ذهبوا إلى أن هذا القول لعيسى عليه السلام إنما يكون يوم القيامة، إلا السدي [١] وقطرب فقد ذهبا إلى أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه، وتعلقا بظاهر قوله:﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ﴾ و(إذ) تستعمل لما مضى [٢].

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى قول عامة المفسرين مستنداً إلى سياق الآية التالية لها بقوله: "والصحيح ما عليه العامة؛ لأن الله تعالى عقب هذه القصة بقوله تعالى :﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ [المائدة : ١١٩] وأراد به يوم القيامة، وإنما خرج هذا مخرج المضي وهو للمستقبل؛ تحقيقًا لوقوعه كقوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ [الأعراف:٤٤] ولم يُنادَوْا بعدُ، ولكنه بمنزلة ما قد مضى وفعلوا ذلك، من حيث أنه لا يعترض الشك في وقوعه" [٣].

فرجح الواحدي رحمه الله تعالى قول جمهور المفسرين مستدلًا بالسياق الذي وردت فيه الآية، حيث نصت الآية الأخرى التي وردت بعد الآية المفسَّرة على يوم القيامة (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)، وهذا يوم الجزاء، وهو يوم القيامة. قال الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ ﴾ : "والذي ذكرنا من أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة قول عامة المفسرين إلا ما روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: يريد يومًا من أيام الدنيا؛ لأن الآخرة ليس فيها عمل، إنما فيها الثواب والجزاء، وذهب في هذا القول إلى ظاهر الآية من أن الصدق النافع يكون في الدنيا، فلما وصف اليوم بأنه ينفع فيه الصدق جعله من أيام الدنيا، ويكون معنى الآية: (قال الله هذا) ، أي: هذا الكلام الذي جرى ذكره (يوم ينفع الصادقين)، أي: في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وهذا القول يوافق مذهب السدي في أن هذه المخاطبة جرت مع عيسى حين رفع إلى السماء" [٤].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩/ ١٣٣.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ٥٩٩. أما بخصوص استعمال (إذ)، فقد ذكر ابن هشام أنها تأتي على أربعة أوجه، وذكر الوجه الأول أنها تأتي اسماً للزمن الماضي، والوجه الثاني أنها تأتي للدلالة على الزمن المستقبل وذكر أن الجمهور لا يثبتون هذا القسم وحملوا كلما وردت فيه (إذ) مما هو للمستقبل على تنزيل المستقبل منزلة الواقع الواجب الوقوع للدلالة على تحقق وقوعه، فكأنه في حكم الواقع. (ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٥-١٨.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ٥٩٩-٦٠٠. وذكر نحوه الرازي ينظر : مفاتيح الغيب : ١٢/ ٤٦٥.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٧/ ٦٠٧.

وقد رجح الطبري قول من ذهب إلى أن هذه المحاورة جرت حين رفع الله عيسى إلى السماء، فقال: "وأولى القولين عندنا بالصواب في ذلك، قولُ من قال بقول السدي، وهو أن الله تعالى ذكره قال ذلك لعيسى عليه السلام حين رفعه إليه، وأن الخبرَ خبرٌ عما مضى، لعلَّتين:

إحداهما: أن" إذْ" إنما تصاحب – في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها – الماضيَ من الفعل، وإن كانت قد تدخلها أحيانًا في موضع الخبر عما يحدث، إذا عرف السامعون معناها. وذلك غير فاشٍ، ولا فصيح في كلامهم، وتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل، أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر.

والأخرى: أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الأنبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه، فيجوز أن يُتَوهم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيبًا لربه تعالى ذكره: إن تعذّب من اتخذني وأمي إلهين من دونك فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم " [١] .

وقال البغوي: "وقال سائر المفسرين: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله [من قبل] ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ﴾ [المائدة، ١٠٩]. وقال من بعدها ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة، ١١٩]، وأراد بهما يوم القيامة، وقد تجيء "إذ" بمعنى "إذا" كقوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ [سبأ : ٥١]، أي: إذا فزعوا [يوم القيامة] والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها كالكائنة ؛ لأنها آتية لا محالة." [٢]

النموذج الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ [يس : ٤٢]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى [٣] في معنى الآية ثلاثة أقوال الأول : يريد السفن مثل مركب نوح عليه السلام يعني السفن الصغار، فإنها عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على صنعتها، والقول الثاني: أن المراد الإبل، والقول الثالث: في البحر السفن، وفي البر الإبل. قال الواحدي رحمه الله تعالى مرجحا القول الأول: "والظاهر القول الأول؛ لأنه قال: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ، والسفن هي التي تشبه ما عمله نوح عليه السلام ، وهي أيضًا من الخشب الذي هو من خشب سفينة نوح عليه السلام. ومن ذهب إلى الإبل احتاج أن يجعل (مِنْ) زائدة، ويجعل الإبل من السفينة في أنها تحمل الإنسان في البر كما تحمله السفينة في البحر، فهو مثلها في العمل والحمل لا في الصورة والخلقة" ثم استدل بسياق الآية التالية على تقوية القول الأول: " ويدل على صحة القول الأول: قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ ، والإغراق يكون

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٩/ ١٣٤.
(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣/ ١٢١ ، وينظر : زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٦٠٥.
(٣) ينظر: التفسير البسيط: ١٨/ ٤٨٩-٤٩٠.

بالماء في البحر" [١] بمعنى السفن هي التي تغرق لا الإبل . نرى الواحدي رحمه الله تعالى دقق النظر في كل لفظة من ألفاظ الآية فقوله تعالى ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ ، أي : ما يشبه سفينة نوح عليه السلام في الصورة والخلقة والعمل والركوب والسفن تسير في البحر بخلاف الابل التي تسير في البر وأكد قوله كذلك بالنص التالي ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ والإغراق يكون في البحر لا في البر قال ابن عطية "الإبل وسائر ما يركب فتكون المماثلة في أنه مركوب مبلغ إلى الأقطار فقط، ويعود قوله ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ ﴾ على السفن الموجودة في الناس، وأما من خلط القولين فجعل الذرية في الفلك في قوم نوح عليه السلام في سفينة وجعل من مثله في الإبل فإن هذا نظر فاسد يقطع به قوله تعالى : وإن نشأ نغرقهم فتأمله،" [٢].

خامسًا: وقد يرجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الذي يتماشى ما ظاهر السياق، ويرفض الأقوال التي تتضمن ما لم يذكر في السياق أو تخرج الآية عن سياق ما قبلها أو ما بعدها،

النموذج الأول : قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٣]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين اختلفوا في قوله تعالى : ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ ما المقصود بالغمِّ الأول وبالغمِّ الثاني؟ فنقل عن أبي إسحاق الزجاج [٣] أن المعنى: أثابكم غمَّ الهزيمة بغمَّكم النبي ﷺ بمخالفته، ليكون غمكم بأن خالفتموه فقط لا على ما فاتكم من غنيمة ولا ما أصابكم من هزيمة وجراح، وذلك أن غم مخالفة الرسول ينسيهم غم فوت الغنيمة.

وذهب بعض المفسرين إلى أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتأسفون على ما فاتهم من غنائم المشركين وعلى ما حل بهم من القتل والجراح، فأنزل الله بقلوهم غمَّ قتل الرسول ﷺ ثم أزال ذلك الغم عنهم ليفرحوا ببقائه ولا يحزنوا مع بقائه على شيء فاتهم [٤]. وكان قبل ذلك قد ذكر أقوالاً أخرى في الآية [٥].

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤٩٠/١٨ ، وينظر : : تفسير القرآن العظيم :٦/ ٥٨٠ ، و اللباب في علوم الكتاب: ١٦/ ٢٢٩.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٥٥/٤.

(٣) معانى القرآن وإعرابه: ١/ ٤٧٩.

(٤) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٦/ ٨٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦/ ٨٤.

ثم رجح الواحدي رحمه الله تعالى قول الزجاج فقال: "وقول أبي إسحاق أليق بظاهر الآية؛ لأنه ليس في الآية ذكر إزالة غم قتل النبي ﷺ ، إلا أن يقال: إن ذلك الغم لم يتحقق؛ لأنه لم يصدق نعي الرسول" (١).

نرى الواحدي رحمه الله تعالى هنا يعتمد على موافقة ظاهر سياق الآية، فقول الزجاج يتماشى مع ظاهر سياق الآية، وهو ليس بحاجة إلى تقدير احتمالات تحتاج إلى دليل لإثباتها، فالآية تضمنت أن الله تعالى أثابهم غمَّاً، ولم تتضمن أن هذا الغمَّ أزيل. ثم إن القول الذي رجحه الواحدي رحمه الله تعالى يتسق (٢) مع ما ذكر في الآية ﴿ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ﴾ فإن الله تعالى لا يريد أن تتعلق قلوب الصحابة ﵃ بالدنيا وملذاتها بل يريد أن تتعلق بالله وطاعته، فوجه غمهم ليكون بسبب مخالفتهم لتوجيه النبي ﷺ ، لتتمحص قلوبهم للتوجه نحو طاعة الله سبحانه ورسوله ﷺ وتعتني بها ولا يلتفتون إلى غيرها، وهذا من تربية الله للصحابة ﵃ . قال الرازي "بقوله: غما بغم اثنين، وإنما أراد مواصلة الغموم وطولها، أي أن الله عاقبكم بغموم كثيرة، مثل قتل إخوانكم وأقاربكم، ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم بحيث لم تأمنوا أن يهلك أكثركم، ومثل إقدامكم على المعصية، فكأنه تعالى قال: أثابكم هذه الغموم المتعاقبة ليصير ذلك زاجرا لكم عن الإقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله تعالى " (٣).

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة : ٤٧]؛ إذ نقل الواحدي رحمه الله تعالى قولين في معنى ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ ﴾الأول : عن بعض أهل اللغة معنى (وضع) الوارد في الآية في قوله تعالى ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ ﴾ ؛ يقال: وضع البعير: إذا عدا، وأوضعتُهُ أنا: إذا حملتُهُ عليه. وأن الإيضاع: سير مثل الخبب، ثم قال: "فحصل من هذه الأقوال: أن الإيضاع في قول أكثر أهل اللغة معناه حمل البعير على العدو، حتى لا يجوز أن يقال: أوضع الرجل: إذا سار بنفسه سيراً حثيثاً، والثاني : قول الأخفش وأبي عبيد يجوز أن يقال: أوضع بمعنى سار سيراً حثيثاً، من غير أن يراد أوضع ناقته أو بعيره، وأكثر ما جاء في الشعر (أوضع) إنما جاء من غير إيقاع على شيء" (٤).

---

(١) المصدر نفسه : ٦/ ٨٦-٨٧.

(٢) لست هنا بصدد بيان صحة القول الذي رجحه الواحدي أو عدم صحته، وإنما الذي أريد بيانه طريقة الواحدي في نقد الأقوال من خلال السياق.

(٣) مفاتيح الغيب : ٩/ ٣٩١.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٠/ ٤٦٦-٤٦٧.

في هذا النص نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى فصل القول في اختلاف أهل اللغة: الفعل (أوضع) أهو فعل متعدٍّ أم لازم؟ ونقل عن الأخفش [1]وأبي عبيد [2] أنه يجوز أن يأتي هذا الفعل فعلاً لازماً، يقال: أوضع الرجل، أي: سار. ثم رجح الواحدي رحمه الله تعالى قول الأخفش وأبي عبيد، فقال: "والآية تشهد لقول الأخفش وأبي عبيد" [3]، ثم ذكر وجه دلالة الآية على قولهما، فنقل عن ابن عباس من طريق عطاء أن المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾: أضعفوا شجاعتكم، وهو يعني إضعاف شجاعة المسلمين بالتضريب بينهم لتفترق الكلمة فيجبنوا عن العدو، قال الواحدي رحمه الله تعالى : "وهذا هو المعنى الصحيح، وقال الكلبي [4]: يعني ساروا بينكم يبغونكم العنت، وعلى هذا قوله: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ عبارة عن سيرهم فيما بينهم فقط، وقوله تعالى : ﴿ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ حال لهذا السير ولهم" [5].

ثم نقل عن أهل اللغة أن معنى الآية: ولأوضعوا خلالكم، أي: أوضعوا مراكبهم خلالكم، بمعنى خيبوا ركائبهم فيما بينكم، قال: "ولا يكون في هذا ذم لهم إلا أن يحمل هذا على معنى قول الكلبي وقال ابن الأعرابي: أي: لأسرعوا في الهرب خلالكم، ونحوه قال ابن الأنباري: اسرعوا الفرار في أوساطكم [6] ، وهذا قول بعيد؛ لأن لفظ الآية ليس يدل على معنى الهرب، وأي فائدة لقوله (خلالكم) لو أراد بالإيضاع: الهرب" [7].

فنحن نلاحظ في هذا الكلام كيف اعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على ما ورد في سياق الآية في نقد الأقوال والترجيح بينها، وكيف أنه رفض أن يكون معنى (أوضعوا): هربوا، لأن السياق يأباه، فهذا المعنى لهذه الكلمة لا يتسق ولا يتوافق مع قوله تعالى (خلالكم).

قال الزمخشري "ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين. يقال: وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا. والمعنى: ولأوضع ركائبهم بينكم، والمراد الإسراع بالنمائم ؛لأن الراكب أسرع من الماشي " [8] قال الرازي بعد أن نقل قول الواحدي رحمه الله تعالى نصًا "واعلم أن على القولين: فالمراد من الآية السعي بين المسلمين بالتضريب والنمائم، فإن اعتبرنا القول الأول كان المعنى: و

---

(١) ينظر : قول الأخفش في تهذيب اللغة : ٣ / ٤٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ٢٦٥.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤٦٩/١٠.

(٤) ينظر : قوله في : الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٥١/٥ ، و معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٥٦/٤.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٠/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٦) لم أقف عليه فيما بين يديَّ من المصادر ووجدت نحوه عن محمد بن إسحاق ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٥/ ٥١.

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٠/ ٤٧٠.

(٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٢٧٦، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٥/ ٤٢٩.

لأوضعوا ركائبهم بينكم، والمراد الإسراع بالنمائم ؛ لأن الراكب أسرع من الماشي، وإن اعتبرنا القول الثاني كان المراد أنهم يسرعون في هذا التضريب" (١).

النموذج الثالث : قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الرعد :٤١]

بين الواحدي رحمه الله تعالى معنى الآية أو لم يرَ كفار مكة كيف فتح الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام من أرض مكة ودخول الأمم الاخرى في الإسلام واتساع رقعة البلاد الاسلامية وغلبة المؤمنين عليهم وعلى أراضيهم وانفتاح القرى المجاورة لمكة من الاطراف على مكة وتحقيق ما وعد الله لرسوله من نصرة جنده وغلبتهم وظهورهم وكسر عدوهم وانحسارهم وانتشار الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها وعلى هذا التفسير أطراف مكة مشارفها ونواحيها (٢) ، والقول الثاني في تفسير الآية موت علمائها وفقهائها وذهاب خيار أهلها وخراب بنيانها وقلة خيراتها وذهاب بركتها وعلى هذا التفسير تكون الأطراف الاشراف يقال رجل طريف أي كريم (٣).

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الاول "والتفسير على القول الأول؛ لأن هذا وإن صح لا يليق بهذا الموضع" (٤) اي: لا يليق بسياق الآية. فقد يكون المعنى المذكور للجملة صحيحاً لكن لما كان سياق الآية لا يتناسب معه فإن الواحدي رحمه الله تعالى يضعفه ولا يقبله. قال الطبري "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد: ٤١] بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها، وقهرهم أهلها،" (٥) وكذلك رجح أبو حيان قول الواحدي والطبري رحمهم الله تعالى بقوله "والمناسب من هذه الأقوال هو الأول. ولم يذكر الزمخشري (٦) إلا ما هو قريب منه قال: نأتي الأرض أرض الكفر ننقصها من أطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم، فينقص دار الحرب، ويزيد في دار الإسلام، وذلك من آيات الغلبة والنصرة" (٧).

---

(١) مفاتيح الغيب : ١٦/ ٦٣.

(٢) ينظر : تهذيب اللغة مادة (الطرف): ١٣/ ٢١٩.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٢/٣٨٤.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٣/ ٥٧٩.

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ٥٣٤-٥٣٥.

(٧) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٤٠١. وينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٤٧٣.

النموذج الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم : ٦٤] ؛ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قولين:

القول الأول: بين أيدينا أمر الآخرة من الثواب والعقاب وما خلفنا جميع ما مضى من أمر الدنيا. والثاني: بين أيدينا أمر الدنيا وما خلفنا أمر الآخرة. ثم ذكر في قوله تعالى : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قولين: الأول بين الدنيا والآخرة، والثاني بين النفختينِ وضعفه الواحدي رحمه الله تعالى لعدم ذكر النفختينِ في سياق الآية بقوله: "وهذا هو الاختيار؛ لأنه لم يجرِ للنفختين ذكر حتى يشار إليه" (١).

قال الطبري "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة ؛ لأن ذلك لم يجئ وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجئ، وأنه جاء؛ فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، فصار خلفهم بتخليفهم إياه، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه، ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ؛ لأن ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين. وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلات به؛ لأن ذلك هو الظاهر الأغلب، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. فتأمل الكلام إذن: فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك، فإنا لا نتنزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، لله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة" (٢).

قال الماتريدي: "قال بعضهم: قوله: (له ما بين أيدينا): هو الآخرة، (وما خلفنا): ما مضى من الدنيا، (وما بين ذلك): الحال التي نحن فيها. وقال بعضهم: قوله: (له ما بين أيدينا): الدنيا، (وما خلفنا): الآخرة، (وما بين ذلك): ما بين النفختين، وأمثال هذا، لكن الذي ذكرنا بدءا أولى وأشبه؛ إذ هو على الصلة بالأول؛ إذ لا يتقدم ولا يتأخر ولا يعمل شيئا إلا بأمره" (٣).

سادسًا : من معالم اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في الترجيح بين الأقوال: الاعتماد على تناسق عناصر النص القرآني واتحاد موضوعه،

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٤/ ٢٨١ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٥/ ٥٨٣.

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٧/ ٢٤٩.

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء :٣٠] ؛ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى [(١)] في مرجع اسم الإشارة ذلك ثلاثة أقوال :

الاول: يعود لجميع المحرمات من بداية السورة إلى هذا الموضع.

الثاني: يعود لقتل النفس المحرمة لكونها أقرب مذكور.

الثالث: يعود إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة ورجحه الواحدي رحمه الله تعالى بقوله: "والأظهر هذا القول؛ لاتصال الوعيد بذكر النهي عن الأمرين" [(٢)].

صرح الواحدي رحمه الله تعالى بترجيح القول الأخير؛ لأنه الأقرب لظاهر اقتران الخصلتين المنهي عنهما باسم الإشارة، وبهذا يتبين أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد على تناسق عناصر النص القرآني واتحاد موضوعه في الترجيح بين الأقوال وتقوية بعضها على بعض. أما الطبري رحمه الله تعالى فقد ذهب إلى ترجيح قول لم يذكره الواحدي رحمه الله تعالى ، فرأى أن اسم الإشارة يعود لكل ما لم يذكر له وعيد وعقوبة من قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [النساء : ١٩] إلى هذا الموضع فكان المشار إليه كل ذنب لم تقترن به عقوبة من قتل النفس وأكل المال بالباطل وغيرها من المحرمات [(٣)]. وقال الزمخشري: "ذلك إشارة إلى القتل، أي: ومن يقدم على قتل الأنفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا" [(٤)].

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[يونس : ٩٣]؛ إذ عَرَضَ اختلاف المفسرين في المراد ببني إسرائيل في الآية؛ أَهُمْ بنو إسرائيل الذين كانوا في عهد النبي ﷺ (بنو قريظة، وبنو النظير، وبنو قينقاع) أم إنهم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام فمن بعدهم؟ وقد رجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الأول وهو قول ابن عباس [(٥)]، فقال: "والصحيح قول ابن عباس؛ لأن قوله: ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ من صفة الذين كانوا في عهد النبي ﷺ ، فكذلك ما قبله" [(٦)].

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٦/ ٤٧١.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٦/ ٤٧١..

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦/ ٦٣٩.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٠٣/١ .

(٥) ينظر : قوله في الوسيط في تفسير القرآن المجيد :٢/ ٥٥٩ ، و مفاتيح الغيب ١٧/ ٢٩٩.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١١/ ٣١١ ، و ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٤/ ١٥٠ ، و مفاتيح الغيب : ١٧/ ٢٩٩ .

مرة أخرى يؤكد الواحدي رحمه الله تعالى على أن الأصل ترابط السياق، فلما قال الله تعالى في الآية: ﴿ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴾ ، وهذا الوصف هو لليهود الذين كانوا في زمن النبيﷺ ، ولا ينطبق على الذين كانوا قبله، فالمقصود بالعلم هو القرآن والحق الذي جاء به النبي محمد ﷺ، وعلى هذا يكون المقصود ببني إسرائيل في الآية هم الذين كانوا على عهد النبي ﷺ ، ليترابط سياق الآية وتتسق تراكبيها. قال القرطبي "يعني قريظة والنظير وأهل عصر النبي ﷺ من بني إسرائيل، فإنهم كانوا يؤمنون بمحمد ﷺ وينتظرون خروجه، ثم لما خرج حسدوه، ولهذا قال (فما اختلفوا) ، أي : في أمر محمد ﷺ. (حتى جاءهم العلم) أي القرآن، ومحمد ﷺ . والعلم بمعنى المعلوم ؛ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه" (١). وهذا قول أغلب المفسرين اعتمادًا على سياق الآية .

النموذج الثالث : ومما يتصل بهذا الموضوع أن الواحدي رحمه الله تعالى حريص على ترجيح الأقوال التي تؤيد اتحاد مرجع الضمائر الواردة في السياق نفسه، كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ ﴾ [الانعام: ٥٢]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى الاختلاف في مرجع الضمير المذكور في قوله تعالى : ﴿ مِنۡ حِسَابِهِم ﴾ ، فنقل عن ابن عباس في رواية عطاء (٢) أنه قال: ما عليك من حساب المشركين، فالضمير يعود إلى المشركين. وذهب آخرون إلى أن الضمير يعود إلى الاسم الموصول في ﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾ وهم الفقراء (٣).

قال الواحدي رحمه الله تعالى عن القول الثاني مرجحًا له: "وذلك أشبه بالظاهر؛ لأن الكناية في قوله ﴿ فَتَطۡرُدَهُمۡ ﴾ عائدة إلى الفقراء لا محالة، فكذلك ما قبله من الكناية أشبه أن تعود عليهم..." (٤).

يعني الواحدي رحمه الله تعالى أن الضمير في ﴿ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ يعود للفقراء المؤمنين وكذلك في ﴿ فَتَطۡرُدَهُمۡ ﴾ فالضمير في (حسابهم) ينبغي أن يوافق ما قبله وما بعده في عوده للمؤمنين، وكما هو معلوم أن الأصل اتحاد مرجع الضمائر الواردة في سياق واحد. أما ابن عطية فقال الضمير في حسابهم وعليهم يعود للكفار الذّين أرادوا طرد المؤمنين بمعنى لا عليك سوى دعوتهم ولست مكلف بحسابهم ولاهم مكلفون بحسابك سواء آمنوا أم كفروا، والضمير في تطردهم يعود لضعفاء المسلمين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٨١.
(٢) لم أقف فيما بين يديَّ من المصادر.
(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٨/ ١٦٨-١٦٩.
(٤) المصدر نفسه : ٨/ ١٦٩.

واستدل كذلك بالسياق "ويؤيد هذا التأويل أن ما بعد الفاء أبدا سبب ما قبلها، وذلك لا يبين إذا كانت الضمائر كلها للمؤمنين،" [1] قال ابن عادل "والضمائر الثلاثة، أعني التي في قوله: «من حسابهم» و «عليهم» و «فتطردهم» أيضا عودها على نوع واحد، وهم الذين يدعون ربهم " [2]. حيث وافق الواحدي رحمهم الله تعالى.

النموذج الرابع: وقد يخالف الواحدي رحمه الله تعالى هذا الأصل مراعاة لقرينة قوية، كما فعل في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾ [هود : ١١٠]

، فقد ذكر الواحدي رحمه الله تعالى اختلاف المفسرين في المقصود بقول تعالى (لقضي بينهم)؛ أهم كفار مكة أم قوم موسى عليه السلام؟ فذهب ابن عباس والكلبي وأكثر المفسرين على أن المقصود بالآية كفار مكة، وذهب مقاتل بن سليمان [3] إلى أن المقصود بالآية قوم موسى عليه السلام، ورجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الأول، فقال: "الظاهر هو الأول؛ لأن الذين كذبوا بالتوراة أهلكوا في الدنيا عاجلًا، ولم تؤخر عقوبتهم إلى الآخرة" [4].

هنا نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى رجح القول الأول، مع أن هذا يؤدي إلى أن أول الآية في قوم، وآخرها في قوم آخرين، وهذا خلاف ما مشى عليه الواحدي رحمه الله تعالى في أكثر تفسيره من ترجيحه للأقوال التي تجعل السياق في موضوع واحد، إلا أنه هنا خالف هذا التَّوَجُّهَ؛ لوجود دليل يقتضي ذلك، إذ دل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ﴾ أنه سبحانه سبقت مشيئته بعد معاجلة هؤلاء بالعقوبة، وهذا شأن كفار مكة، أما شأن الكفار السابقين فمختلف، فقد عاجلهم الله بالعقوبة في هذه الدنيا، وعلى هذا التفسير يكون قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ معناه: ولقد آتينا موسى التوراة، ويكون الضمير الهاء في قوله تعالى : "لفي شك منه" غير عائد إلى الكتاب المذكور في أول الآية، بل إلى القرآن.

وقد يبدو أن في هذا التفسير تشتيتًا لتركيب الآية، وقد أشار الواحدي رحمه الله تعالى في أول تفسيره للآية إلى رد هذا الوهم، فقال في تفسير الآية: "قال ابن عباس [5]: يعزي النبي ﷺ ، يعني أن هذا تسلية للنبي ﷺ بالحال التي تعم من التكذيب، أي: إن كذبوا بالكتاب الذي آتيناك فقد كذب

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٢٩٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب : ٨/ ١٦٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان : ٢/ ٣٠٠.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٥٦٨/١١.

(٥) زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ٤٠٣.

مَنْ قبلهم بالكتاب الذي آتينا موسى..." (١). قال أبو الليث السمرقندي: "ثم قال: ولولا كلمة سبقت من ربك يعني: وجب قول ربك بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ ، لقضي بينهم يعني: لجاءهم العذاب، ولفرغ من هلاكهم، وإنهم لفي شك منه يعني: من القرآن، مريب يعني: ظاهر الشك" (٢)، وقال أبو حيان: "والظاهر عود الضمير في بينهم على قوم موسى عليه السلام ، إذ هم المختلفون فيه، أو في الكتاب. وقيل: يعود على المختلفين في الرسول من معاصريه. قال ابن عطية (٣) : وأن يعممهم اللفظ أحسن عندي، وهذه الجملة من جملة تسليته أيضا" (٤).

سابعًا: من معالم عناية الواحدي رحمه الله تعالى بالاعتماد على تناسق عناصر النص القرآن في الترجيح بين الأقوال أنه يرجح القول الذي يتضمن مقابلة المثل بمثله، أو الضد بضده،

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾ [النساء: جزء من الآية : ٣٦]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين اختلفوا في معنى ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ إلى قولين: الأول لعامة المفسرين أن المقصود به الجار القريب في النسب الذي بينك وبينه قرابة، ورحم وله حقوق؛ حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام. وذهب الزجاج (٥) إلى أن المقصود بالقُربى ههنا قرب الدار والمعرفة والاختلاط؛ لأنه قال: هو الذي يقاربك ويعرفك. قال الواحدي رحمه الله تعالى عن قول الزجاج: "ويُقوي هذا أنه قابله بالجار الغريب في قوله: ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ ، فكما أن الغريب لا يعرفك لبعد داره فالجار ذي القربى هو الذي يعرفك لقرب داره وأرضه من دارك وأرضك" (٦).

في هذا النص نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى قوى بناءً على سياق الآية القول بأن المقصود بالجار ذي القربى: الجار القريب في الدار؛ لأن هذا القول يحقق اتساق النص بذكر الشيء وضده، فذكر الجار الجنب الذي معناه بعيد الدار يقتضي ذكر ما يقابله وهو الجار ذو القربى، أي: الذي داره قريب.

والذي أراه أن تقوية الواحدي رحمه الله تعالى لقول الزجاج بما ذُكر غير صحيح، فإن الذي يتبادر إلى الذهن من عبارة (ذي القربى) قرب النسب، وهذا هو استعمال القرآن لهذه العبارة ؛ ولذلك ذهب

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١١/ ٥٦٧.

(٢) بحر العلوم: ٢/ ١٧٢.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٢١٠.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٢١٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه : ٢/ ٥٠.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٥٠٢.

المفسرون إلى هذا، القول قال الواحدي رحمه الله تعالى : "والذي عليه المفسرون هو الأول" (١) ، أي: القول بأن معنى الجار ذي القربى: الجار قريب النسب. ثم إن الزجاج ذكر أن الجار الجنب هو الجار بعيد الدار، ولستُ أفهم كيف يكون جاراً من هو بعيد الدار؟! وبين الواحدي رحمه الله تعالى معنى الجنب إنه الغريب الذي ليس بينك وبينه نسب وقرابة بقوله "ومعنى وصفه بالبعد ههنا أنه ليس من قومك، ونسبه بعيد عنك، ألا ترى أن مجاهدا وقتادة (٢) قالا: هو جارك من قوم آخرين" (٣)، وهذا لا يتوافق مع تفسيره لذي القربى بقرب الدار.

وبين الطبري ضعف قول الواحدي والزجاج رحمهم الله تعالى فذكر أنَّ المعروف من كلام العرب أنَّ ذا القربى هو الذي بينك وبينه قرابة ونسب ولا يصح حمل الكلام على الأجهل الأنكر مالم تقم حجة عليه، وتعريف الجار بالألف واللام يقتضي أنه معروف عندك ولو قصد الجار القريب الدار لكان نكرة ؛ لأنك لا تعرف عنه شيئًا سوى قرب الدار، وكذلك لا يصح حمله على القرب في الدِّين للعلة السابقة فأقتضى أن يكون المعنى الجار الذي بربطك الرحم والقرابة والنسب (٤).

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [المائدة :٧٣]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن معنى قول النصارى (ثالث ثلاثة) طريقان: الطريق الأول طريق المفسرين: أن مقصود النصارى بالثلاثة: الله ومريم وعيسى عليهما السلام . وعلى هذا المعنى يجب تقدير محذوف آلهة، أي الثلاثة آلهة، وهذا كفر أما إذا كانت مطلقة فلا كفر فيها لأن المعنى ثالث ثلاثة في العلم كقوله تعالى : ﴿ يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ [المجادلة :٧] (5).

والطريق الثاني طريق المتكلمين الذين حكوا عن النصارى أنه يقولون: إن الباري سبحانه جوهر واحد وأنه ثلاثة أقانيم: أب وابن وروح قدس، وعنوا بالأب: الذات، وبالابن: الكلمة، وبالروح: القدرة، وهذه الثلاثة إله واحد (٦). وضعفه الرازي رحمه الله تعالى بقوله "واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة

---

(١) المصدر نفسه: ٦/ ٥٠٣.

(٢) أخرجه عنهما عبد الرزاق في "تفسيره : ١/ ٤٥٥، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٧/ ٦ .

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٥٠٥/٦.

(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧/ ٨، و بحر العلوم :١/ ٣٠١ .

(٥) ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٣/ ٨٢، و زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٥٧٢.

(٦) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٧/ ٤٨١-٤٨٢.

العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحدا، والواحد، لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا وأظهر بطلانا من مقالة النصارى." [١]

وقد رجح الواحدي رحمه الله تعالى طريق المفسرين [٢] فذكر أنه "الأظهر والأوفق للفظ" [٣].

يعني الواحدي رحمه الله تعالى بهذا الكلام أن طريقة المفسرين في بيان معنى قول النصارى الذي حكاه الله عنهم هو الأقوى؛ لأنه موافق لما ورد في سياق الآية، إذ إنه ورد في الآية في معرض الرد عليهم وتعليقاً على قولهم عن الله تعالى : ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ وهذا يعني أن قولهم مناقض لوحدانية الإله، فهم لا يؤمنون بالإله الواحد، أما طريقة المتكلمين فإنها مبنية على إيمان النصارى بإله واحد، وهذا يخالف ظاهر سياق الآية؛ ولذلك قال الواحدي رحمه الله تعالى : "والذي يحقق أنهم أرادوا بالثلاثة الآلهة قوله تعالى في الرد عليهم: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ " [٤]. كما استدل بالعقل فذكر أنه لا يعقل أن يكون الثلاثة إلهاً واحداً؛ فهذا بَيِّنُ الفساد.

ولست هنا بصدد بيان معنى عقيدة التثليث عند النصارى وتحقيق المقصود منها، فهو موضوع خارج عن دراستي، فأنا الذي يهمني هو بيان منهج الواحدي رحمه الله تعالى في الاعتماد على السياق في نقد الأقوال والترجيح بينها.

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحاقة : ٤٠] ؛ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في المراد بالرسول في هذه الآية قولين للمفسرين: القول الأول: أنه جبريل عليه السلام ، والمعنى: إنه لرسالة رسول كريم، فسمى رسالته قولاً والقول القرآن وهذا قول مقاتل والكلبي [٥]. والقول الثاني: أنه محمد ﷺ ، وعلى هذا يكون المعنى: إنه لتلاوة رسول كريم، وتلاوته: قوله [٦]. واستظهر الواحدي رحمه الله تعالى القول الثاني فقال: "وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ وهم إنما نسبوا محمدًا ﷺ إلى أنه شاعر لا جبريل" [٧].

---

(١) مفاتيح الغيب : ١٢/ ٤٠٩.

(٢) ينظر: بحر العلوم: ١/ ٤٠٨.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٧/ ٤٨١.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٧/ ٤٨٢.

(٥) ذكر قولهم الماوردي في النكت والعيون : ٦/ ٨٦.

(٦) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢٢/ ١٨٦-١٨٧.

(٧) المصدر نفسه : ٢٢/ ١٨٧ ، ورجحه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٢٣/ ٢٤٢، والبغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٨/ ٢١٤ ، وابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير: ٤/ ٣٣٣.

فبين الواحدي رحمه الله تعالى أن سياق الآيات في رسول الله محمد ﷺ بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٤١]

ولا شك في أن المقصود هنا هو محمد ﷺ ؛ لذلك فحمل الرسول الكريم عليه أولى، ليتحد السياق ويتسق الكلام. حيث وافق جمهور المفسرين كما تبين لي.

ثامنًا: وقد يرجح قولًا على غيره بناءً على قاعدة التأسيس أولى من التكرير، وهذه القاعدة تدخل تحت سياق الآية، إذ إن التأسيس أو التكرير يُعرف بالاعتماد على فهم السياق وما ذُكر فيه، ومن الأمثلة على ذلك :

النموذج الأول : قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء :١٠٣]؛ إذ نقل اختلاف المفسرين في قوله تعالى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ ، فنقل عن الكلبي (١) أنه قال: فصلوا لله (قيامًا) للصحيح، (وقعودًا) للمريض الذي لا يستطيع القيام، (وعلى جنوبكم) للمرضى الذين لا يستطيعون الجلوس. وقال مقاتل: فاذكروا الله باللسان. وقال ابن عباس (٢): "يريد أنه ليس شيء أفضل من الذكر لله". وقال الزجاج (٣) : أي: اذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه بكل ما يمكن أن يتقرب منه (٤).

وأقوال ابن عباس ومقاتل والزجاج ترجع إلى معنى واحد لا فرق بينها، فالاختلاف على قولين: القول الأول قول الكلبي، وهو أن المراد بالذكر الصلاة. والقول الثاني قول ابن عباس ومقاتل والزجاج، وهو أن المراد بالذكر الذكر باللسان بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك.

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى القول الثاني؛ لأنه جاء بعده ذكر الصلاة في الحضر، والتفسير يُبنى على التأسيس لا على التكرير، ولو قلنا بقول الكلبي لكانت تكملة النص تكراراً لما سبق؛ قال الواحدي رحمه الله تعالى : "وهذا القول أولى من قول الكلبي؛ لأنه ذكر بعد هذا حكم صلاة

---

(١) قول الكلبي لم أقف عليه في ما بين يديَّ من المصادر، ووجدتُ نحوه دون نسبة ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٣/ ٣٧٩ ، و معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٢/ ٢٨١، ونحوه عن ابن مسعود ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٤٦٣، و الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٣٧٤.

(٢) قال ابن عباس "لم يعذر أحد في تركه إلا مغلوبا على عقله." النكت والعيون : ١/ ٥٢٦ ولم أقف على القول الذي ذكره الواحدي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٢/ ٩٩.

(٤) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٧/ ٦٢.

الحضر، فقال: ﴿ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قال أبو إسحاق [١] : أي : إذا سكنت قلوبكم، يقال: اطمأن الشيء: إذا سكن، وطأمنته وطمأنته: إذا سكنته" [٢].
من هذا الكلام نعلم أن الواحدي رحمه الله تعالى يرى أن من قواعد الترجيح المبنية على السياق: ترجيح الأقوال التي لا تؤدي إلى تكرار المعاني، بناءَ على أن التأسيس أولى من التكرير.

ورجحه الطبري رحمه الله تعالى بقوله: "فإذا فرغتم أيها المؤمنون من صلاتكم، وأنتم موافقوا عدوكم التي بيناها لكم، فاذكروا الله على كل أحوالكم قياما وقعودا ، ومضطجعين على جنوبكم بالتعظيم له ، والدعاء لأنفسكم بالظفر على عدوكم ، لعل الله أن يظفركم وينصركم عليهم وذلك نظير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ ﴾ [الأنفال :٤٥] " [٣]، وقال ابن الجوزي ، والقرطبي رحمهم الله تعالى : "والجمهور قالوا: وهو التسبيح، والتكبير، والدعاء، والشكر" [٤] بمعنى اذكروا الله على أي حال من قيام وقعود وفي كل زمان ومكان ، فالواحدي وافق الجمهور.

النموذج الثاني : وقريب من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ ﴾[مريم :٢٦] ؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن معنى الصوم قولين بعد أن بين أن معناه في اللغة: الإمساك عن الأكل وعن الكلام [٥]: الأول موافق لما جاء في اللغة بمعنى صامت عن الكلام و عن الأكل وهذا ما ذهب إليه قتادة [٦] فالصوم المعروف الذي هو عبادة، والقول الثاني المراد به الصمت فقط أي تنقطع عن الكلام دون الطعام. قال الواحدي رحمه الله تعالى مرجحًا القول الاول: "ويدل على صحة هذا القول قوله: ﴿ فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ ﴾، أي: إني صائم فلا أكلم اليوم أحدًا. ولو أريد بالصوم هاهنا الصمت فقط لم يحتج إلى قوله فلن أكلم اليوم. وأيضًا فإنه قال: ﴿ نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا ﴾ والصوم الذي هو لله إنما هو ترك الطعام لا ترك الكلام" [٧].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه :٢/ ٩٩.
(٢) يُنظر : التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٧/ ٦٢.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧/ ٤٤٥.
(٤) زاد المسير في علم التفسير : ١/ ٤٦٣، و الجامع لأحكام القرآن : ٥/ ٣٧٤.
(٥) ينظر :"تهذيب اللغة مادة (صام): ١٨٢/١٢ ، و معجم مقاييس اللغة مادة (صوم) : ٣/ ٣٢٣، "القاموس المحيط مادة (صام) : ١١٣١ ، المفردات في غريب القرآن مادة (صوم): ٢٩١.
(٦) تفسير عبد الرزاق : ٢/ ٣٥٧.
(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢٣٥/١٤.

نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى استدل على صحة القول الذي رجحه [وهو أن المراد بالصوم: الإمساك عن الأكل وعن الكلام] بسياق الآية، إذ قال سبحانه في سياق الآية: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ فعطف هذه الجملة على جملة ﴿ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ ، فلو كان المراد بالصوم هو الصوم عن الكلام فقط لما احتاجت إلى ذكر هذه الجملة ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ ، وهذا مبني على أن التأسيس أولى من التكرير، فقوله تعالى ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ أفاد معنى جديداً على ما أفاده قوله ﴿ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ وقد يمكن الرد على كلام الواحدي رحمه الله تعالى هذا بأن مريم عليها السلام اعتذرت من قومها بأنها نذرت أن تصوم، لذلك فهي لن تستطيع أن تكلمهم وتبين لهم ما يريدون بيانه. والله أعلم.

وجمهور المفسرين قالوا: إنها صامت عن الكلام دون الطعام حيث أخبرت قومها بحالها ثم انقطعت عن الكلام بمعنى نذرتُ للرحمن صمتاً وهذا من عادة بني إسرائيل في ذلك الزمان يصومون عن الكلام من باب الاجتهاد في العبادة [١]، قال أبو حيان: "والظاهر أنه أبيح لها أن تقول ما أمرت بقوله وهو قول الجمهور. وقالت فرقة: معنى فقولي أي بالإشارة لا بالكلام وإلا فكان التناقض ينافي قولها انتهى. ولا تناقض لأن المعنى فلن أكلم اليوم إنسيا بعد فقولي هذا وبين الشرط وجزائه جملة محذوفة يدل عليه المعنى، أي فإما ترين من البشر أحدا وسألك أو حاورك الكلام فقولي" [٢].

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الحديد: ٢٥]؛ إذ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في معنى البينات في الآية قولين للمفسرين: الأول أن المراد بها البراهين والحجج، والثاني أن المراد بها الأحكام والعبادات [٣]، ثم قوى القول الأول، وهو أن المراد بالبينات البراهين والحجج؛ فقال: "والأول أوجه؛ لقوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والكتاب يتضمن الأحكام" [٤].

نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى قوى أحد القولين على الآخر معتمدًا على ما ورد في السياق، وظاهرٌ أنه اعتمد على قاعدة إذا دار الكلام بين التأسيس وبين التأكيد تعين حمله على

---

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣ / ١٥٢ ، و١٥/ ٥١٩ ، و بحر العلوم :٢/ ٣٧٣ ، و الجامع لأحكام القرآن : ١١/ ٩٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٢٥٦.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣٠٩/٢١.

(٤) المصدر نفسه.

التأسيس [1]، فلو قلنا: إن معنى البينات هي الأحكام لكان قوله تعالى ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ تكراراً وتأكيداً لما سبق، وهو وإن كان محتملاً إلا أن الأولى أن تفسر البينات بالحجج والبراهين على صحة رسالة الرسل؛ لأن هذا التفسير يجعل كلاً من الجملتين ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ و﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ مؤسسة لمعنى جديد، والله تعالى لم يرسل الرسل بالكتب فحسب، بل أرسلهم بما يدل دلالة قاطعة على صدقهم وصدق ادعائهم بأنهم مرسلون من الله سبحانه، وهو المراد بالبينات. ووافقه الطبري رحمه الله تعالى بقوله "لقد أرسلنا رسلنا بالمفصلات من البيان والدلائل، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، " [2] وكذلك الرازي رحمه الله تعالى بقوله "ثم قال تعالى : لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وفي تفسير البينات قولان: الأول: وهو قول مقاتل بن سليمان إنها هي المعجزات الظاهرة والدلائل القاهرة والثاني: وهو قول مقاتل بن حيان: أي أرسلناهم بالأعمال التي تدعوهم إلى طاعة الله و إلى الإعراض عن غير الله، والأول هو الوجه الصحيح لأن نبوتهم إنما ثبتت بتلك المعجزات" [3].

النموذج الرابع : قوله تعالى : ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤﴾ [الشعراء: ٩٤]؛ إذ بين الواحدي رحمه الله تعالى معنى الفعل : (كبكبوا)، قُذِفوا في النَّار وطرح بعضهم على بعض، وفي هذه الصيغة معنى تكرير الانكباب؛ كأنه إذا ألقي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر فيها [4]. ثم نقل اختلاف المفسرين في المقصود بالضمير الواو في (كبكبوا)، فذهب بعضهم إلى أن المقصود به المعبودون من دون الله؛ أخبر الله تعالى أنهم يطرحون في النَّار مع عابديهم، وهو قول الكلبي و ابن عباس [5] والسدي [6]، وعلى هذا القول يكون المقصود بالضمير الواو المعبودين من دون الله، و(الغاوون) هم عبدة الأصنام . يقذف العابد والمعبود في النَّار وذهب فريق آخر من المفسرين إلى أن المقصود بالضمير الواو الكفار، والمقصود بالغاوين كفرة الجن، أي: الشياطين، وهو قول الكلبي [7] وقتادة [8] ومقاتل [9].

(١) ينظر في هذه القاعدة: بحث دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد وأثره عند الأصوليين، دراسة تحليلية مقارنة: ١٨٦ – ١٨٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٢٢/ ٤٢٤، وينظر : زاد المسير في علم التفسير: ٤/ ٢٣٧.

(٣) مفاتيح الغيب : ٢٩/ ٤٦٩.

(٤) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧٧/١٧.

(٥) ينظر: قوله في : الدر المنثور: ٦/ ٣٠٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٨/ ٢٧٨٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ١٣/ ١١٦.

(٨) تفسير عبد الرزاق : ٢/ ٤٦١ .

(٩) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧٨/١٧-٧٩.

ثم قال الواحدي رحمه الله تعالى بعد بيانه للقولين: "والقول هو الأول؛ لأن الشياطين ذُكروا فيما بعد، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٥] يعني: ذرية إبليس كلهم..." (١).

فاستدل الواحدي رحمه الله تعالى بما ورد في الآية من تراكيب على أن سياق الآية في بيان مصير المعبودين من دون الله وعابديهم والشياطين الذين زينوا لهؤلاء العابدين عبادتهم، وعلى هذا الأساس رجح قولًا على آخر من أقوال المفسرين الواردة في الآية.

وكذلك رجحه الزمخشري رحمه الله تعالى بقوله: " ويوبخون على إشراكهم، فيقال لهم: أين آلهتكم؟ هل ينفعونكم بنصرتهم لكم. أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم: ؛ لأنهم وآلهتهم وقود النَّار وهو قوله ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ ، أي : الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم" (٢)، وابن عطية رحمه الله تعالى بقوله: "أخبر عن حال يوم القيامة من أن الأصنام تكبكب في النَّار ، أي: تلقى كبة واحدة ووصل بها ضمير من يعقل من حيث ذكرت بعبادة، وكانت يسند إليها فعل من يعقل، وقيل الضمير في قوله «هم» للكفار، والغاوون الشياطين، و «كبكب» مضاعف من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لأن معناها واحد، والتضعيف في الفعل بين مثل صر وصرصر وغير ذلك، والغاوون الكفرة الذين شملتهم الغواية، وجنود إبليس نسله وكل من يتبعه ؛ لأنهم جند له وأعوان " (٣)، والرازي رحمه الله تعالى بقوله: "أي: الآلهة وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم، والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها وجنود إبليس متبعوه من عصاة الإنس والجن" (٤).

فالواحدي وافق قول الزمخشري و ابن عطية و الرازي رحمهم الله تعالى في ترجيح القول الاول وهو حشر المشركين وما يعبدون من دون الله في النَّار.

---

(١) المصدر نفسه : ٧٩/١٧.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣/ ٣٢١- ٣٢٢.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/ ٢٣٦.

(٤) مفاتيح الغيب : ٢٤/ ٥١٨.

الفصل الثالث

توظيف الواحدي رحمه اللّه تعالى للسياق في العلوم الشرعية واللغوية المتعلقة بالقرآن

المبحث الأول :أثر السياق في الأحكام الفقهية

المبحث الثاني : أثر السياق في بيان مناسبة الآيات القرآنية

المبحث الثالث : أثر السياق في بيان الأساليب اللغوية

المبحث الأول :أثر السياق في الأحكام الفقهية

سبق أن بينتُ كيف اعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في بيان معاني القرآن (١)، وقد ظهر أثر ذلك في كلام الواحدي رحمه الله تعالى على آيات الأحكام واستنباط الأحكام الفقهية منها، فوجدتُهُ يعتمد على السياق في بيان الأحكام الشرعية التي تضمنتها هذه الآيات، وفيما يأتي نماذج على ذلك (٢):

النموذج **الأول** : قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ١٩٦] من مظاهر اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق أنه قد يُخصص عموم اللفظ ويقصره على بعض الصورِ الداخلة فيه بناءً على السياق (٣)، كما في الإحصار الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ ﴾، فلفظ "الإحصار" من (حصر) الحاء والصاد والراء أصل واحد، وهو الجمع والحبس والمنع فيشمل كل ما يمنع الحاج والمعتَّمر من إتمام نسكهما، فالإحصار في اللغة الحبس (٤)؛ لذلك ذهب الأحناف إلى أن كل مانع مَنَعَ المُحْرِمَ عن الوصول إلى البيت من مرض أو خوف عدو أو غيرهما فإنه داخل ضمن حكم الإحصار الوارد في الآية. وذهب الشافعية إلى أن الإحصار الوارد في الآية إنما هو حبس العدو، وأما سائر الأعذار التي تَمْنَعُ المُحْرِمَ من وصوله إلى البيت فغير داخلة فيه (٥).

وقد رجح الواحدي رحمه الله تعالى قول الشافعية؛ قال: "يدل على أن المراد به حبس العدو فقط قولُهُ في سياق الآية ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ ﴾

---

(١) راجع الفصل الثاني : ٦٨.

(٢) لستُ هنا بصدد مناقشة الآراء الفقهية وبيان الراجح منها والمرجوح، إنما قصدي هنا بيان توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق في مناقشة الآراء الفقهية.

(٣) سبق تفصيل القول في هذا في المبحث الأول من الفصل الثاني : ٢٤.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة (حصر): ٢/ ٧٢، والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: ٩١.

(٥) ينظر: زاد المحتاج بشرح المنهاج:١/ ٦٢٣، والهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني: ٢/ ٤٧٠.

ولم يقل: فإذا اندملتم، والأمن المطلق يقتضي الخوف المطلق من العدو؛ لأنه قال: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ فعُلِمَ أن الإحصار في الآية ليس بالمرض... وقولهم [يعني الأحناف]: الإحصار عام، قلنا: هو عام من حيث اللفظ خاص ههنا في حبس العدو بما ذكرنا من الدليل" (١).

فقصر الواحدي رحمه الله تعالى لفظ الإحصار (وهو لفظ عام يشمل كل ما مَنَعَ الحاجَّ أو المعتَّمرَ عن إكمال نسكهما) على بعض أفراده، وذلك اعتمادًا على ما ورد في سياق الآية، وأشار إلى أن هذا اللفظ من العامِّ الذي أريد به الخصوص.

النموذج الثاني: قوله تعالى : ﴿ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: جزء من الآية :٢٣].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى اختلاف الفقهاء في حرمة المصاهرة فيمَ تقع؟ وقد ذهب العلماء في ذلك إلى قولين: الأول أن التحريم بالمصاهرة يقع بنكاح صحيح فقط، وهذا قول عُرْوة بن الزبير وسعيد بن جبير ومجاهد والزهري ومذهب مالك والشافعي وفقهاء الحجاز. والثاني قول أهل العراق: أن تحريم المصاهرة يقع بنكاح صحيح وغير صحيح، وهذا قول الشعبي والنخعي ومذهب أبي حنيفة (٢).

وضعف الواحدي رحمه الله تعالى القول الثاني بسياق الآية فقال: "والآية حجة ظاهرة عليهم؛ لأن الله تعالى حرم أمهات النساء والربائب وحلائل الأبناء، وهذه الأسماء لا تثبت بوجود الزنا، فإن أم المَزْنِيِّ بها لا تكون أم امرأته، ولا بنتُها ربيتَهُ، وإذا زنى الابن بامرأة لم تصر حليلته حتى تحرم على الأب وقد قال ابن عباسرضي الله عنه (٣): الحرام لا يحرم الحلال" (٤).

في هذا النص نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد على سياق الآية الذي ورد في الأنكحة الصحيحة، وكان نظر الواحدي رحمه الله تعالى في ألفاظ الآية دقيقًا؛ فاستدل للقول الذي اختاره من خلال نظره الدقيق في ألفاظ الآية، واستدل بدلالتها على أن سياق الآية في النكاح الصحيح. ورجحه القرطبي بقوله: "فأمُّ المرأة تَحْرُمُ بمجرد العقد الصحيح على ابنتها.. ومن زنى بامرأة ثم أراد نكاح أمِّها أو ابنتها لم تَحْرُما عليه بذلك. وقالت طائفة: تَحْرُم عليه. روي هذا القول

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤/ ١٢-١٣.

(٢) تنظر هذه المسألة في: المجموع شرح المهذب: ١٦/ ٢١٩-٢٢٧، والمغني لابن قدامة الحنبلي: ٧ / ١١٧ – ١١٨ ، والاختيار لتعليل المختار لعبدالله بن محمود الموصلي: ٣/ ٨٥- ٨٩.

(٣) لم أقف عليه فيما بين يديَّ من المصادر، ووجدتُ نحوه دون نسبة ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٣/ ٢٨٣.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٤٢٩.

عن عمران بن حصين، وبه قال الشعبي وعطاء والحسن وسفيان الثوري وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي، وروي عن مالك، وأن الزنى يُحَرِّم الأمَّ والابنة وأنه بمنزلة الحلال، وهو قول أهل العراق. والصحيح من قول مالك وأهل الحجاز: أن الزنى لا حكم له ؛ لأن الله سبحانه و تعالى قال: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ﴾ وليست التي زنى بها من أمهات نسائه، ولا ابنتها من ربائبه..." (١).

النموذج الثالث: قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النساء : ٣٢].

معنى الآية: النهي عن أن يتمنى أحد مال غيره أو منزله، فإن ذلك هو الحسد. وقد جاء: لا يتمنين أحدكم مال أخيه، ولكن ليقل: اللهم ارزقني، اللهم أعطني مثله. وهذا النهي نهي تحريم عند أكثر العلماء، وليس لأحد أن يقول: ليت مال فلان لي، وإنما يجوز أن يقول: ليت مثله لي. ونقل عن الفراء (٢) أنه قال: هذا نهي أدب وتنزيه، دون تحريم. وذهب الواحدي رحمه الله تعالى إلى الوجه الاول بقوله: "والصحيح هو الأول؛ لأنه لا يُعدل بصيغة النهي عن معناه إلا بقرينة" (٣) وسياق النص واضح في النهي حيث بدأ بـ (لا) الناهية والفعل المضارع المجزوم بحذف النون ولا توجد قرينة تعدل بالنهي عن معناه الحقيقي. فسياق الآية هو في النهي عن التمني، ولا يوجد في السياق ما يصرف هذا النهي عن حقيقته الدالة على التحريم.

قال الطبري رحمه الله تعالى "ولا تشتهوا ما فضل الله به بعضكم على بعض. وذكر أن ذلك نزل في نساء تمنين منازل الرجال، وأن يكون لهم(للنساء) ما لهم (ما للرجال)، فنهى الله عباده عن الأماني الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله " (٤)، وقال الكيا الهراسي رحمه الله تعالى : "ونهى الله أن تتمنى المرأة ما فضل الله بعضهم على بعض؛ لأن الله تعالى أعلم بصالحهم منهم، فوضع القسمة منهم على التفاوت على ما علم من مصالحهم. وبالجملة: التمني إذا لم يُفْضِ إلى حسد في ابتغاء زوال نعمة الغير أو تباغض، فلا نهي عنه" (٥)، وقال القرطبي رحمه الله تعالى :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٥/١١٤-١١٥.

(٢) معاني القرآن للفراء : ١/ ٢٦٤.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٤٧٧ ، و أحكام القرآن للجصاص : ٢/ ٢٢٩.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦/ ٦٦٣.

(٥) أحكام القرآن ف للكيا الهراسي : ٢/ ٤٤٤.

"التمني نوع من الإرادة يتعلق بالمستقبل، كالتلهف نوع منها يتعلق بالماضي، فنهى الله سبحانه المؤمنين عن التمني؛ لأن فيه تعلق البال ونسيان الأجل" (١).

النموذج الرابع: قوله تعالى :﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣ ﴾ [الحج: ٣٢]

بين الواحدي رحمه الله تعالى أنَّ الضمير في منها يعود إلى الشعائر، وذكر أن أكثر أهل التفسير على أنه يجوز لصاحب الهَدْي الانتفاع بهَدْيه برَسَلِها (٢) ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها، ثم ذكر الخلاف في الانتفاع بها عند بلوغ أجل تسميتها هديًا هل يجوز أم لا؟ فذكر أن فيه قولين: الاول تنقطع منافعها حينئذ ولا يجوز الانتفاع بها بعد تسميتها هدياً وتقليدها وهذا قول مجاهد (٣) وعطاء والضحاك ورواية مقسم عن ابن عباس (٤) وقتادة (٥) والكلبي ﷺ (٦)؛ قالوا: لا ينتفع بها غير أهل الله (٧) إلا عند الضرورة المخوف معها الموت. والثاني المراد بالأجل المسمى: نحرها وذبحها، أي: يجوز الانتفاع بها إلى وقت نحرها وهذا ما ذهب إليه الشافعي رحمه الله تعالى: "قال الشافعي: ويركب الهدي إن اضطر إليه ركوبا غير فادح (٨) ويحمل المضطر عليها لرواية ابن الزبير عن جابر قال سئل رسول الله ﷺعن ركوب الهدي فقال: "اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها حتى تجد ظهرا (٩)" وكذلك لو ركبها من غير ضرورة جاز ما لم يضر بها سواء كان واجبًا أو تطوعًا لرواية أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال: اركبها ويلك (١٠)" فلو ركبها غير مضطر فأعجفها غرم قيمة ما نقصها" (١١).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٥/ ١٦٢ .

(٢) لبنها ، ينظر: كتاب العين مادة (رسل) : ٧/ ٢٤١، و تهذيب اللغة مادة (الرسل) : ١٢/ ٢٧٣.

(٣) تفسير مجاهد: ١/ ٤٨١.

(٤) الدر المنثور: ٦/ ٤٦.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٦/ ٥٤٤.

(٦) لم أقف على قوله فيما بين يديَّ من المصادر .

(٧) يعني: فقراء الحرم.

(٨) مثقل ، ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة (فدح): ٤/ ٤٨٤.

(٩) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ صحيح مسلم رقم الحديث: ١٣٢٤: ٢/ ٩٦١ .

(١٠) صحيح البخاري. باب فتل القلائد للبدن والبقر رقم الحديث ١٦٨٩ :٢/ ١٦٧ ، و صحيح مسلم باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها رقم الحديث :١٣٢٢: ٢/ ٩٦٠.

(١١) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي :٤/ ٣٧٧.

قال الواحدي : "وله أن يحلب لبنها، والآية تدل على هذا؛ لأن قوله﴿ لَكُمۡ فِيهَا ﴾ ، أي: في الشعائر، فالكناية عنها، ولا تُسمَّى شعائر قبل إيجابها وتسميتها، وهذا يدل على إباحة الانتفاع بها وهي تسمى شعائر" [١]وعلى هذا القول يكون المراد بالأجل المسمى: نحرها وذبحها.

هنا نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى أكد على ضرورة مراعاة جميع الألفاظ الواردة في سياق الآية لبيان الأحكام الواردة فيها، ووجدناه اعتمد على مرجع الضمير لبيان الحكم الشرعي المتعلق بالانتفاع بهدايا الحج.

قال الطبري رحمه الله تعالى: "في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى، فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا، فمنافعها لكم من حين تملكون ، إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا، وما كان منها أماكن ينسك لله عندها، فمنافعها التجارة لله عندها ، والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها، وما كان منها أوقاتا بأن يطاع الله فيها بعمل أعمال الحج، وبطلب المعاش فيها بالتجارة، إلى أن يطاف بالبيت في بعض، أو يوافى الحرم في بعض، ويخرج عن الحرم في بعض" [٢]، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "يعني البدن من الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك، إذا لم يبعثها ربها هديا، فإذا بعثها فهو الأجل المسمى، فإذا صارت بدنا هديا فالمنافع فيها أيضا ركوبها عند الحاجة، وشرب لبنها بعد ري فصيلها" [٣].

النموذج الخامس: قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ ﴾ [الاحزاب : جزء من الآية : ٣٧]

الوطر: الحاجة [٤] قال الواحدي رحمه الله تعالى: "وذكر قضاء الوطر هنا بيانا أن امرأة المُتَبَنَّى تحل وإن وطئها المُتَبَنِّى وهو قوله ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ ﴾ ، أي: زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تَبَنَّيْتَهُ لكيلا [٥] تظن أنه من تُبُنِّيَ لم تحل امرأته للمتبنِّي" [٦]. وكذلك من خلال السياق استنبط حكما خاصا برسول الله ﷺ وهو جواز نكاحه عليه الصلاة والسلام من غير ولي وشهود.

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٥/ ٣٩٤ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٦/ ٥٤٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٢/٥٦– ٥٧.

(٤) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس : ١/ ٩٢٩ ، و معجم مقاييس اللغة مادة (وطر) :٦/ ١٢٢.

(٥) في المطبوع: (لكي)، وقد علق محقق الكتاب هنا فقال: "هكذا في النسخ [أي: النسخ المخطوطة]، وهو خطأ، والصواب: لكيلا". وما ذكره المحقق ظاهر؛ ولذلك أثبتُ النص (لكيلا) على الصواب.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٨/ ٢٥٧.

بيَّن الواحدي رحمه الله تعالى أن سياق الآية أكد حكمًا شرعيًا، وهو جواز نكاح طليقة المتبنَّى، بدلالة السياق الذي ورد فيه ﴿ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ وهذا يؤكد على تدقيق الواحدي رحمه الله تعالى النظر في ألفاظ السياق لبيان الحكم الشرعي الذي ورد في الآية.

قال الطبري رحمه الله تعالى: "أي: نكاح نساء من تبنوا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة إذا هم طلقوهن وبِنَّ منهم {إذا قضوا منهن وطرا} يقول: إذا قضوا منهن حاجاتهم، وآرابهم وفارقوهن وحللن لغيرهم " [1] وقال الجصاص: "إن البنوة من جهة التبني لا تمنع جواز النكاح" [2] وقال الثعلبي: "أدعيائهم الذين تبنوه إذا قضوا منهن وطرا بالنكاح وطلقوهن أو ماتوا عنهن. قال الحسن: كانت العرب تظن أن حرمة المتبنى مشبكة كاشتباك الرحم، فميز الله تعالى بين المتبنى وبين الرحم فأراهم أن حلائل الأدعياء غير محرمة عليهم ؛ لذلك قال: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ [النساء جزء من الآية: ٢٣] فقيد وكان أمر الله مفعولا كائنا لا محالة، وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ " [3].

النموذج السادس: قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ ﴾ [البقرة : ١٧٣] .

قوله تعالى :﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ ﴾ ، أي: أُحْوِجَ وأُلجِئ، وهو افتُعِل من الضرورة، قال الأزهري: معناه ضُيِّق عليه الأمر بالجوع، وأصله: من الضرر وهو الضيق، وهذا قول الجمهور، وقيل: من أُكره على أكل المحرما(ت [[4]. ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن المفسرين اختلفوا في قوله تعالى : ﴿ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ ﴾ على قولين: القول الأول أن المعنى: غير باغ على المسلمين ولا عادٍ عليهم، أي: غير قاطع للطريق ولا مفارق للأئمة مشاقٍّ للأمة، وعلى هذا التأويل كل من عصى بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة؛ لأنه باغ عادٍ، وعلى هذا القول يكون إعراب (غير) حالاً للمضطر بمعنى النفي ولا يصح إعرابها استثناء ؛ لذلك أكدها بـ (لا) فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا فأكله، فهو له حلال، والقول الثاني أن هذا البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل، ومعناه: أنه أكلها تلذذاً من غير اضطرار ، أو مجاوزا ما يسد جوعه ، وعلى هذا يجوز للعاصي أن يتناول المحرمات بسفره [5]. ثم قال: "والتأويل الأول أولى من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ: فرجوع

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩/ ١١٧.

(٢) أحكام القرآن للجصاص : ٣/ ٤٧٢ .

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٨/ ٤٩.

(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٢/ ٤٥ ، و المفردات في غريب القرآن: ٢٩٦ – ٢٩٧، والبحر المحيط في التفسير: ٢ / ١١٨ ، والقاموس المحيط : ٤٢٨.

(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/ ٥٠٢-٥٠٣.

البغي والعدوان إلى حال المضطر أولى من رجوعهما إلى أكله، وهو المفهوم من اللفظ؛ لأنه لم يسبق للأكل ذكرٌ حتى يقال يكون البغي والعدوان صفة له راجعاً إليه..." (١).

في هذا النص نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى رجح أحد القولين في تفسير الآية اعتمادًا على سياق الكلام في الآية، فذكر أن القول الأول ـ الذي رجحه ـ هو الذي يؤيده اللفظ، أي: سياق الآية، وبيان ذلك أن سياق الكلام هو عن المضطر، فالمضطر هو الذي تقدم ذكره، وعلى هذا يكون رجوع قوله تعالى ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ إلى المضطر أولى من رجوعه إلى الأَكْل الذي لم يَسْبِق له ذِكْر. وقد أوضح الواحدي رحمه الله تعالى رأيه بمثال، فقال: "ومثله في الكلام أن يقال: قد حرم الأمير ركوب الخيل ولبس السلاح، فمن أُحْوِجَ غيرَ فارٍّ ولا ذاهب فلا حرج عليه. فالذي يسبق إلى الوهم من هذا ويليق باللفظ أن معناه: غير فارٍّ بنفسه ولا ذاهب، وأن الفرار والذهاب يعود إلى نفس المضطر لا إلى شيء سواه. ووِزان التأويل الثاني من هذا الكلام: أن يكون المعنى: غير فارٍّ بسلاحه ولا ذاهب به" (٢).

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : "فيحل ما حرم من ميتة ودم ولحم خنزير وكل ما حرم مما لا يغير العقل من الخمر للمضطر. والمضطر: الرجل يكون بالموضع لا طعام فيه معه ولا شيء يسد فورة جوعه من لبن وما أشبهه ويبلغه الجوع ما يخاف منه الموت أو المرض وإن لم يخف الموت أو يضعفه ويضره أو يعتل أو يكون ماشيا فيضعف عن بلوغ حيث يريد أو راكبا فيضعف عن ركوب دابته، أو ما في هذا المعنى من الضرر البين... وكذلك يشرب من المحرم غير المسكر، مثل الماء تقع فيه الميتة وما أشبهه" (٣) واتبعه الواحدي رحمه الله تعالى فذكر أن الرخصة جُعلت لمن لم يكن عاصيا ولا معتديا (٤) ورجح الطبري رحمه الله تعالى ان يكون باغيا في الطعام مع وجود غيره مما أحل الله ، ولا عادٍ في طعامه متجاوزا حد جوعته (٥). وقال أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى : "غير باغٍ ، أي: غير طالبٍ للحرام ولا راضٍ بأكله. ولا عاد، يعني لا يعود إلى أكله بعد أكل مقدار ما يسد به الرمق" (٦). وقال القرطبي رحمه الله تعالى : "فيدخل في الباغي والعادي قطاع الطريق والخارج على السلطان والمسافر في قطع الرحم والغارة

(١) المصدر نفسه: ٣/ ٥٠٣-٥٠٤.
(٢) المصدر نفسه:٣/ ٥٠٤.
(٣) الأم : ٢/٢٧٦.
(٤) ينظر: المصدر نفسه:٢١٢/١.
(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٢/٣.
(٦) بحر العلوم: ١١٤/١.

على المسلمين وما شاكله. وهذا صحيح، فإن أصل البغي في اللغة قصد الفساد، وكيف يجوز منعه من أكل الميتة والتيمم لأجل معصية ارتكبها، وفي تركه الأكل تلف نفسه، وتلك أكبر المعاصي، وفي تركه التيمم إضاعة للصلاة. أيجوز أن يقال له: ارتكبت معصية فارتكب أخرى!" وضعف قول الواحدي رحمه الله تعالى بقوله: "قلت: هذا استدلال بمفهوم الخطاب، وهو مختلف فيه بين الأصوليين، ومنظوم الآية أن المضطر غير باغٍ ولا عادٍ لا إثمَّ عليه، وغيره مسكوت عنه، والأصل عموم الخطاب، فمن ادعى زواله لأمر ما فعليه الدليل" (١). وقال أبو حيان رحمه الله تعالى : "والظاهر في البغي والعدوان أن ذلك من قبل المعاصي؛ لأنهما متى أطلقتا تبادر الذهن إلى ذلك" (٢). وأرى أن الجمهور ذهبوا إلى أن "باغيا" و"عاديا" ترجعان إلى الأكل لا إلى حال المضطر؛ لان ترك الأكل للعاصي يوقعه في معصية أكبر وهي قتل النفس وكذلك سياق النص في الأكل لا في الحلال والحرام والحدود والأحكام. والله تعالى أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٢/٢٣٣- ٢٣٤.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٢/ ١١٧.

المبحث الثاني : أثر السياق في بيان مناسبة الآيات القرآنية

علم المناسبة هو: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني [١]، فمع نزول القرآن منجمًا في مدد متفرقة، إلا أن عباراته وجُمَله وفواصله جاءت بشكل حلقات متعانقة يكمل بعضها بعضًا بأفصح بيان وأبلغ التعابير وأوجز الكلام، فلا نجد لفظة نافرة ولا يمكن أن يؤدي معناها غيرها. وسياق النصوص له أثر كبير في إبراز هذا التلاؤم، بل إن التناسب هو جزء من السياق، فلا يمكن معرفة التناسب بين الآيات بدون معرفة سياقها. ومن النماذج التطبيقية على ذلك عند الواحدي رحمه الله تعالى :

النموذج الأول: قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة : ٢٥]،

قال الواحدي رحمه الله تعالى بعد تفسير الآية التي قبل هذه الآية: "ولما ذكر جزاء الكافرين لتكذيبهم ذكر جزاء المؤمنين لتصديقهم" [٢].

هنا نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى أشار إلى أن السياق هو في الإيمان وبيان عواقبه وعواقب نقيضه؛ لذلك لما ذُكر عاقبة نقيض الإيمان ـ الذي هو الكفر ـ ناسب ذِكر عاقبة الإيمان لتكتمل الصورة، ويتم الحديث من جميع جوانبه. فذكر الله تعالى النَّار ووقودها وأصحابها الذين كانت لهم جزاء على كفرهم وتكذيبهم رسالة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، ثم عرج بالحديث عن الذين آمنوا وصدقوا وعملوا وفصل القول في وصف الجنَّات التي أعدت لهم كعادة القرآن في الترغيب والترهيب. لما ذكر سبحانه و تعالى فيما تقدم الكفار– وما يؤول إليه حالهم في الآخرة وكان في ذلك أبلغ التخويف والانذار– عقب بالمؤمنين وما لهم جرياً على السُّنة الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد؛ لأن من الناس من لا يجديه التخويف وينفعه اللطف، ومنهم عكس ذلك، فكأن هذا وما بعده معطوف على سابقه عطف القصة على القصة، والتناسب بينهما باعتبار أنه بيان لحال الفريقين المتباينين وكشف عن الوصفين المتقابلين [٣].

وبهذا تظهر عناية الواحدي رحمه الله تعالى بالاعتماد على السياق في بيان المناسبة بين الآيات، ومن مميزات السياق القرآني مقابلة الشيء بضده.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٣٦٩

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط:٢/ ٢٥٩.

(٣) يُنظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١/ ٢٠٢، وإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: ١/ ١٩١، وفي علوم القرآن دراسات ومحاضرات : ١/ ٢٠١.

قال أبو حيان: "ومناسبة قوله تعالى : "وبشر" لما قبله ظاهرة، وذلك أنه لما ذكر ما تضمن ذكر الكفار وما تؤول إليه حالهم في الآخرة، وكان ذلك من أبلغ التخويف والإنذار، أعقب ما تضمن ذكر مقابليهم وأحوالهم وما أعد الله لهم في الآخرة من النعيم السرمدي" (١).

النموذج الثاني: قوله تعالى :﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة :١١٢]

قال الواحدي رحمه الله تعالى : "والآية ردٌّ على اليهود والنصارى؛ لأنَّهم قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[البقرة:١١١] فقال الله تعالى : (بلى) يدخلُها من كان بهذه الصفة" (٢).

هنا نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى وظف السياق في بيان مقصد الآية والغاية من إيرادها ومناسبته، فذكر أنها جاءت هنا لكون السياق هو في ذكر ادعاءات اليهود والنصارى وعقائدهم الفاسدة والرد عليها وإبطالها، فبين أن هذه الآية جاءت تكذيباً لليهود والنصارى في ادعائهم أن الجنَّة خُصصت لهم دون غيرهم، وأشار إلى أن سياق الآية ومقصدها استلزم استخدام ألفاظ دون غيرها، فأشار إلى أنه استُعْمِل حرف النفي (بلى) دون غيره؛ لأن هذا الحرف يُستعمل بعد إنكارٍ وجحود لإثبات ما يناقضه (٣).

وذكر الطبري أن الآية تكذيب لليهود والنصارى؛ لأنهم ادعوا أن الجنَّة لا يدخلها غيرهم، فجاءت الآية إبطالاً لادعائهم بالحجج العقلية (٤). وقال أبو الليث السمرقندي: "معناه بل يدخل الجنَّة غيركم؛ من أسلم وجهه لله، أي: من أخلص دينه لله وآمن بمحمد ﷺ وهو محسن في عمله، فله أجره عند ربه، أي ثوابه في الجنَّة. ولا خوف عليهم من العذاب حين يخاف أهل النَّار ، ولا هم يحزنون حين يحزن أهل النَّار " (٥). وقال البقاعي: "ولما نادى عليهم بالكذب في قوله: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١] أثبت لغيرهم بقوله:﴿ بَلَىٰ ﴾ ما ادعوا الاختصاص به... ولما نفوا الأجر عن غيرهم وأثبته سبحانه للمتصف بالإسلام منهم وممن سواهم وكان ربما قيل إنه أعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير سبب ربط الأجر بالفاء دليلاً على أن إسلامهم هو السبب فقال:

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ١/ ١٧٨.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٣/ ٢٤٨.

(٣) قال هشام في حرف النفي (بلى): "وتختص بالنفي، وتفيد إبطاله... نحو ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧]... ، [مغنى اللبيب :١ / ١٥٣].

(٤) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/٤٣٠.

(٥) بحر العلوم :١/ ٨٥.

﴿ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ ﴾ خاصة ﴿ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ إحساناً إليه بإثبات نفعه على حسب ما ربّه به في كل شريعة. ولما كان ربما ادعى أنه ما أفرد الضمير إلا لأن المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك في دعوى أنه لن يدخل الجنَّة إلا اليهود أو النصارى جمع فقال: ﴿ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ من آت ﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢ ﴾ على شيء فات دفعاً لضرهم، وهذا كما أثبت سبحانه خلاف دعواهم في مس النَّار بقوله: ﴿ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾ [البقرة: ٨١] الآية، فالتحم الكلام بذلك أشد التحام وانتظم أي انتظام" (١)

النموذج الثالث: قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ ﴾ [البقرة :١٦٥]

بين الواحدي رحمه الله تعالى أن هذه الآية واردة في سياق الحديث عن توحيد الله سبحانه وأدلته الظاهرة وبراهينه الناصعة وحججه الساطعة، فبعد بيان قدرة الله عز وجل في خلق السموات والأرض والليل والنهار وإبداعه في الكون؛ ليتدبر الخلقُ هذا الكونَ العجيبَ ويؤمنوا بخالقهِ ومدبر شؤنهِ، ومع ذلك فهناك من يغفل وينكر ويجعل له ندّاً، قال الواحدي رحمه الله تعالى مبيناً مناسبة هذه الآية لما قبلها: "لما ذكر الله تعالى الدلالةَ على وحدانيته أَعْلَم أنّ قومًا بعد هذه الدلالة والبيان يتخذون الأنداد، مع علمهم أنهم لا يأتون بشيء مما ذكر" (٢).

فبين الواحدي رحمه الله تعالى بذلك أن هذه الآية ليست غريبة عن سياق الآيات التي قبلها الواردة في توحيد الله وأدلته الظاهرة، بل هي مكملة للصورة التي ساق الله الآيات من أجلها، فإن الإله الواحد الحق الخالق المدبر لا يجوز أن يسَّاوَى به غيره من المخلوقين في الحبِّ، فالمحبة الكاملة المستلزمة لكمال الانقياد لا تصح إلا لله وحده الخالق الرازق المدبر، وقد نصب الله على ذلك الأدلة الواضحة والبراهين الدامغة والحجج الساطعة، إلا أن بعض الناس عميت بصائرهم وأغشيت عقولهم بظلام الجهل فاتخذوا من دون الله أندادًا يساوونها بالله تعالى في الحبِّ.

فنرى كيف أن الواحدي رحمه الله تعالى وظف السياق في بيان وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها. قال أبو حيان: "لما قرر تعالى التوحيد بالدلائل الباهرة، أعقب ذلك بذكر من لم يوفق. واتخاذه الأنداد من دون الله، ليظهر تفاوت ما بين المنهجين. والضد يظهر حسنه الضد، وأنه مع وضوح هذه الآيات، لم يشاهد هذا الضال شيئا منها" (٣). وقال البقاعي: "ولما نهضت الأدلة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢/ ١١٤.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٣/ ٤٦٦.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٢/٨٤.

وسطعت البراهين وزاحت العلل والشكوك عاب من عبد سواه وفزع إلى غيره كما نهى عن الأنداد عقب الآية الأولى الداعية إلى العبادة مشيراً بختم التي قبل بـ "يعقلون"، إلى أن هؤلاء ناس ضلت عقولهم وفالت آراؤهم وبين أنهم يتبرأ بعضهم من بعض يوم ينكشف حجاب الغفلة عن سرادق العظمة ويتجلى الجبار في صفة النقمة فقال سبحانه و تعالى عاطفاً على ما قدرته مما أرشد إليه المعنى: ومن، أو يكون التقدير فمن الناس من عقل تلك الآيات فآمن بربه وفنى في حبه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ ﴾ وهم من لا يعقل ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الذي لا كفؤ له مع وضوح الأدلة ﴿ أَندَادًا ﴾ مما خلقه " [١]. وبين الألوسي وجه المناسبة بقوله: "بيان لحال المشركين بعد بيان الدلائل الدالة على توحيده تعالى ، و «من» دون الله حال من ضمير «يتخذ» والأنداد- الأمثال والمراد بها الأصنام كما هو الشائع في القرآن" [٢].

النموذج الرابع: قوله تعالى :﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [البقرة :١٠٠]

بين الواحدي أقوال العلماء في معنى الآية: ﴿ عَـٰهَدُواْ عَهْدًا ﴾ قال: "قال المفسرون: إن اليهود عاهدوا فيما بينهم، لئن خرج محمد ﷺ ليؤمنُنَّ به، وليكونُنَّ معه على مشركي العرب، فلما بُعِثَ نقضوا العهد وكفروا به. وقال عطاء [٣]: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود، فنقضوها كفعل قريظة والنظير ؛ عاهدوا ألا يعينوا عليه أحدًا، فنقضوا ذلك، وأعانوا عليه قريشًا يوم الخندق" ثم قال مبيناً وجه مناسبة الآية لما قبلها: "واتصال هذه الآية بما قبلها: من حيث إنهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات" [٤].

هنا بين الواحدي رحمه الله تعالى وجه ارتباط الآية بما قبلها، فأشار إلى أن سياق الآيات هنا هو في بيان كفر اليهود ووجوه هذا الكفر وأنواعه، فبين أن الآية تضمنت وجهًا من وجوه كفر اليهود وهو نقض العهود. وبين أن سبب ذكر "بل" أنهم فريق كفروا وفريق نقضوا ؛ لذلك حسن التفصيل منهم من كفر جحودًا وجهلًا وعنادًا.

وبين أبو حيان رحمه الله تعالى أن هذا عادتهم وديدنهم فلا يكترث بأمرهم فنقض العهود من سماتهم ؛ لذلك بدأ النص بالاستفهام الإنكاري تعظيمًا وإنكارًا ؛ لكثرة نقض عهودهم، تسلية للرسول

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢/٣٠١-٣٠٢.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١/٤٣٢.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١ / ٢٤٢ ، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن :١/١٢٦.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٣/ ١٨١.

ﷺ ؛ لأنهم كفروا بالآيات ونقضوا العهود لذلك عطفت عليها [١]. وقال البقاعي: "ولما أنكر عليهم أولاً ردهم للرسل لأمرهم بمخالفة الهوى في قوله: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ٨٧] وأتبعه بما يلائمه إلى أن ختم بأن آيات هذا الرسول من الأمر البين الذي يشهد به كتابهم وقد أخذ عليهم العهد باتباعه كما أرشد إلى قوله تعالى :﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾[البقرة جزء من الآية: ٣٨] الآية، أنكر عليهم ثانيًا كفرهم بما أتى به الرسل بقوله: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ ﴾، أي : طرحه محتقرًا له ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ ، أي : ناس شأنهم السعي في الفرقة. ولما كان هذا مترددًا بين التقليل والتكثير لتردد التنوين بين التعظيم والتحقير رد احتمال التقليل بقوله: ﴿ بَلْ ﴾ أي : وليس الفريق الكافر بالنبذ أقلهم بل ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ حالًا ولا مآلًا" [٢].

النموذج الخامس: قوله تعالى :﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة :٨١]

بين الواحدي رحمه الله تعالى معنى بلى حيث قال بلى تأتي مع الكلام المنفي ويريد إثبات نقيضه نحو قولنا ألست تقوم ؟ فتقول بلى بمعنى أقوم لذا أستعمل بلى دون نعم ؛ لأن السياق في إنكار اليهود للعذاب وجحودهم للنَّار فأجابهم عز وجل ب﴿ بَلَىٰ ﴾ نفياً لادعائهم وتكذيبا لافترائهم عليه تعالى ، ثم ذكر ل(من) عدة معانٍ واختار منها ما يوافق السياق فمن في هذا الموضع اسم موصول بمعنى الذي يكسب سيئةً ومعناها الشرك وتحيط بحسنتهِ خطيئته يعذب بالنَّار ،وبهذا يتضح ملائمة مفردات النص بعضها لبعض وسر إثارتها على غيرها ، وبعد أن بين مناسبة الالفاظ المتجاورة في الآية الواحدة ثم بين مناسبة الآية لسابقتها بقوله [٣] "ومعنى الآية: أنه رد على اليهود قولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ ﴾ فقال: ﴿ بَلَىٰ ﴾ أعذب من كسب سيئة." [٤]

هنا أيضاً اعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على سياق الآيات لبيان مناسبة هذه الآية، فأشار إلى أن الآية وردت في سياق بيان ادعاءات اليهود وافتراءاتهم وإبطالها.

قال الطبري رحمه الله تعالى :"وإخبار منه لهم أنه يعذب من أشرك وكفر به وبرسله وأحاطت به ذنوبه فمخلده في النَّار ؛ فإن الجنَّة لا يسكنها إلا أهل الإيمان به وبرسوله، وأهل الطاعة له،

---

(١) ينظر : البحر المحيط في التفسير : ٥١٨/١ ، و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١/ ٣٣٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢/ ٧١.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٩٥/٣.

(٤) المصدر نفسه : ٣/ ٩٦.

والقائمون بحدوده" (١). وقال الزمخشري: "بلى: إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ أي بلى تمسكم أبدا، بدليل قوله ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ " (٢).

النموذج السادس: قوله تعالى ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ [النساء :١٤٣].

اعتمد الواحدي رحمه الله تعالى على السياق في بيان مناسبة هذه الآية وارتباطها بما قبلها وأثر هذه المناسبة وهذا الارتباط في ألفاظ الآية وتعبيراتها، فذكر أن اسم الإشارة في قوله تعالى : ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ يشير إلى الكفر والإيمان، أي: مذبذبين بين الكفر والإيمان، وذلك ؛ لأن ذكر الكافرين والمؤمنين قد جرى في السياق السابق لهذه الآية عند قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [النساء: ١٣٩]، وإذا جرى ذكر الكافرين والمؤمنين فقد جرى ذكر الكفر والإيمان. وجوَّز الواحدي رحمه الله تعالى أن يكون اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارةً إلى المؤمنين والكافرين الذي جرى ذكرهم سابقاً قبل هذه الآية، ونقل عن ابن عباس﵄ قوله في تفسير الآية: "يريد لا كافر ولا مؤمن" (٣). قال الطاهر بن عاشور: "ثم جاء بحال تعبر عن جامع نفاقهم وهي قوله: مذبذبين بين ذلك وهو حال من ضمير يراؤون ... والإشارة بقوله: بين ذلك إلى ما استفيد من قوله: يراؤون الناس؛ لأن الذي يقصد من فعله إرضاء الناس لا يلبث أن يصير مذبذباً، إذ يجد في الناس أصنافاً متباينة المقاصد والشهوات. ويجوز جعل الإشارة راجعة إلى شيء غير مذكور، ولكن إلى ما من شأنه أن يشار إليه، أي مذبذبين بين طرفين كالإيمان والكفر" (4).

النموذج السابع : قوله تعالى :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ [النساء :١٥١]

بين الواحدي رحمه الله تعالى أثر السياق في مناسبة هذه الآية لما قبلها وأثره على ألفاظها، فذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى ﴿ حَقًّا ﴾ هنا لتأكيد كفرهم؛ إزالةً لتوهم أن إيمانهم ببعض الرسل يزيل عليهم إطلاق اسم الكفر على الحقيقة، ثم ذكر إعراب ﴿ حَقًّا ﴾ (٥).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/ ١٧٨.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ١٥٨، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ١/ ٤٥٠.
(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ١٦٢، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ١١٠/٤.
(٤) التحرير والتنوير: ٥/ ٢٤٠.
(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ١٧٤-١٧٥.

فنلاحظ أن السياق الذي وردت فيه الآية أثر في ألفاظ الآية، فقد ورد في سياق الآية إثبات إيمانهم ببعض الرسل، فقد يثير ذلك عند البعض وَهَمًا، فجاءت هذه الآية لإزالة هذا الوهم، وجاءت في ألفاظها ما يؤكد على ما يزيل الوهم. ثم قال الواحدي رحمه الله تعالى بعد ذلك: "ثم نزل في المؤمنين قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٢] إلى آخر الآية" [١].

ونحوه قال الطبري: "أيها الناس هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم هم أهل الكفر بي المستحقون عذابي والخلود في ناري حقاً، فاستيقنوا ذلك، ولا يشككنَّكم في أمرهم انتحالهم الكذب ودعواهم أنهم يقرون بما زعموا أنهم به مقرون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كذبة. وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل هو المصدق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، فأما من صدق ببعض ذلك وكذب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مكذب ، وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسله، الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون، فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوة أنبيائه حق الجحود المكذبون بذلك حق التكذيب، فاحذروا أن تغتروا بهم وببدعتهم، فإنا قد أعتدنا لهم عذابا مهينا" [٢]. وقال أبو حيان: "ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما بيَّنَ ما عليه المنافقون من سوء الخليقة ومذموم الطريقة، أخذ في الكلام على اليهود والنصارى، جعل كفرهم ببعض الرسل كفرا بجميع الرسل، وكفرهم بالرسل كفرا بالله تعالى . وأكد بقوله: هم، لئلا يتوهم أن ذلك الإيمان ينفعهم" [٣].

النموذج الثامن: قوله تعالى :﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [المائدة : ٩٧] لم يقتصر الواحدي رحمه الله تعالى على مناسبة الآية لما قبلها وبعدها بل يذكر مناسبة الجملة لسياقها ويظهر ذلك جليًا في قوله عند تفسير هذا النص؛ قال: "وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت؛ لأنها من أسباب حج البيت، فدخلت في جملته وذُكرت معه" [٤]، قال البقاعي: "ولما ذكر ما به القوام من المكان، أتبعه ذلك من الزمان فقال: ﴿ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ ، أي: الذي يفعل فيه الحج وغيره يأمن فيه الخائف ولما ذكر ما به القوام من المكان والزمان، أتبعه

---

(١) المصدر نفسه: ٧/ ١٧٥.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٧/ ٦٣٥.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ١١٩.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٥٣٦/٧.

ما به قوام الفقراء من شعائره فقال: ﴿ وَٱلۡهَدۡيَ ﴾ ثم أتبعه أعزَّه وأخصه فقال: ﴿ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ ، أي : والهديَ العزيز الذي يقلد فيذبح ويقسم على الفقراء" (١)، وقال الطاهر بن عاشور: "وعطف الشهر الحرام على الكعبة شبه عطف الخاص على العام باعتبار كون الكعبة أريد بها ما يشمل علائقها وتوابعها" (٢).

النموذج التاسع: قوله تعالى :﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨ ﴾[الانعام :٢٨]

قال الواحدي رحمه الله تعالى في مناسبة هذه الآية: "معنى ﴿ بَلۡ ﴾ هاهنا رد لكلامهم وإضراب عن توهم صحة عزيمتهم على الإنابة التي كان تمني الرجعة لأجلها؛ يقول الله تعالى : ليس على ما قالوا ﴿ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ ﴾ ؛ فلذلك اعتذروا وتمنوا الرد، أي: إنما اعتذروا حين افتضحوا" (٣).

هنا بين الواحدي رحمه الله تعالى أن الآية سيقت للرد على كلام الكفار الذي حكاه الله تعالى في الآية السابقة: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٧ ﴾ [الأنعام: ٢٧]، فجيء بحرف الإضراب للرد على كلامهم ودفع التوهم الذي قد يثيره كلامهم. فالسياق أثر تأثيراً واضحاً في الألفاظ الواردة في الآية.

قال ابن عطية: "الضمير في لهم عائد على من ذكر في قوله: وقفوا فقالوا [الأنعام: ٢٧] وهذا الكلام يتضمن أنهم كانوا يخفون شيئا ما في الدنيا فظهر لهم يوم القيامة أو ظهر لهم وباله وعاقبته، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه" (٤). وقال الطاهر بن عاشور" وقوله: بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل إضراب عن قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. والمعنى بل ؛ لأنهم لم يبق لهم مطمع في الخلاص" (٥).

النموذج العاشر: قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤ ﴾ [الاعراف :١٧٤]

قال الواحدي : "أي: وكما بينا في أمر الميثاق نبين الآيات ليتدبرها العباد فيرجعوا إلى مدلولها ويعملوا بموجبها دون ما سولت لهم أنفسهم ودعت إليه أهواؤهم، وهو معنى قوله: ﴿ وَلَعَلَّهُمۡ

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦/ ٣٠٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٧/ ٥٨.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٨/ ٧٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٦/٤١٠.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/٢٨٢.

(٥) التحرير والتنوير: ٧/١٨٥.

﴿يَرۡجِعُونَ ١٧٤﴾ ، أي: ولكي يرجعوا عمّا هم عليه من الكفر والضلالة إلى التوحيد والطاعة وقيل: إلى ما أخذ عليهم من الميثاق في التوحيد، والرجوع إلى ذلك الميثاق رجوع إلى التوحيد" [١].

في هذا النص نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى بين وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها، فوضَّح أن الآية واردة في سياق الحديث عن الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾[الأعراف: ١٧٢].

فذكر أن ذكر الله تعالى للميثاق هو من تفصيل الله للآيات لإقامة الحجة على العباد، وبين الواحدي رحمه الله تعالى أن السياق الذي وردت الآية فيه أثر على ألفاظ الآية، فما ذكره الله تعالى من الميثاق أشار إلى أن أصل الإنسان هو الإيمان بالله وتوحيده ؛ لذلك جاء في آخر الآية ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤﴾ ، أي: يرجعون إلى الميثاق الذي أخذه الله عليهم فيوحدون ربهم سبحانه. قال ابن عطية رحمه الله تعالى: "وكذلك نفصل الآيات تقديره وكما فعلنا هذه الأمور وأنفذنا هذه المقادير فكذلك نفصل الآيات ونبينها لمن عاصرك وبعثت إليه، لعلهم على ترجيهم وترجيكم وبحسب نظر البشر، يرجعون إلى طاعة الله ويدخلون في توحيده وعبادته" [٢]. وقال البقاعي رحمه الله تعالى: "انظر كيف فصلنا هذه الآيات هذه التفاصيل الفائقة وأبرزناها في هذه الأساليب الرائقة، قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ، أي : ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع ﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ ، أي : كلها لئلا يواقعوا ما لا يليق بجانبنا جهلاً ؛ لعدم الدليل ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤﴾ ، أي ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن الضلال إلى ما تدعو إليه الهداة من الكمال عن قرب إن حصلت غفلة فواقعوه" [٣].

النموذج الحادي عشر: قوله تعالى :﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ ٢٩﴾ [يونس : ٢٩]

قال الواحدي رحمه الله تعالى : "هذا من كلام معبوديهم لما تبرؤوا منهم قالوا: يشهد الله على علمه فينا ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين؛ لأنه لم يكن فينا روح وما كنا نسمع ولا نبصر. وقوله تعالى

---

(١) التفسير البسيط: ٩/ ٤٥٩.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/٤٧٦.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٥٦/٨.

﴿إِن كُنَّا﴾ (إن) هاهنا هي المخففة من الثقيلة، ودليله إلحاق اللام في الخبر للفرق بين (إن) الجحد و(إن) المؤكدة، والتقدير: إنا كنا عن عبادتكم لغافلين، ثم خففت وحذف الضمير" (١).

أشار الواحدي رحمه الله تعالى في هذا الكلام إلى أن الآية وردت في سياق بيان الأدلة على وحدانية الله ﷻ، وإقامة الأدلة على ذلك، وبيان أن كلَّ آلهة زعمها المشركون باطلةٌ، وهي لا تملك لنفسها ولا لعابديهم ضراً ولا نفعاً، قال تعالى :﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وبين الله في السياق أنه المتفرد بعلم الغيب: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ [يونس: ٢٠] وهكذا يسير السياق في بيان هذا المعنى، لتأتي هذه الآية فيه لتثبت العلم لله وحده وتنفيه عن الآلهة المزعومة، والإشارة إلى أنها ميتة. فجاء ذكر شهادة الله، وغفلة الآلهة الباطلة.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "إن كنا هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل، وقيل: الأصنام؛ يُنْطِقُها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان" (٢). وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: "وظاهر هذه الآية أن محاورتهم إنما هي مع الأصنام دون الملائكة وعيسى بن مريم بدليل القول لهم مكانكم أنتم وشركاؤكم ودون فرعون ومن عبد من الجن بدليل قولهم إن كنا عن عبادتكم لغافلين، وهؤلاء لم يغفلوا قط عن عبادة من عبدهم" (٣). وقال البقاعي رحمه الله تعالى: "ما كنتم إيانا} وحدنا {تعبدون} ، أي: ما كنتم تخلصون لنا العبادة حتى يلزمنا أن نخلصكم كما أعلمنا بذلك الله ربنا وربكم المحيط بكل شيء علما ﴿فَكَفَىٰ﴾ ، أي: فتسبب عن ذلك أنه كفى ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ في ذلك، فكأن المشركين قالوا: قد تضمن كلامكم أن عبدناكم على غير منهج الإخلاص، أفليس قد عبدناكم؟ أفلا تغنون عنا شيئا؟ فأجاب الشركاء بقولهم: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ۝٢٩﴾ خالصة كانت أو مشوبة ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ فلا نقر لكم بعبادة أصلا وإن تيقنا الإخلاص لسلب العلم عنا بما كنا فيه من الجمادية فضلا عن أن نأمركم أو نرضى بعبادتكم على أنه لا غناء عندنا على تقدير من التقادير" (٤).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١١/١٨٣ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/٣٤٤.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/١١٧، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/٤٩.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٩/١١٠.

النموذج الثاني عشر: قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠ ﴾ [يونس : ٥٠]

بين الواحدي رحمه الله تعالى أن هذه الآية جاءت في سياق استعجال الكفار لعذاب الله، فقال: "قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴾ الآية، هذا جواب لقولهم: متى هذا الوعد؟ وهذا استعجال منهم للعذاب ، فقيل للنبي ﷺ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴾ ، أي: أَعَلِمْتُم" [١]، والرؤية من رؤية القلب لا من رؤية العين، أي: بمعنى العلم، أي: قل لهم يا محمد أعلمتم لو جاءكم عذاب الله تعالى فجأة ليلاً أو نهاراً ، بعد ذلك تكلم الواحدي رحمه الله تعالى على معنى الاستفهام الوارد في الآية ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٠ ﴾ فذكر نقلاً عن بعض أئمة اللغة أن معناه التهويل والتحذير و التفضيع [٢].

في كلام الواحدي رحمه الله تعالى هذا إشارة إلى أن السياق الذي وردت فيه الآية ظهر أثره في تراكيب الآية، فأشارت الآية إلى أن عذاب الله تعالى يأتي فجأة فقد يأتي بياتاً أو نهاراً، ثم هوَّل الله سبحانه وعظَّم ما يستفهم عنه الكفار عندما قالوا ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ ﴾ [يونس :84] .

قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ ﴾: الضمير في ويقولون، عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من منكري الحشر، استعجلوا بما وعدوا به من العذاب على سبيل الاستبعاد، أو على سبيل الاستخفاف؛ ولذلك قالوا: إن كنتم صادقين أي: لستم صادقين فيما وعدتم به فلا يقع شيء منه" ثم قال في معنى هذه الآية: "أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون" [٣].

وقال البقاعي رحمه الله تعالى : "ولما كان جل قصدهم بذلك الاستهزاء، وكان وقوعه أمرا ممكنا، وكان من شأن العاقل أن يبعد عن كل خطر ممكن، أمره ﷺ بجواب آخر حذف منه واو العطف لئلا يظن أنه لا يكفي في كونه جوابا إلا بضمنه إلى ما عطف عليه فقال: ﴿ قُلْ ﴾ ، أي : لمن استبطأ وعيدنا بالعذاب في الدنيا أو في الأخرى، وهو لا يكون إلا بعد الأخذ في الدنيا إعلاما بأن الذي يطلبونه ضرر لهم محض لا نفع فيه بوجه، فهو مما لا يتوجه إليه قصد عاقل ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ وهي من رؤية القلب لأنها دخلت على الجملة من الاستفهام ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ ﴾ في الدنيا. ولما كان

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢٢٠/١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١/ ٢٢١-٢٢٢.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٦٧/٦.

أخذ الليل أنكى وأسرع، قدمه فقال: ﴿بَيَٰتًا ﴾ ، أي : في الليل بغتة وأنتم نائمون كما يفعل العدو؛ ولما كان الظفر ليلا لا يستلزم الظفر نهارا مجاهرة قال: ﴿ أَوۡ نَهَارًا ﴾ ، أي مكاشفة وأنتم مستيقظون.." [(١)].

النموذج الثالث عشر: قوله تعالى :﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [النحل :١١٧]

الآية السابقة في سياق الحديث عن أوصاف الكافرين من الكذب والافتراء على الله ﷻ وتغيير الأحكام ونسبتها إليه تعالى وبيان عاقبة فعلهم؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾[النحل جزء من الآية:١١٦] ، أي: لا يظفرون بالجنَّة والنجاة من النَّار ، ثم قال تعالى :﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ قال الواحدي رحمه الله تعالى مبيناً وجه المناسبة بقوله: "ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب" [(٢)].

قال الثعلبي رحمه الله تعالى: "إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا ينجون من عذاب الله متاع قليل يعني الذي هم فيه من الدنيا متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا ولهم عذاب أليم في الآخرة" [(٣)]. وقال البقاعي رحمه الله تعالى: "ولما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع في هذه الدنيا، أجاب من كأنه قال: فإنا ننظرهم بنعمة ورفاهة؟ فقال تعالى : ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ﴾ ، أي : ما هم فيه لفنائه وإن امتد ألف عام ﴿ وَلَهُمۡ ﴾ بعده﴿ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ ومن ألمه العظيم دوامه فأي متاع هذا" [(٤)].

وقال القدومي: "لما بينت الآية السابقة أن الذين يفترون على الله الكذب بقولهم: هذا حلال وهذا حرام لا يفلحون، تبين هذه الآية لماذا لا يفلحون. وهم لا يفلحون؛ لأن لهم في هذه الدنيا متاع قليل وبعد ذلك لهم العذاب الأليم خالدين فيه. فأين فلاحهم إذا كانوا سيقضون حياتهم الأبدية في العذاب؟!!" [(٥)].

النموذج الرابع عشر: قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [الانبياء :٥٥-٥٦]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى تفسير قوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا ﴾ **إلى** قوله:﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ فبين أنهم يعنون: أجادٌّ أنت فيما تقول محقٌ أم

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣٥/٩.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢٢٣/١٣.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٦/ ٤٩.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١١/ ٢٧٠.

(٥) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: ١/ ٢٣٥.

أنت لاعب مازح؟ وهذا جهل منهم؛ إذ تخيلوا المحق لاعبًا هازلاً، قال الواحدي رحمه الله تعالى: "فأجابهم إبراهيم بما يزيل تخيلهم ويدلهم على أن المستحق للعبادة هو الله لا الصنم، وهو قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ، أي: على أنه ربكم ورب السموات والأرض" (١)، بين المفسرون سياق الخطاب بين إبراهيم عليه السلام وقومه، قال القوم ومنهم والده وجدنا أباءنا يعبدون الاصنام ونحن نعبدها كما يعبدها أباءنا فقال لهم بل أنتم قوم ضالون عن سبل الهدى بعبادتكم لها وضلالكم بين ظاهر، فأجابوه مستفهمين استفهام استهزاء وسخرية أأنت على حقٍ فيما تقول وتدعي أم لاعبًا وهازئا في دعواك؟ وقيل استفهام تعجبي بمعنى بقوا متعجبين من تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمداعبة، لا على طريق الجد، فقالوا له: هذا الذي جئتنا به، أهو جد وحق، أم لعب وهزل؟ ؛ لأنهم يزعمون أنهم على حق وغيرهم في ضلال (٢).

قال الرازي رحمه الله تعالى : "قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فاعلم أن القوم لم يجدوا في جوابه إلا طريقة التقليد الذي يوجب مزيد النكير؛ لأنهم إذا كانوا على خطأ من أمرهم لم يعصمهم من هذا الخطأ أن آباءهم أيضا سلكوا هذا الطريق فلا جرم أجابهم إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥٤]

فبين أن الباطل لا يصير حقا بسبب كثرة المتمسكين به، فلما حقق عليه السلام ذلك عليهم ولم يجدوا من كلامه مخلصا ورأوه ثابتا على الإنكار قوي القلب فيه وكانوا يستبعدون أن يجري مثل هذا الإنكار عليهم مع كثرتهم وطول العهد بمذهبهم، فعند ذلك قالوا له: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين موهمين بهذا الكلام أنه يبعد أن يقدم على الإنكار عليهم جادا في ذلك فعنده عدل ﷺ إلى بيان التوحيد" (٣).

النموذج الخامس عشر: قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الانبياء: ٦٦-٦٧].

قال الواحدي رحمه الله تعالى مبينا وجه المناسبة بين الآيات: "فلما اتجهت الحجة عليهم بإقرارهم وبَّخهم إبراهيم فقال: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ ... ثم حقَّرهم وحقَّر معبودهم، فقال: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ أي نتناً لكم ﴿ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ " (٤).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٠٤/١٥.

(٢) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٦/ ٢٩٢، و الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٣/ ١٢٢.

(٣) مفاتيح الغيب : ٢٢/ ١٥٢.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١١٩/١٥.

في هذا النص نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد على السياق ومناسبة الآية له في بيان أسباب اختيار إبراهيم عليه السلام للمعاني التي ذكرها في خطابه لقومه، فإن الآيات التي قبل هذه الآية بينت كيف أقام إبراهيم عليه السلام الحجة على قومه المشركين بأن الآلهة التي يعبدونها من دون الله سبحانه لا تنفع ولا تضر، وذلك بعد أن جعل آلهتهم جذاذاً إلا كبيراً لهم، وعندما سألوا إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾[الأنبياء: ٦٢] ؟

قال لهم: ﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ فقامت عليهم الحجة كما قال سبحانه: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فقال لهم إبراهيم عليه السلام ما حكاه الله عنه في هذه الآية.

قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "ولما ظهرت الحجة عليهم أخذ يقرعهم ويوبخهم بعباده تماثيل ما لا ينفع ولا يضر، ثم أبدى لهم التضجر منهم ومن معبوداتهم" (١). وقال الألوسي رحمه الله تعالى: "أي: مجاوزين عبادته تعالى إلى ما لا ينفعكم شيئاً من النفع، وقيل: بشيء ولا يضركم فإن العلم بحاله المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من إصرارهم على الباطل بعد انقطاع العذر ووضوح الحق" (٢).

النموذج السادس عشر: قوله تعالى :﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفرقان :٢٢].

قال الواحدي : "﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ وهذا جواب لقولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أُخبروا أنهم إذا رأوا الملائكة فلا بشرى لهم يومئذ" (٣).

نلاحظ هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتمد على السياق في بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها، فسياق الآيات في بيان شُبه الكافرين ودحضها، ومن شبههم وصفهم الرسل بأنهم بشر مثلهم متصفون بصفات البشرية كغيرهم من البشر، فلو أراد الله إرسال الرسل لأرسل ملائكةً؛ في هذا السياق جاء قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ ؛ ولذلك ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن هذه الآية جواب على قول الكافرين الذي حكاه الله عنهم في الآية التي قبل هذه الآية ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قال الطبري رحمه الله تعالى: "يعني: الملائكة تقول للمجرمين: حراما محرما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا" (٤). وقال البقاعي رحمه الله تعالى: "وفي حسن هذا

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٩/٧.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٦٥/٩.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٦/ ٤٥٣، وينظر: مفاتيح الغيب :٤٤٩/٢٤.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٢٨/١٧.

الاستئناف وفحوى هذا السياق دلالة على التعجب من غير لفظ تعجب فالمعنى: ما أشد استكبارهم وأكبر عتوهم! ثم بين لهم حالهم عند بعض ما طلبوا فقال: ﴿ يَوۡمَ ﴾ وناصبه ما دل عليه ﴿ لَا بُشۡرَىٰ ﴾ ﴿ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ ، أي : يوم القيامة أو قبله في الغزوات أو عند الاحتضار ﴿ لَا بُشۡرَىٰ ﴾ ، أي : من البشر أصلا ﴿ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ ، أي : لأحد ممن قطع ما أمر الله به أن يوصل، ولبيان ذلك أظهر موضع الإضمار {ويقولون} أي في ذلك الوقت: ﴿ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ ، أي : نطلب منعا منكم ممنوعا، أي : مبالغا في مانعيته، ويجوز أن يراد بالمفعول الفاعل، والمعنى واحد في أنهم يريدون أن يكون بينهم وبين الملائكة مانع عظيم يمنعهم منهم؛" (١).

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "استئناف ثان جواب عن مقالتهم، فبعد إبداء التعجيب منها عقب بوعيد لهم، فيه حصول بعض ما طلبوا حصوله الآن، أي هم سيرون الملائكة ولكنها رؤية تسوءهم حين يرون زبانية العذاب يسوقونهم إلى النَّار ، ففي هذا الاستئناف تلميح وتهكم بهم ؛ لأن ابتداءه مطمع بالاستجابة وآخره مؤيس بالوعيد، فالكلام جرى على طريقة الغيبة؛ لأنه حكاية عن توركهم، والمقصود إبلاغه لهم حين يسمعونه. وانتصب يوم يرون على الظرفية ل لا بشرى. وتقديم الظرف للاهتمام به لإثارة الطمع وللتشويق إلى تعيين إبانه حتى إذا ورد ما فيه خيبة طمعهم كان له وقع الكآبة على نفوسهم حينما يسمعونه. وإعادة يومئذ تأكيد. وذكر وصف المجرمين إظهار في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بأنهم مجرمون بعد أن وصفوا بالكفر والظلم واليأس من لقاء الله تعالى. وانتفاء البشرى مستعمل في إثبات ضده وهو الحزن" (٢).

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٣/ ٣٦٩- ٣٧٠.

(٢) التحرير والتنوير: ١٩/٦-٧.

المبحث الثالث : أثر السياق في بيان الأساليب اللغوية

المطلب الأول : أثر السياق في بيان معنى أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم

المطلب الثاني : أثر السياق في بيان معنى المشترك اللفظي

المطلب الأول : أثر السياق في بيان معنى أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم

أسلوب الاستفهام من الأساليب العربية التي تفنن فيها العرب واستعملته في معانٍ متعددة، وقد تكلم علماء البلاغة على الاستفهام وبينوا معانيه، ومن هذه المعاني التقرير والإنكار والتوبيخ والتهويل والتعجب وغيرها من المعاني التي يرد فيها الاستفهام وتدرك من السياق والقرائن التي تحتف بالكلام.

وقد ورد الاستفهام في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وتفنن التعبير القرآني في إيراد هذا الأسلوب، وكان للسياق دور كبير في تحديد معنى الاستفهام.

وعند تصفحي لتفسير البسيط للواحدي رحمه الله تعالى وجدته وظف السياق توظيفًا بارعًا في تحديد معنى أسلوب الاستفهام الوارد في الآيات القرآنية، وفيما يأتي نماذج تطبيقية على ذلك:

النموذج الأول: قوله تعالى :﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران :١٠١].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى قول ابن عباس رضي الله عنه [١] وأكثر المفسرين في أن هذا خطاب للمسلمين من الأوس والخزرج، ثم بين معنى الاستفهام بقوله: "﴿ وَكَيْفَ ﴾ ههنا استفهام في معنى التعجب، وإنَّما تَضَمَّنَت صيغةُ الاستفهام معنى التعجب؛ لأنها طلبٌ للجواب عَمَّا حَمَلَ على الفساد مما لا صح فيه اعتذار" [٢].

حمل الواحدي رحمه الله تعالى الاستفهام على أنه ليس استفهامًا حقيقيًا، وبين أن معناه التعجب؛ لأن الخطاب لما كان موجهًا للمسلمين لم يكن المقصود طلب بيان الذي حملهم على الكفر، وإنما المقصود التعجب من صدور الكفر منهم مع أنهم يسمعون آيات الله تتلى عليهم ورسول الله ﷺ بينهم! ثم نقل عن الحسن البصري أن الآية نزلت خطاباً لمشركي العرب، ثم ذكر أن الاستفهام على هذا القول يكون معناه توبيخ الكافرين على كفرهم بعد نصب الحجة وبعثة الرسول ﷺ [٣] ، يظهر هنا جليًا كيف تغير معنى الاستفهام بتغير معنى السياق والمقصود به.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٣٦/٥.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٥ / ٤٦٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٥/ ٤٦٢-٤٦٣.

فمعنى الاستفهام – في حال كون السياق في خطاب المسلمين – يختلف عن معناه في حال كون السياق في خطاب المشركين، فعناية الواحدي رحمه الله تعالى بتوجيه معنى الاستفهام على القولين الواردين في الآية دليل واضح على عنايته بالسياق في توجيه الأساليب العربية الواردة في التعبير القرآني. ويبدو لي أن الواحدي رحمه الله تعالى يرجح كون الخطاب للمؤمنين؛ ولذلك قدمه على القول الثاني بصيغة الجزم ؛ وذلك لأن الله تعالى قال في الآية التي قبل هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ثم قال الله تعالى بعدها مباشرة في هذه الآية: ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ ﴾ السياق متصل؛ لذلك يكون الخطاب موجهًا للقوم أنفسهم.

قال الزمخشري موافقًا للواحدي رحمهم الله تعالى في تفسيره: "وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب، والمعنى: من أين يتطرق إليكم الكفر والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين أظهركم رسول الله ﷺ ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم" (١)، وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: "ثم وقف تعالى المؤمنين على هذا الأمر المستبعد المستشنع الذي يريده بهم اليهود، فقال وكيف تكفرون وأنتم بهذه الأحوال الموصوفة؟ وكيف في موضع نصب على الحال، كما هي في قوله تعالى : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ ﴾[البقرة جزء من الآية : ٢٨] والمعنى أجاحدين تكفرون؟" (٢) ، وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: "هذا سؤال استبعاد وقوع الكفر منهم مع هاتين الحالتين: وهما تلاوة كتاب الله عليهم وهو القرآن الظاهر الإعجاز، وكينونة الرسول فيهم الظاهر على يديه الخوارق. ووجود هاتين الحالتين تنافي الكفر ولا تجامعه، فلا يتطرق إليهم كفر مع ذلك. وليس المعنى أنه وقع منهم الكفر فوبخوا على وقوعه ؛ لأنهم مؤمنون، ولذلك نودوا بقوله: يا أيها الذين آمنوا. فليس نظير قوله: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ ﴾[البقرة جزء من الآية : ٢٨]" ثم قال: "وذكروا في هذه الآيات من فنون البلاغة والفصاحة: الاستفهام الذي يراد به الإنكار في لم تكفرون لم تصدون وكيف تكفرون" (٣)، وأرى أن ما ذكره أبو حيان لا يبعد عن ما قاله الواحدي والزمخشري رحمهم الله تعالى في معنى الاستفهام الوارد في الآية؛ ذلك أن التعجب في بعض الأحيان يستلزم الإنكار والتوبيخ كما هو ظاهر، فإن من أسباب التعجب أن يقع ما لا ينبغي وقوعه ويصدر عن إنسان ما يستبعده المتكلم. والله تعالى أعلم.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٣٩٣/١.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٨٢/١.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٢٨٢– ٢٨٣.

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النساء: ١٠٩].

في الآية استفهامان: الأول في قوله تعالى ﴿ فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ؛ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن معنى هذا الاستفهام النفي؛ لأن جوابه لا يصح إلا بالنفي، والمراد التقريع والتوبيخ لمن جادل عن الخائنين، ثم نقل عن الزجاج (١) قوله: "كأنه قيل لهم: إن يقع الجدال في الدنيا عن أمر هذا السارق فيوم القيامة لا ينفع فيه جدال ولا شهادة؛ لأنه اليوم الذي يؤخذ فيه بالحقائق" (٢). نلاحظ الواحدي رحمه الله تعالى هنا حمل الاستفهام على أنه نفي، والمراد به التوبيخ والتقريع؛ لأن سياق الكلام في هذه الآية والآيات السابقة لها وارد في قصة حدثت، وهي أن طعمة بن أبيرق سرق درعاً، ثم رمى بها يهودياً، فلما طلبت عنده الدرع أحال على اليهودي فرماه بالسرقة، فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهودي وأتوا رسول الله ﷺ ، فسأل قوم طعمة النبي ﷺ أن يجادل عن صاحبهم وأن يبرئه، وقالوا: إنك إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، فهمَّ النبي ﷺ أن يفعل وأن يعاقب اليهودي (٣). فهذه الآية واردة في قوم طعمة الذين أرادوا أن يجادلوا عن صاحبهم السارق ليبرئوه.

وبناءَ على هذا السياق لا يمكن أن يكون الاستفهام حقيقيًا، بل هو نفي أخرج مخرج الاستفهام؛ لإفادة التوبيخ والتقريع لأولئك القوم الذين أرادوا المجادلة عن السارق.

الاستفهام الثاني في قوله تعالى : ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ ، قال الواحدي رحمه الله تعالى : "عطف على استفهام معناه النفي؛ فهذا أيضاً يكون بمعنى النفي، أي: لا يكون يوم القيامة عليهم وكيل يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم" (٤). حمل الواحدي رحمه الله تعالى الاستفهام هنا على النفي أيضاً استدلالاً بالسياق، إذ عُطف هذا الاستفهام على استفهام سبقه، ولما كان الاستفهام الأول معناه النفي فكذلك هذا؛ لأن الأصل أن الاستفهام المعطوف بمعنى الاستفهام المعطوف عليه.

قال القرطبي: "استفهام معناه الإنكار والتوبيخ ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الوكيل: القائم بتدبير الأمور، فالله تعالى قائم بتدبير خلقه. والمعنى: لا أحد لهم يقوم بأمرهم إذا أخذهم الله بعذابه وأدخلهم النَّار" (٥)، وقال أبو حيان: "ومعنى هذا الاستفهام النفي، أي: لا أحد يجادل الله عنهم يوم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٢/ ١٠٢.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ٧٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٧/ ٦٩، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٧/ ٤٦٢.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/٧٩-٨٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن : ٥/ ٣٧٩ ، و ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٧/ ٩.

القيامة إذا حل بهم عذابه. والوكيل: الحافظ المحامي، والذي يكل الإنسان إليه أموره. وهذا الاستفهام معناه النفي أيضا، كأنه قال: لا أحد يكون وكيلا عليهم فيدافع عنهم ويحفظهم. وهاتان الجملتان انتفى في الأولى منهما المجادلة، وهي المدافعة بالفعل والنصرة بالقوة" (١).

النموذج الثالث: قوله تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الانعام :٥٣].

يقول جل ذكره مخاطبًا رسوله ﷺ مسليًا له:كما ابتلينا الامم السابقة من قوم نوح وصالح عليهم السلام حيث ابتلينا القوي بالضعيف والغني بالفقير والرئيس بالمولى فقالوا: لا نؤمن كما آمن الضعفاء منا ومن تحت ولايتنا استهزاءً وسخرية فقالوا ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ يعني: الضعفاء والفقراء قال الواحدي رحمه الله تعالى : "والاستفهام معناه: الإنكار كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خُصُّوا بمِنَّة، فقال الله تعالى :﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾، أي: بالذين يشكرون نعمته إذا منّ عليهم بالهداية ، أي: إنما يهدي إلى دينه من يعلم أنه يشكر نعمته، هذا معنى قول المفسرين ، والاستفهام في قوله تعالى :﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ ﴾ تقرير، أي: إنه كذلك" (٢).

نجد هنا أن الواحدي رحمه الله تعالى صرف الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ إلى معنى الإنكار، وذلك ؛ لأن السياق يقتضي هذا التفسير، وهذا ظاهر في قوله تعالى قبله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ ، إذ إن هذه العبارة تدل على أن الله تعالى جعل إيمان الضعفاء والفقراء فتنة للرؤساء ووجهاء القوم من المتكبرين الطغاة، فهذا الصنف من الناس من شأنه أن ينكر سبق الفقراء والضعفاء بالفضل، فسياق الآية في بيان موقف الطغاة والمتكبرين من إيمان الفقراء والضعفاء وأثر هذا الإيمان عليهم. وحمل الاستفهام في قوله ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ على معنى التقرير بمعنى إقرار أن الله تعالى يعلم بمن شكره وهو تعالى كذلك.

وقال الطبري رحمه الله تعالى: "اختبرنا الناس بالغنى والفقر، والعز والذل، والقوة والضعف، والهدى والضلال، كي يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحق للذين هداهم الله ووفقهم: أهؤلاء من الله عليهم بالهدى والرشد وهم فقراء ضعفاء أذلاء من بيننا ونحن أغنياء أقوياء استهزاء بهم، ومعاداة للإسلام وأهله؟ يقول تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٣] ، وهذا منه تعالى إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق، وخذلهم عنه

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٥٩/٤.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٧٣/٨.

وهم أغنياء، وتقرير لهم: أنا أعلم بمن كان من خلقي شاكرا نعمتي ممن هو لها كافر، فمني على من مننت عليه منهم بالهداية جزاء شكره إياي على نعمتي، وتخذلي من خذلت منهم عن سبيل الرشاد عقوبة كفرانه إياي نعمتي، لا لغنى الغني منهم، ولا لفقر الفقير؛ لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحد إلا جزاء على عمله الذي اكتسبه لا على غناه وفقره" (١).

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين: أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا، ونحن المقدمون والرؤساء، وهم العبيد والفقراء، إنكارًا ؛ لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير، ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا، ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك: خذلناهم فافتتنوا، حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول ؛ لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣ ﴾ ، أي : الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان. وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق" (٢).

النموذج الرابع: قوله تعالى : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١ ﴾ [يونس : ٥١]

أشار الواحدي رحمه الله تعالى إلى أن ألف الاستفهام [أي: همزة الاستفهام] للدلالة على التقرير والتوبيخ، إذ يقول: "دخول ألف الاستفهام على (ثم) للتقرير والتوبيخ (٣)"، ولعل بهذا الإقرار إيصالاً لرسالة مفادها اعتراف من المقابل بجرم صدر منه فلا يحتج ولا يعترض على الجزاء الذي سيكون عليه وسياق الآيات التي قبلها ـ ومنها إنكار يوم القيامة وما يقع فيه من عذاب من قِبَلهم ـ يدل على أنه أراد أن يقرر في أنفسهم حقيقة أن هذا الإنكار لذلك العذاب يرتفع ويتبدل إلى إيمان به عندما يقع عليهم بحيث تقر به نفوسهم وسرائرهم، فجاء باستفهام يتركب من الهمزة و(ثم) العاطفة؛ ليناسب ذلك الإقرار والتوبيخ على إنكارهم، ثم فسر الواحدي رحمه الله تعالى الجواب بما يناسب السؤال فقال: إنَّ الله تعالى قال مقرراً وموبخاً لهم: ألآن تصدقون وتؤمنون وكنتم تستعجلون العذاب مستهزئين ومكذبين ومعاندين للحق ؟!! فلا يقبل إيمانكم (٤). وقريب منه قول الطبري رحمه الله تعالى: "أهنالك إذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به، يقول: صدقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق، وقيل لكم حينئذ: الآن تصدقون به، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون، وأنتم

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩/٢٧١.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/٢٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٦/٤٣٤، والبحر المحيط في التفسير:٤/٥٢٥.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١١/ ٢٢٢.

(٤) ينظر : المصدر نفسه .

بنزوله مكذبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذبون. ومعنى قوله:﴿ أَثُمَّ ﴾ في هذا الموضع: أهنالك وليست «ثم» هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف" [(١)].

وقال ابن عطية: "وقوله أثم إذا ما وقع الآية، عطف بقوله ثم جملة القول على ما تقدم ثم أدخل على الجميع ألف التقرير، ومعنى الآية: إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به حينئذ، وذلك غير نافعكم بل جوابكم الآن وقد كنتم تستعجلونه مكذبين به" [(٢)]. وقال القرطبي: "في الكلام حذف، والتقدير: أتأمنون أن ينزل بكم العذاب ثم يقال لكم إذا حل: الآن آمنتم به؟ قيل: هو من قول الملائكة استهزاء بهم. وقيل: هو من قول الله تعالى ، ودخلت ألف الاستفهام على" ثم" والمعنى: التقرير والتوبيخ، وليدل على أن معنى الجملة الثانية بعد الأولى. وقيل: إن" ثم" ها هنا بمعنى:" ثم" بفتح الثاء، فتكون ظرفا، والمعنى: أهنالك، وهو مذهب الطبري [(٣)] ، وحينئذ لا يكون فيه معنى الاستفهام" [(٤)].

النموذج الخامس: قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الاعراف : ٩٣]؛

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في معنى التولي قولين: الأول بمعنى الخروج، أي: خرج من بينهم وقت نزول العذاب، والثاني بمعنى الإعراض، أي: أَعرضَ عن دعوتهم ومحاولة هدايتهم يائساً من إيمانهم وتصديقهم به حين نزول العذاب بهم بعد أن كان شعيب عليه السلام مقبلاً عليهم بالوعظ والإرشاد فاشتد حزنه عليهم فأنكر على نفسه الحزن والأسى قائلاً :﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾، أي: كيف يشتد حزني عليهم بعد دعوتهم فخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الانكار؛ لذلك قال الواحدي رحمه الله تعالى: "استفهام معناه الإنكار" [(٥)].

حمل الواحدي رحمه الله تعالى الاستفهام في قوله ﴿ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ ﴾ على معنى الإنكار؛ لاقتضاء السياق هذا المعنى؛ يدل على ذلك قوله تعالى ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾

فإن من تولى عن قوم لا يأسى عليهم ولا يحزن، وعزز هذا المعنى بقوله: ﴿ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ فكأنه قال لهم: أنا أديت ما أوجبه الله عليَّ تجاهكم، فإن أصريتم على مخالفة أوامر الله وبقيتم على كفركم فإنني لا أسى على الكافرين.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩٠/١٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٢٤/٣.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٧١/٩

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٣٥١/٨، وينظر: مفاتيح الغيب :٢٦٣/١٧.

(٥) يُنظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢٤١/٩.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال: فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعنى أنه لا يأسى عليهم ؛لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى" (١). قال الرازي رحمه الله تعالى: "في الآية قولان: القول الأول: أنه اشتد حزنه على قومه ؛ لأنهم كانوا كثيرين، وكان يتوقع منهم الاستجابة للإيمان، فلما أن نزل بهم ذلك الهلاك العظيم، حصل في قلبه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الألفة. ثم عزى نفسه وقال: فكيف آسى على قوم كافرين ؛ لأنهم هم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر، والقول الثاني: أن المراد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم، فلم تسمعوا قولي، ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم يعني أنهم ليسوا مستحقين بأن يأسى الإنسان عليهم" (٢).

النموذج السادس: قوله تعالى :﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾ [الاعراف :١٥٥].

فقوله تعالى : ﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ نقل الواحدي رحمه الله تعالى عن الفراء (٣) أنه قال: ظن موسى عليه السلام أنهم أُهلكوا باتخاذ أصحابه العجل، فقال: ﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ ، يعني: عَبَدة العجل، وإنما أهلكوا لمسألتهم الرؤية وقولهم : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ [النساء جزء من الآية: ١٥٣]، وهذا قول الكلبي وجماعة. وذكر الواحدي رحمه الله تعالى أنه لا يجوز أن يُظن بموسى عليه السلام أنه يظن أن الله عز وجل يهلك قومًا بذنوب غيرهم، قال: "ولكن قوله: ﴿ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾ استفهام على تأويل الجحد" وأراد: لست تفعل ذلك كما تقول: أتهين من يكرمك؟ أي: لست تهين من يكرمك، وذكر أن هذا قول ابن الأنباري، وعلى هذا أنكر موسى عليه السلام أن يكون سبب إهلاكهم فعل السفهاء، وكأنه لم يعلم سبب إهلاكهم، وأنكر أن يكون فعل السفهاء سبب الإهلاك. وقال المبرد (٤): (هذا استفهام استعطاف أي: لا تهلكنا) (٥).

في هذا الكلام نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى اعتنى بتوجيه الاستفهام بما يلائم السياق، فإن هذا الاستفهام ذُكر في سياق كلام رسول الله موسى عليه السلام ، ولهذا لا يمكن أن يكون هذا الاستفهام

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٣١/٢، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٣١/٢.

(٢) مفاتيح الغيب : ٣٢٠/١٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء :٣٩٥/١.

(٤) زاد المسير في علم التفسير: ٢/ ١٥٩.

(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٣٨٩/٩-٣٩٠.

حقيقيًا؛ لأنه لا يمكن لرسول كريم من أولي العزم من الرسل أن يظن بالله أنه يعذب أناسًا بذنوب لم يرتكبوها بل ارتكبها غيرهم، فذكر توجيه ابن الأنباري أن الاستفهام هنا معناه النفي، ويبدو لي أنه يرجحه ويميل إليه؛ لأنه قدمه وفصَّل القول فيه. ثم نقل قول المبرد أن هذا الاستفهام معناه الدعاء، أي: لا تهلكنا.

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "ومقصود الاستفهام في قوله:" أتهلكنا" الجحد، أي : لست تفعل ذلك وقيل: معناه الدعاء والطلب، أي : لا تهلكنا، وأضاف إلى نفسه. والمراد القوم الذين ماتوا من الرجفة " [1]. وقال أبو حيان: "أتهلكنا بما فعل السفهاء منا قيل: هذا استفهام على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطاف وتذلل والضمير المنصوب في أتهلكنا له وللسبعين وبما فعل السفهاء فيه الخلاف مرتبا على سبب أخذ الرجفة من طلب الرؤية أو عبادة العجل أو قولهم قتلت هارون أو تشططهم في الدعاء أو عبادتهم بأنفسهم العجل، وقيل: الضمير في أتهلكنا له ولبني إسرائيل وبما فعل السفهاء أي بالتفرق والكفر والعصيان يكون هلاكهم، وقال الزمخشري [2] رحمه الله تعالى يعني نفسه وإياهم ؛ لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفهًا وجهلًا والذي يظهر لي أنه استفهام استعلام أتبع إهلاك المختارين وهم خير بني إسرائيل بما فعل غيرهم إذ من الجائز في العقل ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾" [3].

النموذج السابع: قوله تعالى :﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٣﴾ [الاعراف :١٦٣]

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل اليهود سؤال إقرار وتوبيخ لهم على ما كان منهم في أمر القرية من فاحش الخطيئة وشنيع السيئة، مع علمه بما افتروه من الخطايا والآثام كما تقول لمن جفاك: هل شتمتُكَ؟ هل ضربتُكَ؟ وأنت تعلم أنكَ لم تفعل، وإنما تسأله لتُقرره وتوبخه، ثم بين الواحدي رحمه الله تعالى نوع الاستفهام بقوله: "ومعنى سؤال النبي ﷺ أهل الكتاب عن هذه القرية وقد أخبره الله بقصتها: تقريرهم بقديم كفرهم، وسلوكهم مسلك أسلافهم في المخالفة وارتكاب المعصية وأن يُعْلِمَهم ما لا يُعْلَم إلا بكتاب أو وحي. وهذا معنى قول المبرد والزجاج وغيرهما" [4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٥/٧.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ١٦٤.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٥/ ١٨٩.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤٠٧/٩.

السياق يقتضي حمل السؤال هنا على معنى التقرير والتوبيخ؛ لأن أمر الله ﷻ لنبيه ﷺ بسؤال اليهود يمنع حمل السؤال على الاستعلام، كما هو معلوم، ولا سيما أن الآية وردت في سياق حكاية جرائم اليهود ومظاهر كفرهم وعنادهم لأنبياء الله تعالى .

قال القرطبي رحمه الله تعالى: "أي: واسأل اليهود الذين هم جيرانك عن أخبار أسلافهم وما مسخ الله منهم قردة وخنازير. هذا سؤال تقرير وتوبيخ. وكان ذلك علامة لصدق النبي ﷺ ، إذ أطلعه الله على تلك الأمور من غير تعلم. وكانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه،" [(١)].

وقال ابن عادل : "قوله تعالى : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ الآية. المقصود تعرف هذه القصة من قبلهم؛ لأن الرسول ﷺ قد علمها من قِبل الله ﷻ، والمقصود من ذكر هذا السؤال أحد أشياء: الأول: المقصود منه تقرير أنهم كانوا قد أقدموا على هذا الذنب القبيح تنبيها لهم على إصرارهم على الكفر بمحمد ﷺ . والثاني: أن الإنسان قد يقول لغيره هل الأمر كذا وكذا؟ ليعرف ذلك بأنه محيط بمعرفة تلك الواقعة وغير غافل عنها. ولما كان النبي ﷺ رجلا أميا لم يعلم علما، ولم يطالع كتابا، ثم إنه يذكر هذه القصص على وجوهها من غير تفاوت ولا زيادة ولا نقصان، كان ذلك جاريا مجرى المعجزة" [(٢)].

النموذج الثامن: قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة جزء من الآية: ١١١]

قال الواحدي رحمه الله تعالى "وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد بوعده، وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا أحد أوفى بما وعد من الله تعالى " [(٣)].

هنا نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى حمل الاستفهام الوارد في الآية على الإنكار والنفي؛ لأن سياق الآية يدل على أن هذا الاستفهام ليس استفهاماً حقيقياً؛ فقوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ ﴾ فيه دلالة على أن معنى الاستفهام هو النفي، فمعنى الآية: لا أحد أوفى بما وعد من الله ﷻ، وقد وعد الله المحسنين بالحسنى فاستبشروا...

قال الزمخشري رحمه الله تعالى "ومن أوفى بعهده من الله ؛ لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم، فكيف بالغنى الذي لا يجوز عليه القبيح قط، ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ" [(٤)]، وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: "استفهام على جهة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٧/ ٣٠٤.

(٢) اللباب في علوم الكتاب : ٩/ ٣٥٦.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١١ / ٦٦ .

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٢/٣١٤.

التقرير، أي: لا أحد أوفى بعهده من الله،" (١)، وقال الرازي رحمه الله تعالى: "أن نقض العهد كذب، وأيضا أنه مكر وخديعة، وكل ذلك من القبائح، وهي قبيحة من الإنسان مع احتياجه إليها، فالغني عن كل الحاجات أولى أن يكون منزها عنها. وقوله: ومن أوفى بعهده استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا أحد أوفى بما وعد من الله وهو غاية في التأكيد" (٢).

النموذج التاسع: قوله تعالى :قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس :٢]

قوله تعالى : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية نقل الواحدي رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنه والمفسرين أنهم قالوا: سبب نزولها عجبت قريش من إرسال الله محمدًا ﷺ إلى العباد، وقالوا أما وجد الله تعالى من يرسله إلينا إلا يتيم أبي طالب؟! استهزاء به ﷺ فانزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم بصيغة التوبيخ لهم ومنكرا قولهم وهذا ما عناه الواحدي رحمه الله تعالى بقوله: "والألف فيه للتوبيخ والإنكار" والمخاطبون أهل مكة من مشركي قريش، أي: أيعجب كفار مكة من إيحائنا لمحمدﷺ ؟! (٣)

هنا نجد أن الواحدي رحمه الله تعالى حمل الاستفهام على معنى التوبيخ والإنكار؛ لأن سياق الآية في ذم الكفار وموقفهم من إرسال الرسل وتعجبهم من إرسال الله ﷻ لرسل من البشر، فوبخهم الله ﷻ على ذلك وأنكر عليهم بأسلوب الاستفهام.

قال الطبري رحمه الله تعالى: "أكان عجباً للناس إيحاؤنا القرآن على رجل منهم بإنذارهم عقاب الله على معاصيه، كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله إلى مثله من البشر، فتعجبوا من وحينا إليه" (٤)، وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "والأجود أن تكون «كان» تامة، وأن أوحينا بدلا من عجب. فإن قلت: فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا؟ وما هو الفرق بينه وبين قولك: أكان عند الناس عجبا؟ قلت: معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها، ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم، وليس في عند الناس هذا المعنى، والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر، وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم" (٥)، وقال الألوسي : "إنكار لتعجبهم من سنة الله الجارية وهي الإيحاء إلى رجل، وكان ذلك لبعده عن مقامهم وعدم مناسبة حالهم لحاله ومنافاة ما جاء به لما اعتقدوه" (٦).

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٨٧ .

(٢) مفاتيح الغيب : ١٦/ ١٥٢.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١١/ ١١٧ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٢/ ١٠٦ .

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٢/ ٣٢٧.

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٦/ ٨٥.

النموذج العاشر: قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [هود :٢٨]

قال المفسرون وأهل المعاني: يقول: لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا ما أنتم له كارهون، والدليل على صحة هذا التأويل قراءة ابن عباس ﷺ "أنلزمكموها من شطر أنفسنا" يعني من تلقاء أنفسنا، قال الواحدي رحمه الله تعالى " وهذا استفهام معناه الإنكار، يعني لا نقدر على ذلك" (١) . في هذا النص حمل الواحدي رحمه الله تعالى الاستفهام الوارد في الآية على الإنكار، أي: النفي؛ لأن سياق الكلام في الآية يقتضي هذا المعنى؛ لورود عبارة ﴿ وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ بعد الاستفهام، وهي جملة في محل نصب حال من الضمير المتصل الذي هو المفعول الأول في ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ ، وهذا الحال قرينة صرفت معنى الاستفهام على الإنكار، أي: لا يمكن أن نلزمكموها والحال أنكم كارهون لها.

قال الطبري رحمه الله تعالى "أنأخذكم بالدخول في الإسلام وقد عماه الله عليكم، وأنتم لإلزامناكموها كارهون، يقول: لا نفعل ذلك، ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يكون هو الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء." (٢)، وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها، وأنتم تكرهونها ولا تختارونها، ولا إكراه في الدين؟ وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا. ويجوز أن يكون الثاني منفصلا" (٣)، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: " ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ قيل: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الهاء ترجع إلى الرحمة. وقيل: إلى البينة، أي أنلزمكم قبولها، وأوجبها عليكم؟! وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي لا يمكنني أن أضطركم إلى المعرفة بها" (٤).

النموذج الحادي عشر: قوله تعالى :﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم جزء من الآية :١٠]

قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ ﴾ الآية .قال الواحدي رحمه الله تعالى : " هذا استفهام معناه الإنكار أي لا شكَّ في الله" (٥). ثم قال: أي: لا شك في توحيد الله تعالى وقد ذكر أدلة وحدانيته من بَدْء خلق السموات والارض ودعوتكم بالرسل لتهتدوا وتصدقوا به ﷻ وهو يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى.

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤٠١/١١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٣٨٣/١٢.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣٩٠/٢ ، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ١٤٣/٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥/٩.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤١٤/١٢-٤١٥.

فبين الواحدي رحمه الله تعالى أن الاستفهام الوارد في الآية معناه الإنكار، أي: إنكار الشك في الله ﷻ، لورود وصف ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فكأنه قيل: كيف تشكون في الله الذي فطر السماوات والأرض؟! فسياق الكلام هو الذي دفع الواحدي رحمه الله تعالى إلى حمل الاستفهام على معنى الإنكار.

قال الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى ذكره: قالت رسل الأمم التي أتتها رسلها: أفي الله أنه المستحق عليكم أيها الناس الألوهة والعبادة دون جميع خلقه، شك؟" (١)، وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف، لأن الكلام ليس في الشك، إنما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم... " (٢).

النموذج الثاني عشر: قوله تعالى :﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الحجر: ٥٤]

بين الواحدي رحمه الله تعالى إنَّ إبراهيم عليه السلام بلغ من الكبر حالة لا يرجو فيها الولد، وهذا ما دفعه إلى حمل الاستفهام على التعجب من بشرى الملائكة له بالولد قائلاً: "قوله تعالى :﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾استفهام تعجب؛ كأنه عجب من الولد على كبره، هذا معنى قول مجاهد (٣)" (٤).

لا يمكن حمل الاستفهام هنا على حقيقته؛ لأن سياق الكلام يأبى ذلك؛ إذ ورد في السياق قوله ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ﴾ وهذا يدل على التعجب من حصول الولد في هذه الحالة؛ لذلك حمل الواحدي رحمه الله تعالى الاستفهام هنا على التعجب، دون المعنى الحقيقي للاستفهام.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "يعنى أبشرتموني مع مس الكبر، بأن يولد لي، أي: إن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية، دخلها معنى التعجب، كأنه قال: فبأي أعجوبة تبشرونني. أو أراد: أنكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة، فبأي شيء تبشرون، يعنى: لا تبشرونني في الحقيقة بشيء،؛لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء. ويجوز أن لا يكون صلة لبشر، ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعنى: بأي طريقة تبشرونني بالولد، والبشارة به لا طريقة لها في العادة." (٥)، وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: "وقول إبراهيم عليه السلام: فبم تبشرون تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما، أو على جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرة

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٣/ ٦٠٩.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٢/ ٥٤٢ ، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٦/ ٤١٤.

(٣) تفسير مجاهد: ٤١٦/١ .

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٦١٦/١٢.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٨١/٢ ، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٣٤٤/٥.

الدنيوية لمضي العمر واستيلاء الكبر" [1]، وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "وأكد هذا التعجب بالاستفهام الثاني بقوله: فبم تبشرون استفهام تعجب. نزل الأمر العجيب المعلوم منزلة الأمر غير المعلوم ؛ لأنه يكاد يكون غير معلوم. وقد علم إبراهيم عليه السلام من البشارة أنهم ملائكة صادقون فتعين أن الاستفهام للتعجب" [2].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٦٦/٣.

(٢) التحرير والتنوير: ٥٩/١٤ .

المطلب الثاني : أثر السياق في بيان معنى المشترك اللفظي

المشترك اللفظي: هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين أو أكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة [(١)].

يعتمد بيان معنى المشترك اللفظي اعتمادًا كبيرًا ، و يكاد يكون كليًا على السياق الذي ترد فيه المفردة، فيكون للمفردة معنى يختص بها في سياق لا يتناسب هذا المعنى مع سياق آخر. والقرآن الكريم نزل بلسان العرب وراعى عادتهم في الخطاب ومناحيهم في القول وراعى خصائص أسلوبهم، ومن خصائص كلامهم وضع اللفظة الواحدة لمعانٍ مختلفة تُعرف من السياق الواردة فيه، كلفظة "العين" تأتي بمعنى العين الباصرة وبمعنى عين الماء وبمعنى الذهب وغيرها من المعاني، ولا سبيل لتحديد المراد منها غير السياق؛ لذلك اعتمده الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره، وفيما يأتي أمثلة توضح ذلك:

النموذج الأول : قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة :٤٦]

بين الواحدي رحمه الله تعالى أن الظن من الأضداد [(٢)]؛ يأتي بمعنى الشك واليقين، قال: "والعرب تقول لليقين: ظن، وللشك: ظن؛ لأن في الظن طرفاً من اليقين..." [(٣)] ثم ذكر نصوصًا من القرآن الكريم ورد فيها الظن بمعنى اليقين، منها قوله تعالى:﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٠]

ونقل نصًا مهمًا عن أبي القاسم الزجاجي في حقيقة الظن في اللغة، فقال:

"وذكر أبو القاسم الزجاجي حقيقة الظن في اللغة، فقال: هو اعتقاد الشيء على طريقة التقدير والحدس، فإن أصاب فيما ظن صار يقينًا، وإن لم يصب كان مخطئاً في تقديره، ولهذا ذكر أهل اللغة هذه اللفظة في باب الأضداد..." [(٤)].

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى أن الظن هنا هو اليقين؛ لأنه نُسب إلى المؤمنين، والمؤمن لا يشك في لقاء ربه.

وبناءً على تفسير الظَّن الوارد في الآية باليقين حمل الواحدي رحمه الله تعالى اللقاء المذكور في الآية على معنى البعث والحساب، فقال: "ولا يمكن حمل الملاقاة في هذه الآية على المعاينة والرؤية؛ لأن أحدًا لا يستيقن أنه يرى ربه ويعاينه، بل كل واحد منا يرجو ذلك من فضل الله أن يرزقه.

---

(١) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: ٢/ ٣٧٧.

(٢) الأضداد نوع من أنواع المشترك اللفظي، وهي الألفاظ التي تدل على معانٍ متضادة. ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه : ٢/ ٤١١.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٢/ ٤٥٨-٤٥٩، و ينظر: الأضداد : ١٤.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٢/٤٦١.

وقد فسر الظن هاهنا بمعنى اليقين فيحمل اللقاء على ما فسره ابن عباس ﷺ [(١)]" [(٢)]. بمعنى أنهم على يقين أنهم سيحاسبون وهذا قول السّدي وأبي العالية ومجاهد [(٣)]. (والملاقاة) و (اللقاء) يحتمل معاني العيان والاجتماع والمحاذاة والمصير، وألقيته ، أي: طرحته. تقول: ألقه من يدك وألقِ به من يدك، وألقيت إليه المودة وبالمودة [(٤)].

مما سبق نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى راعي تناسب معاني الكلمات في السياق الواحد، فمن مميزات السياق المتناسب المتسق هو تأثر الكلمات بعضها ببعض من حيث المعنى كما يتأثر بعضها ببعض من حيث اللفظ. وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: "الظن معناه اليقين؛ لأن منْ وُصِفَ بالخشوعِ لا يشك في لقاءِ ربهِ" ونسبهُ للجمهورِ وقال: "يؤيدهُ مصحَف عبدالله: يعلمون، ولو فُسِّر بالحسبان لاحتاج إلى محذوف وهو الذُنوب، أي: يتوقعونَ لقاء رَبِّهم مذنبينَ، وهذا غير صحيح" [(٥)] نلاحظ أبا حيان استدل أيضًا بسياق الآية وذهب إلى أنَّ معنى الظَّن اليقين.

النموذج الثاني : قوله تعالى :﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [البقرة : ٩٠]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن الاشتراء من الألفاظ المشتركة، فالاشتراء يرد بمعنيين، هما الشراء والبيع، وعلى ذلك فهو من الأضداد [(٦)]؛ يقال: اشتريتُه، أي: بعته، واشتريته، وقال الله تعالى : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[يوسف: ٢٠] ، أي: باعوه. قال: "ومعنى الآية: بئس الشيء بَاعوا به أنفسهم الكفر؛ يريد: أنهم اختاروا الكُفر وأخذوه، وبذلوا أنفسهم للنَّار؛ لأن اليهود خصوصًا علموا صدق محمد ﷺ ، وأن من كذبه فالنَّار عاقبتهُ، فاختاروا

---

(١) أي البعث والرجعة، ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ١٣٢/١.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢/ ٤٦٣، وكان قد نقل قبل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ "يريد الذين يستيقنون أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون وأنهم راجعون إلى الله سبحانه" ، وينظر: مفاتيح الغيب : ٤٩١/٣، والبحر المحيط في التفسير: ٣٠٠/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ١٠٣-١٠٤ ، ويُنْظَر جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١/ ٦٢٤، والدر المنثور: ١/ ١٦٤ .

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة مادة (لقي): ٥/ ٢٦١، والمفردات في غريب القرآن مادة (لقى) : ٧٤٥، و لسان العرب مادة (ألقى) : ١٥ / ٢٥٧.

(٥) البحر المحيط في التفسير:٣٤٢/١.

(٦) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٣/ ١٤٨.

الكفرَ، وسلموا أنفسهم للنَّارِ، فكان ذلك كالبيع منهم" (١)، يعنى اليهود بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ يَقُولُ بئسما باعوا أنفسهم بعرض يسير من الدُّنْيَا مما كانوا يصيبون من سفلة اليهود من المأكل فِي كُلّ عام (٢).

وكذلك قول السُدي ومجاهد (٣)، مما دفع الواحدي رحمه الله تعالى إلى تفسير الشراء بالبيع وذكر فيه قولين: الأول أن يكون بمعنى البيع والشراء؛ لأن الله تعالى مكن المكلف من الإيمان والكفر ويكون ثمنها الجنَّة و النَّار فإذا اختار الإيمان فقد اشترى نفسه ونجاها من عذاب الآخرة وخزي الدنيا، والثاني أن يكون بمعنى البيع فقط كما تقدم (٤).

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة: ٢٠٧] فسر الواحدي رحمه الله تعالى الفعل (يشري) بالبيع أيضًا، وقال: "ومعنى بيع النفس هنا: بذلها لأوامر الله وما يرضاه" (٥).

نستنتج من هذين النصين أن الواحدي رحمه الله تعالى فسر الفعلين (يشتري) و(يشري) بالبيع، لكنه وضح معنى البيع في الموضعين بما يلائم الموضوع الذي سيق الكلام فيه. فالبيع في الآية الأولى منسوب إلى اليهود الذين اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم للنَّار، فكأنهم باعوا أنفسهم للنَّار، والبيع في النَّص الثاني منسوب إلى المؤمنين الذين بذلوا أنفسهم وسلموها لأوامر الله وما يرضاه. قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "يبيعها ،أي : يبذلها في الجهاد. وقيل: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل، وقيل: نزلت في صهيب بن سنان: أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه، فقال لهم: أنا شيخ كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضرّكم، فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي. فقبلوا منه ماله وأتى المدينة وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء" (٦) وقيل: إنها عامة لكل من باع نفسه لله تعالى في جهاد، أو صبر على دين، أو كلمة حق عند جائر، أو حمية لله، أو ذب عن شرعه، وغيره (٧).

---

(١) المصدر نفسه: ٣/ ١٤٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان :١/ ١٢٢ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢/ ٢٤٦– ٢٤٧.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب : ٢/ ٢٨١.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٤/ ٨٢.

(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ٢٥١.

(٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٢٧٣.

النموذج الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [البقرة : ٣٥]

قال الواحدي رحمه الله تعالى : "السكن مشترك لفظي؛ يقال: أسكنه: منعه من الحركة، وأسكنه مكان كذا: جعل له مأوى ومنزلاً. وهذه الآية أمر لهما بالثبات، وتأويله: (اثبتا) فثبتا، فأزالهما الشيطان، فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه" [١].

فسر الواحدي رحمه الله تعالى السكن الوارد في الآية بالثبات والاستقرار واتخاذ الجنَّة مأوى ومستقرًا ؛ وذلك لأن السياق يقتضي هذا المعنى، إذ قوبل السكن بالزوال، فهذا يعني أن السكن هو الثبات والاستقرار. وفسرَ الفعل "زلَّ" بما يوافق الفعل سكن، فذكر أن "زل" له معنيين: الأول أن يكون معناه أن الشَّيطان حملهما على المعصية ودفعهما إليها والدليل عليهِ ما جاء في التنزيل﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠] أغراهُما بالمعصية فأزلهما عن الطاعة فيكون أزل واستزل بمعنى واحد كخلف واستخلف وأجاب واستجاب ثم حمل(عن) معنى (على) ، أي : حملهُما على المعصية لتكون الالفاظ متوافقةَ المعاني.

والوجه الثاني في معنى أزلَ عثرَ يُقال زلت قدَّمَهُ أي عثرت واختاره الواحدي رحمه الله تعالى لأنه يقابل السكن والثبات والاستقرار، قال الواحدي : "ويدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا ﴾ فكما أن خروجه عن الموضع الذي كان فيه انتقال منه إلى غيره،" [٢] الخروج يكون من مكان لآخر والشَّيطان زين لهُما المعصية وأخرجهما من الجنَّة بعدما أذِنَ اللهُ لهما بالإقامةِ والاستقرارِ فيها ولزومها مؤكد الضمير المستتر بضميرٍ ظاهر أنتَ [٣].

النموذج الرابع : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة :١٤٤]

بين الواحدي رحمه الله تعالى أن التولي من الاضداد؛ يكون بمعنى أقبل وبمعنى أدبر حسب السياق الوارد فيه، كقولنا انصرف إلي بمعنى هلم إلي، وانصرف عني، أي: أبعد عني. ثم ذكر

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢/٢٧٧-٢٩٢، وينظر: الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٩٩.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣٩٢/٢.

(٣) يُنظَر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٢٦، و الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٩٨، و البحر المحيط في التفسير: ١/ ٢٥٢.

المواضع التي يكون فيها التولي بمعنى الإدبار منها قوله تعالى :﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[البقرة جزء من الآية: ٨٣]، بمعنى انصرفتم عن الحق وأعرضتم.

ومن المواضع التي يكون التولي فيها بمعنى الإقبال قوله تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾ ، أي: أقبل وجهك نحوه ؛ لأنه تعالى قال:﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ ، أي: نحوه واتجاهه (١).

هنا نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى فسر فعل الأمر ﴿ فَوَلُّوا۟ ﴾ بمعنى أقبلوا بوجوهكم نحو واتجاه البيت الحرام، والذي حمله على ذلك هو سياق الكلام الذي ورد فيه ﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ ، فالشطر عند أهل اللغة بمعنى النحو، يقال: ولِّ وجهك نحو الموضع وشطره وتلقاءه، كلها بالمعنى نفسه، أي: اقبل اتجاهها (٢).

قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "استقبل بوجهك في الصلاة نحو الكعبة" (٣) كان النبي ﷺ يرغب في تحول القبلة إلى الكعبة ؛ لأنه أدعى لقومه فدعي الله تعالى ان يحول القبلة إلى البيت الحرام فاستجاب الله دعائه وأمره أن يتجه وينصرف بوجهه نحو البيت الحرام وذهب إلى هذا القول أبي العالية وابن عباس ومجاهد وقتادة ﷺ (٤).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى "تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء. وكان رسول الله ﷺ يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة ؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأدعى للعرب إلى الإيمان ؛لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم؛ ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبريل عليه السلام والوحى بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها، من قولك: وليته كذا. إذا جعلته واليا له، أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه" (٥)، وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: "اعلم أن قوله: قد نرى تقلب وجهك في السماء فيه قولان: القول الأول: وهو المشهور الذي عليه أكثر المفسرين أن ذلك كان لانتظار تحويله من بيت المقدس إلى الكعبة، والقائلون بهذا القول ذكروا وجوها. أحدها: أنه كان يكره التوجه إلى بيت المقدس، ويجب التوجه إلى الكعبة، ألا أنه ما كان يتكلم بذلك فكان يقلب وجهه في السماء لهذا المعنى. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «يا جبريل وددت أن الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها فقد كرهتها» فقال له جبريل: «أنا

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/ ٣٨٨ – ٣٨٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٣/ ٣٨٩.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٢ / ٢٣.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٥٩/٢– ٦٦٠ ، وينظر : تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم :٢٥٣/١–٢٥٤ ، و الدر المنثور: ٣٥٤/١.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/ ٢٠٢.

عبد مثلك فاسأل ربك ذلك» فجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء مجيء جبريل بما سأل فأنزل الله تعالى هذه الآية" (١) فسبب النزول يدل على أن معنى التولي الاقبال. سواء كان حبه ﷺ لها لكونها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام أو كراهة موافقة اليهود في قبلتهم فكلا السببين يدل على رغبته في التوجه إلى الكعبة واتخاذها قبلة .

النموذج الخامس : قال تعالى : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: جزء من الآية : ٢٨٢]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى (فتذكر) (٢) قرئ بالتشديد (فتُذَكِّرَ) والتخفيف (فتُذْكِرَ) (٣)، وقد بين أن كلتا القراءتين معناهما واحد، قال: "وعامة المفسرين على أن هذا التذكير و الإذكار من النسيان" (٤). ثم ذكر أنه روي عن سفيان بن عيينة (٥) أنه فسر قوله تعالى : ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ بمعنى: أنها إذا شهدت مع أخرى صارت شهادتهما كشهادة ذَكَر (أي: كشهادة رجل) (٦)، وضعف الواحدي رحمه الله تعالى هذا التفسير لأسباب منها أنه قوبل في الآية بقوله تعالى ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ﴾ ومعنى الضلال هنا النسيان، والذي ينبغي أن يعادله هو ما يقابل النسيان من التذكير (٧).

وفي هذا يظهر لنا أن الواحدي رحمه الله تعالى رفض التفسير المروي عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى استنادًا إلى سياق الآية، لتتناسب تعابيرها، وتتناسق تراكيبها. فرجح معنى الذِّكْر ضدَّ النسيان على الذَّكَر ضدَّ الانثى.

وهذا يوافق قول الطبري رحمه الله تعالى: "وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه، فتأويل خطأ لا معنى له لوجوه شتى: أحدها: أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل، والثاني: أنه معلوم بأن ضلال إحدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها إنما هو خطوها عنها بنسيانها

---

(١) مفاتيح الغيب : ٤/٩٤.

(٢) فقرأ حمزة وحده {أن تضل} بكسر الألف {فتذكر} بتشديد الكاف ورفع الراء وقرأ الباقون {أن تضل} بفتح الألف {فتذكر} منصوبة الراء غير أن ابن كثير وأبا عمرو قرآ {فتذكر} خفيفة منصوبة الراء ينظر: كتاب السبعة في القراءات : ١٩٣، و الحجة في القراءات السبع :١٠٤ ، و الحجة للقراء السبعة :٢/ ٤١٩ .

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ٤/ ٥٠٠.

(٤) المصدر نفسه: ٤/ ٥٠١.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/ ٨٩ ، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن :٢/ ٢٩٥ ، وفي زاد المسير في علم التفسير: ١/ ٢٥١ معناهُ .

(٦) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :٥٠١/٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٥٠٢.

إياها كضلال الرجل في دينه إذا تحير فيه فعدل عن الحق، وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكرا معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها؟ فالضالة منهما في شهادتها حينئذ لا شك أنها إلى التذكير أحوج منها إلى الإذكار، إلا إن أراد أن الذاكرة إذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها ستجرئها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته" [1] واستدل الطبري رحمه الله تعالى بإجماع المفسرين وسياق النص. وقال الثعلبي عن قول بن عيينة رحمهم الله تعالى: "قلت: هذا القول لا يعجبني؛ لأنه معطوف على النسيان والله أعلم" [2]، وقال عنه الزمخشري رحمه الله تعالى: "ومن بدع التفاسير: فتذكر، فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا، يعنى أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر إذا ما دعوا ليقيموا الشهادة" [3].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥/ ٩١.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٢/٢٩٥.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/٣٢٦.

الفصل الرابع

توظيف الواحدي رحمه الله تعالى للسياق في الاحتجاج للقراءات القرآنية

علم القراءات : هوعلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة [١]

المبحث الأول : ذكر معنى القراءة من السياق بدون التصريح باختياره للقراءة على غيرها.

نِيَ الواحدي رحمه الله تعالى بالقراءات، كغيره من علماء اللغة والتفسير، وقد احتلت القراءات مساحة واسعة من تفسيره البسيط، فذكر القراءات الواردة في الآيات التي يفسرها، ولم يقتصر على القراءات المتواترة، بل ذكر القراءات الشاذة في بعض الأحيان.

كما إن الواحدي رحمه الله تعالى لم يقتصر على ذكر القراءات، بل عُنِي بتوجيهها والاحتجاج لها، ومن بين الأسس التي اعتمد عليها في توجيه القراءات والاحتجاج لها: السياق الذي وردت القراءات فيه، فنرى الواحدي رحمه الله تعالى يذكر موافقة بعض القراءات لظاهر السياق الذي وردت فيه، ثم يوجه ويوضح القراءات التي تخالف ظاهر سياق الآيات، ويبين معانيها،

وفيما يأتي بعض النماذج لذلك:

النموذج الأول: قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: جزء من الآية : ٨٣]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى "تعبدون" قرئ بالتاء في أوله على صيغة الخطاب، وقرئ "يعبدون" بالياء على صيغة الغيبة [٢]، وكلتا القراءتين سبعيتان متواترتان [٣].

ثم ذكر الواحدي رحمه الله تعالى حجة كل من القراءتين، فذكر أن حجة من قرأ (تعبدون) قوله تعالى في آل عمران:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾[آل عمران جزء من الآية : ٨١] [٤]

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ٩.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/ ١٠٦.

(٣) قرأ بالياء (يعبدون) ابن كثير وحمزة والكسائي، وقرأ بالتاء (تعبدون) أبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر، ينظر :السبعة في القراءات : ١٦٢، والحجة في القراءات السبع :٨٣ ، والنشر في القراءات العشر: ٢١٨/٢.

(٤) ويعني الواحدي أن سياق آية آل عمران كسياق الآية التي هو بصدد الحديث عنها، وآية آل عمران لم ترد فيها إلا قراءة واحدة بصيغة الخطاب، فهذا مما يقوي قراءة (تعبدون) في آية البقرة.

قال: "ويقويه قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ الآية، فإذا كان هذا خطابًا وهو عطف على ما تقدم وجب أن يكون المعطوف عليه في حكمه" (١).

في هذا النص يظهر لنا جليًا أن الواحدي رحمه الله تعالى وظف ما ورد في سياق الآية، وأوضح أن قوله تعالى ﴿ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ صريح في الخطاب، وهو معطوف على قوله ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ والأصل أن يشارك المعطوفُ عليه المعطوفَ في صيغة الخطاب، فتكون قراءة ﴿ تَعْبُدُونَ﴾ أقرب إلى السياق، وبها يتسق الكلام.

ثم ذكر أن حجة من قرأ "يعبدون" بالياء قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ ..﴾ [الأنفال جزء من الآية : ٣٨] ، وهو يعني بذلك أن التركيب الذي وردت فيه صيغة الغيبة ورد ما يماثله في الأنفال ؛ ولذلك قال الواحدي رحمه الله تعالى بعد ذلك بيانًا لصحة القراءتين نقلاً بعد أن بين صحتهما من حيث اللغة قبل ذلك: "وكل واحد من المذهبين قد جاء التنزيل به" (٢).

وذكر الواحدي رحمه الله تعالى تأكيداً على أهمية السياق في توجيه القراءات أن قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾[البقرة جزء من الآية: ٨٤] لا يجوز فيه إلا صيغة الخطاب؛ لأن المأخوذ ميثاقهم مخاطبون، فلكون السياق السابق للفعل خطابًا وجب أن يكون الفعل بصيغة الخطاب. وكذلك السياق اللاحق (٣).

والقراءتان عند الطبري رحمه الله تعالى سواء؛ لأنها إخبار عن غائب كقولك مخبرًا عن أخي: استحلفتُ أخاك لَيَقومَنَّ، أخبرتَ عنه بصيغة الغيبة. لأنه غائب ويمكن أن تخبر عنه بصيغة المخاطب فتقول: استحلفتُهُ لَتَقومَنَّ، لأنك خاطبته وأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف فكلاهما صحيح جائز (٤). وقال الرازي رحمه الله تعالى: "ووجه التاء أنهم كانوا مخاطبين والاختيار التاء" (٥)، وقال العكبري رحمه الله تعالى: "يقرأ بالتاء على تقدير: قلنا لهم لا تعبدون، وبالياء؛ لأن بني إسرائيل اسم ظاهر، فيكون الضمير وحرف المضارعة بلفظ الغيبة ؛ لأن الأسماء الظاهرة كلها غيب" (٦).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/ ١٠٦ – ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣/ ١٠٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٨٨/٢.

(٥) مفاتيح الغيب : ٥٨٥/٣.

(٦) التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٨٣ .

النموذج الثاني: قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٧٤].

قال الواحدي رحمه الله تعالى: "وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ اختلف القراء في مثل هذا [١]، فقرؤوا بالياء والتاء. والقول في جملة ذلك أن ما كان قبله خطابٌ جُعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب مثله، كقوله: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ ثم قال:﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ فالتاء هاهنا حسن؛ لأن المتقدم خطاب، ومن قرأ بالياء فمعناه: ما الله بغافل عما يعمل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصّتَهم أيها المخاطبون. وأما إذا كان قبله غيبة [٢] حَسُنَ أن يعني به الذين غيّروا أحكام التوراة وبدّلوا الحرام بالحلال، وغيروا آية الرجم وصفة محمد ﷺ " [٣].

وظاهرٌ في هذا النص اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى على سياق الآيات في توجيه القراءات الواردة فيها، وأنه يميل إلى القراءات التي توافق ظاهر السياق بدون تأويل، مع قبوله للقراءات الأخرى. فإذا كان سياق الآيات بالخطاب حَسُنَ اختتامها بالخطاب، وإذا كان سياق الآيات بالغيبة حَسُنَ اختتامها بالغيبة ليتسقَ الكلامُ ويوافقَ بعضُهُ بعضًا.

ورجح الطبري رحمه الله تعالى قراءة الغيبة بقوله : "وأعجب القراءتين إليَّ قراءة من قرأ بالياء إتباعا لقوله: ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ٨٥] ولقوله: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ٨٥]؛ لأن قوله: (وما الله بغافل عما يعملون) إلى ذلك أقرب منه إلى قوله: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ٨٥] فإتباعه الأقرب إليه أولى من إلحاقه بالأبعد منه. والوجه الآخر غير بعيد من الصواب. وتأويل قوله: وما الله بساه عن أعمالهم الخبيثة، بل هو محص لها وحافظها عليهم حتى يجازيهم بها في الآخرة ويخزيهم في الدنيا فيذلهم ويفضحهم" [٤]، فرجح قراءة الغيبة اعتباراً بسياق الآية التي بعدها.

---

(١) يعني قراءة (تعملون) قرأ ابن كثير وابن محيصن بالياء (يعملون) ، وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم وحفص وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر وخلف ويعقوب بالتاء (تعملون) ينظر : المبسوط في القراءات العشر: ١٣٠ -١٣١، والنشر في القراءات العشر: ٢/٢١٧.

(٢) في المطبوع من التَّفْسِيرُ البَسِيْط "وأما إذا كان قَلَبَهُ غيبةً حَسُنَ". وأرى أنه خطأ طباعي، والصواب ما ذكرته أنا في المتن، لأن الواحدي ذكر قبل ذلك القسم الأول وهو ما كان قبله خطاب جعل بالتاء، وهنا ذكر القسم الثاني وهو ما كان قبله غيبة.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/ ٧٨-٧٩.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/٢١٧.

النموذج الثالث قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ ﴾ [البقرة :١١٩].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى القراءات الواردة في (ولا تسأل) (١)، فذكر أنه قرئ بضم التاء ورفع اللام (ولا تُسْأَلُ) على أنه حال، والمعنى: بشيرًا ونذيرًا وغير مسؤول، أو على أنه مستأنف والمعنى: ولستَ تُسأل عن أصحاب الجحيم (٢)، وقرئ بفتح التاء وجزم اللام (ولا تَسْأَلْ) على أنه نهي للنبي ﷺ أو على أنه نهي في اللفظ ومعناه تفخيم ما أعد لهم من العقاب. ثم قال: "وإنما يجعل للقراءة الأولى مزية على الثانية؛ لأن الأولى خبر والكلام الذي بعده وقبله خبر، فإذا كان أشكل (٣) بما قبله وبما بعده كان أولى من القراءة الثانية التي هي نهي" (٤).

وواضح كيف أن الواحدي رحمه الله تعالى احتج لقراءة (ولا تُسأَلُ) بالسياق؛ وبين أنها أقرب إلى ما قبلها وما بعدها، وبعبارة أخرى هي أقرب إلى السياق وأنسب له وأوفق، ليتحد أسلوب الكلام في السياق الواحد، فسياق الآية في الإخبار عن بعض شؤون النبي ﷺ ، وهذا هو وجه قراءة (ولا تُسأَلُ).

على أن القراءة الأخرى لها وجهها أيضًا (٥). وكذلك قول الطبري رحمه الله تعالى أن الصواب قراءة الرفع على أنه خبر؛ لأن النص في سياق الإخبار عن اليهود والنصارى وكفرهم بالله ﷻ ونبيه ﷺ ثم قال له: إنك بشير لمن آمن بك وتبعك منهم، ونذير لمن كفر بما جئت به وضل عن طريق الهدى، وما عليك بعد البلاغ تبعة فلست مسؤولًا عن كفرهم وضلالهم. أما سؤال الرسول ﷺ عن أصحاب الجحيم فلم يجرِ له ذكر حتى ينهاه ﷻ عنه، وحمل الكلام على غير ظاهره دون حجة ثابته غير جائز؛ لذلك الواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية وعمن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر، دون النهي عن المسألة عنهم (٦).

وقال الزجاج رحمه الله تعالى مبيناً معنى القراءتين "وتقرأ (ولا تسأل)، ورفع القراءتين جميعا من جهتين، إحداهما أن يكون (ولا تسأل) – استئنافا، كأنه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال ﷻ: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ٤٠ ﴾[الرعد جزء من الآية: ٤٠]

---

(١) قرأ نافع وحده «ولا تسأل» بالجزم على النهي ، وقرأ باقي السبعة «ولا تسأل» بضم التاء واللام، وقرأ قوم «ولا تسأل» بفتح التاء وضم اللام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢٠٤.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/ ٢٨٠ –٢٨١.

(٣) أي: أشبه وأقرب.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٣/ ٢٨٢–٢٨٣.

(٥) ينظر توجيهها: الحجة للقراء السبعة لابن فارس : ٢/ ٢١٦–٢١٧.

(٦) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢/٤٨١.

ويجوز أن يكون له الرفع على الحال، فيكون المعنى:أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم. ويجوز أيضا " ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وقد قرئ به فيكون جزما بلا. وفيه قولان على ما توجبه اللغة: أن يكون أمره الله بترك المسألة، ويجوز أن يكون النهي لفظا، ويكون المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب. كما يقول لك القائل الذي تعلم أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حال جميلة أو حال قبيحة، فتقول لا تسأل عن فلان أي قد صار إلى أكثر مما تريد، ويقال: سالته أسأله مسألة وسؤالا" (١). وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "ولا تسأل عن أصحاب الجحيم" برفع تسأل، وهي قراءة الجمهور، ويكون في موضع الحال بعطفه على" بشيرا ونذيرا". والمعنى إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا غير مسئول." (٢)

النموذج الرابع: قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ [البقرة :٢٨٥].

قال الواحدي رحمه الله تعالى : "وقوله تعالى ﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾ فيه قراءتان (٣): التوحيد، والجمع... فمن قرأ بالجمع فلأن ما قبله وما بعده بالجمع، فجمع الكتب أيضاً ليكون مشاكلاً لما قبله وما بعده..." (٤).

في هذا النص نرى أن الواحدي رحمه الله تعالى وجه قراءة الجمع بمناسبتها للسياق الذي وردت فيه، إذ إن الكلمات التي أحاطت بها جاءت بصيغة الجمع فناسب جمعها، فنرى أن مشاكلة ـ أي: موافقة ـ اللفظة لما ورد قبلها وما بعدها في السياق أمر معتبر في توجيه القراءات عند الواحدي . قال الطبري رحمه الله تعالى مرجحًا قراءة الجمع وفق السياق "فإن الذي هو أعجب إليَّ من القراءة في ذلك أن يقرأ بلفظ الجمع؛ لأن الذي قبله جمع، والذي بعده كذلك" (٥).

النموذج الخامس : قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠ ﴾ [النساء: ٤٠]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٢٠٠/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ٩٢/٢.

(٣) قرا نافع وابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر وحفص وابن عامر وأبو عمرو في رواية كتبه بالجمع ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف والاعمش وابن عباس وابن مسعود كتابه على الافراد بمعنى القرآن أو الجنس ينظر : كتاب السبعة في القراءات : ١٩٥، ومعاني القراءات للأزهري:٢٣٨/١.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٤/ ٥٢٦.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٤٨/٥.

بين الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى (حسنة) [1] قرئ بالرفع وبالنصب، فمن رفع جعل (تكن) تامة على معنى: وإن تحدث حسنة، أو إن تقع حسنة. ومن نصب فعلى اعتبار (حسنة) خبر (تكن) على معنى: وإن تكن فعلتُه حسنةً [2].

قال الواحدي رحمه الله تعالى : "والنصب حسن؛ لتقدم ذكر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ فتجعل الذرة اسمًا وحسنة الخبر، على تقدير: وإن تكن الذرة حسنةً يضاعفها الله" [3].

في كلام الواحدي رحمه الله تعالى نلاحظ أنه وصف قراءة النصب بأنها حسنة، وهذا الاستحسان لا يعني بالضرورة ترجيح هذه القراءة على غيرها، وإنما كل الذي فعله هو أنه حسَّنها وبين وجه حُسْنها اعتمادًا على سياق الآية الذي وردت فيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ، فسياق الكلام في مثقال الذرة ؛ لذلك جاز أن يقال: وإن تكُ الذرة حسنةً يضاعفها، فجاز أن يكون في الفعل الناقص (تكُ) ضميراً مستتراً يعود إلى (ذرة) المذكورة سابقًا، هذا الضمير هو اسم الفعل المضارع الناقص، و(حسنةً) خبره.

وتكلم الطبري رحمه الله تعالى على القراءتين وبين أن عامة قراء العراق قرؤوا بنصب الحسنة بمعنى وإن تك زنة الذرة حسنة يضاعفها، وقراءة أهل المدينة برفع الحسنة بمعنى وإن توجد له حسنة يضاعف له ثوابها وأجرها ويعطه من عنده أجرًا عظيمًا [4]. وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: "وقرأ جمهور السبعة «حسنة» بالنصب على نقصان «كان» واسمها مضمر تقديره وإن تك زنة الذرة حسنة، وقرأ نافع وابن كثير «حسنة» بالرفع على تمام «كان» التقدير: وإن تقع حسنة أو توجد حسنة، ويضاعفها جواب الشرط،" [5]، وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "وقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر حسنة بالرفع على أن (تك) مضارع كان التامة، أي: إن توجد حسنة. وقرأه الجمهور بنصب حسنة على الخبرية لـ" تك" على اعتبار "كان" ناقصة، واسم كان المستتر عائد إلى مثقال ذرة، وجيء بفعل الكون بصيغة فعل المؤنث مراعاة لفظ ذرة الذي أضيف إليه مثقال، لأن لفظ مثقال مبهم لا يميزه إلا لفظ ذرة فكان كالمستغنى عنه" [6].

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير {وإن تك حسنة} بالرفع، وقرأ الباقون {حسنة} بالنصب. المبسوط في القراءات العشر: ١٧٩.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٥١٨.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٣/٧.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥٤/٢ ، وينظر: مفاتيح الغيب: ٨٢/١٠، و البحر المحيط في التفسير: ٦٤٣/٣.

(٦) التحرير والتنوير: ٥٥/٥.

النموذج السادس : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ [المائدة : جزء من الآية: ٦]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن في قوله تعالى : ﴿ وَأَرۡجُلَكُمۡ ﴾ [١] قراءتين: النصب (وأرجلَكم) والجر (وأرجلِكم)؛ قال: أما النصب فظاهر؛ لأنه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين بإجماع لا يقدح فيه قول من خالف. وأما الكسر فقد اختلفوا في وجهه؛ فقال أبو حاتم وابن الأنباري وأبو علي [٢]: الكسر بالعطف على الممسوح، غير أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل. روي ذلك عن أبي زيد [٣] أنه قال: المسح خفيف الغسل؛ قالوا: تمسّحت للصلاة، وهات ما أتمسّح به للصلاة في معنى: أتوضأ. قال أبو حاتم: وذلك أن المتوضئ لا يرضى بصبّ الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل، فسمي الغسل مسحًا. فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان؛ لأن المسح في أحدهما وهو الرأس، دون المسح في الرجل" [٤].

ثم استدل الواحدي رحمه الله تعالى بالسياق على أن المراد بمسح الرجلين هو الغسل، فقال: " والذي يدل على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل: ذكر التحديد وهو قوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ والتحديد إنما جاء في المغسول، ولم يجئ في الممسوح، فلما وقع التحديد مع المسح عُلم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد؛ ذكره الزجاج وابن الأنباري وأبو علي" [٥].

في هذا النص نلاحظ أن الواحدي رحمه الله تعالى أشار إلى استشكال قراءة الجر مع صحتها؛ لأن ظاهرها عطف الأرجل على الرأس الممسوح، فيكون حكم الأرجل في الوضوء هو المسح، وهذا مخالف للإجماع عند أهل السنة على أن حكم الأرجل هو الغسل وليس المسح. فوجَّه القراءةَ باللغة أولاً، ثم عضد كلامه بسياق الآية؛ إذ ورد في السياق تحديد المغسول دون الممسوح، وهذا ما ورد في الأرجل، إذ ورد تحديدها إلى الكعبين، فأشبهت الأيدي التي ورد تحديدها إلى المرفقين.

ثم أورد الواحدي رحمه الله تعالى استشكالاً آخر على كلامه فقال: "فإن قيل: إن كان المراد بالمسح الغَسل فهلا عُطِفت على المغسول فيكون أظهر في إيجاب الغسل؟" [٦]. وأجاب على هذا الاستشكال بالسياق أيضاً، فذكر أن "مَنْ قرأ بالكسر وجد في الكلام عاملين، أحدهما: الغسل [٧]

---

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب ، وقرأ الباقون بالخفض. ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/٢٥٤.

(٢) ينظر: الحجة للقراء السبعة : ٣/ ٢١٤.

(٣) ينظر قوله في : المصدر نفسه: ٣/ ٢١٥.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ٢٨١-٢٨٢.

(٥) المصدر نفسه : ٧/ ٢٨٢.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧/ ٢٨١-٢٨٢..

(٧) يعني الفعل (اغسلوا).

والآخر الباء الجارَّة، ووجود العاملين إذا اجتمعا في التنزيل أن يحمل على الأقرب منهما دون الأبعد... فلما رأى العاملين إذا اجتمعا حُمل الكلام على أقربهما إلى المعمول حُمل في هذه الآية أيضاً على أقربهما وهو الباء ولم يُخَف الالتباس لشيوع الغسل في الآثار وقيام الدلالة على أن المراد بالمسح في الرجل الغسل... وقال الجماعة من أهل المعاني: إن الأرجل معطوفة على الرؤوس في الظاهر، والمراد فيها الغسل، وقد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف..." ونقل عن بعض أهل اللغة قوله: "وكما قالوا: أكلت خبزًا وماء، وهم يريدون: وشربت ماء، فحذفوا "شربت"، كذلك المعنى في الآية: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ واغسلوا ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ فلما لم يذكر الغسل عُطفت الأرجل على الرؤوس في الظاهر، واكتُفِيَ بقيام الدليل أن الأرجل تُغسل من الآية والخبر، وهذا الذي ذكرنا مذهب أبي عبيدة (١) والأخفش (٢) في هذه الآية" (٣).

قال الطبري رحمه الله تعالى : "والصواب من القول عندنا في ذلك، أن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم، وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقاً اسم ماسح غاسل؛ لأن غسلهما إمرار الماء عليهما أو إصابتهما بالماء. ومسحهما: إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما. فإذا فعل ذلك بهما فاعل فهو غاسل ماسح، ولذلك من احتمال المسح المعنيين اللذين وصفت من العموم والخصوص اللذين أحدهما مسح ببعض والآخر مسح بالجميع اختلفت قراءة القراء في قوله: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة جزء من الآية: ٦] فنصبها بعضهم توجيهًا منه ذلك إلى أن الفرض فيهما الغسل وإنكارًا منه المسح عليهما مع تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بعموم مسحهما بالماء، وخَفَضَها بعضهم توجيهاً منه ذلك إلى أن الفرض فيهما المسح...، فوجه صواب قراءة من قرأ ذلك نصباً لِمَا في ذلك من معنى عمومهما بإمرار الماء عليهما. ووجه صواب قراءة من قرأه خفضاً لما في ذلك من إمرار اليد عليهما، أو ما قام مقام اليد مسحا بهما. غير أن ذلك وإن كان كذلك وكانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً، فأعجبُ القراءتين إليَّ أن أقرأها قراءة من قرأ ذلك خفضاً لما وصفت من جمع المسح المعنيين اللذين وصفت، ولأنه بعد قوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ فالعطف به على الرؤوس مع قربه منه أولى من العطف به على الأيدي، وقد حيل بينه وبينها بقوله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ " (٤).

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "قرأ جماعة (وأرجلكم) بالنصب، فدل على أن الأرجل مغسولة. فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة

---

(١) ينظر: مجاز القرآن : ١/ ١٥٥.

(٢) ينظر: معانى القرآن للأخفش : ١/ ٢٧٧.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧ / ٢٨٣-٢٨٤.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٩٨/٨و٢٠٠، وينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٦/ ٩٣.

المغسولة تُغسل بصب الماء عليها، فكانت مِظَنَّةً للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتُمْسَح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها. وقيل: إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظنِّ ظانٍّ يحسبها ممسوحة؛ لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة" (١).

النموذج السابع: قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنعام : ٦٣].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى : {أَنْجَيْتَنَا} (٢) قراءتين: (أنجانا)، و(أنجيتنا). ووجَّه القراءة الأولى بسياق الآية، فقال: "وقرأ الكوفيون: {لَئِنْ أَنْجَانَا} حملوه على الغيبة لقوله قبله: ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ و ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾وقوله بعده:﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾[الأنعام:٦٤] ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ [الأنعام:٦٥]. فـ {أنجانا} أولى من {أَنْجَيْتَنَا} لكونه على ما قبله وما بعده من لفظ الغيبة... ومن قرأ {لئن أنجيتنا} فالتقدير عنده: داعين وقائلين {لئن أنجيتنا} فواجه بالخطاب، ولم يراعِ ما راعاه الكوفيون من المشاكلة بما قبله وما بعده..." (٣).

فوجه قراءة (أنجانا) بموافقتها للسياق ومشاكلتها لما قبلها، ونقل عن الكوفيين اختاروا هذه القراءة على هذا الأساس، فلما تكرر ضمير الغيبة العائد إلى الله سبحانه كان الأولى أن يكون الضمير العائد إلى الله سبحانه في (أنجانا) ضمير الغيبة.

قال الرازي رحمه الله تعالى : "وأيضاً (لئن أنجيتنا من هذه) قرأ عاصم وحمزة والكسائي {لئن أنجانا} على المغايبة، والباقون {لئن أنجيتنا} على الخطاب، فأما الأولون وهم الذين قرؤوا على المغايبة، فقد اختلفوا؛ قرأ عاصم بالتفخيم، والباقون بالإمالة. وحجة من قرأ على المغايبة أن ما قبل هذا اللفظ، وما بعده مذكور بلفظ المغايبة، فأما ما قبله فقوله: ﴿ تَدْعُونَهُۥ ﴾ ، وأما ما بعده فقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا ﴾ ، وأيضا فالقراءة بلفظ الخطاب توجب الإضمار، والتقدير: يقولون لئن أنجيتنا، والإضمار خلاف الأصل. وحجة من قرأ على المخاطبة، قوله تعالى في آية أخرى:﴿ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾" (٤). وقال القرطبي رحمه الله تعالى: "وقرأ الكوفيون" لئن أنجانا" واتساق المعنى بالتاء، كما قرأ أهل المدينة وأهل الشام. قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/ ٦١١.

(٢) قرأ: عاصم وحمزة والكسائي {لئن أنجانا} بألف بعد الجيم من غير تاء ولا ياء وأمال الجيم، حمزة والكسائي، وفتح عاصم، وقرأ الباقون (لئن أنجيتنا] بالياء والتاء من غير ألف، التيسير في القراءات السبع: ١٠٣/١، والنشر في القراءات العشر : ٢٥٩/٢.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢١٠/٨.

(٤) مفاتيح الغيب : ١٩/١٣.

﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤﴾ [الأنعام: ٦٤] وقرأ الكوفيون" ينجيكم" بالتشديد، الباقون بالتخفيف. قيل: معناهما واحد مثل نجا وأنجيته ونجيته. وقيل: التشديد للتكثير" (١).

النموذج الثامن: قوله تعالى :﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾ [الانعام :٩٦]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى اختلاف القراء في قوله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾ (٢)؛ فذكر أن الأكثرين قرؤوا (جَاعِلُ) بالألف؛ لأن قبله اسم فاعل وهو قوله : ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ و ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ و(جاعل) هاهنا حسن ليكون المعطوف مثل المعطوف عليه، ألا ترى أن حكم الاسم أن يعطف على اسم مثله؛ لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم" (٣) ، أي: عطف الاسم على الاسم أولى من عطف الاسم على الفعل، فلذلك حسَّنها.

ثم ذكر أن أهل الكوفة قرؤوها ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ﴾ بصيغة الفعل الماضي؛ قال: "لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي، فلما كان (فَاعِلٌ) بمنزلة (فَعَلَ) في المعنى عطف عليه فعل؛ لموافقته له في المعنى، ويدلك على أنه بمنزلة (فَعَل) أنه نزل منزلته فيما عُطِفَ عليه، وهو قوله تعالى ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ ، ألا ترى أنه لما كان المعنى (فَعَلَ) في (جاعل) حمل المعطوف على ذلك فنصب الشَّمْسَ والْقَمَرَ" (٤).

هنا ذكر الواحدي رحمه الله تعالى قراءتين، وبين أن لكل قراءةٍ ارتباطًا بالسياق، لكن لكون إحدى القراءتين أكثر ارتباطًا بالسياق فإنه حسَّنها مع تجويزه للقراءة الثانية وذكر وجهها وملاءمتها للسياق، وتحسينه لقراءة ليس نصًا صريحًا في اختياره للقراءة أو ترجيحًا لها.

قال الطبري رحمه الله تعالى : "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب في الإعراب والمعنى" (٥). وقال الرازي رحمه الله تعالى: "قرأ عاصم والكسائي وجعل الليل على صيغة الفعل، والباقون جاعل على صيغة اسم الفاعل حجة من قرأ باسم الفاعل أن المذكور قبله اسم الفاعل، وهو قوله: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ و ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٥- ٩٦] وجاعل أيضا اسم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن :٨/٧ .

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (جعل الليل) بفتح العين واللام من غير ألف بينهما على أنه فعل ماض و (الليل)، بالنصب على أنه مفعول به. وقرأ الباقون (جاعل الليل) بالألف وكسر العين ورفع اللام، و (الليل) بالخفض على الإضافة ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٦٠ ، و الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع: ١/ ٢٦٣.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٨/ ٣٠٧.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٨/ ٣٠٧.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٩/ ٤٢٨.

الفاعل. ويجب كون المعطوف مشاركا للمعطوف عليه، وحجة من قرأ بصيغة الفعل أن قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ منصوبان ولا بد لهذا النصب من عامل" [١].

النموذج التاسع: قوله تعالى :﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الانفال جزء من الآية : ٦٥]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أنه قرئ (يكن) [٢] في قوله تعالى ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ﴾ بالياء والتاء، بالتذكير والتأنيث، قال: "فمن قرأ بالياء فلأنه يراد بالمائة المذكر؛ لأنهم رجال في المعنى، فحمل الكلام على أنهم مذكرون في المعنى، يدلك على ذلك قوله: ﴿يَغْلِبُوٓا۟﴾ كما جاء: في قوله : ﴿ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[الأنعام جزء من الآية: ١٦٠] فأنَّث الأمثال على المعنى لما كانت حسنات. ومن قرأ بالتاء حمل الكلام على اللفظ، واللفظ مؤنث" [٣]. قال: "وكان أبو عمرو يقرأ هذا بالياء، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ ﴾ بالتاء؛ لأن التأنيث هاهنا أشد مشاكلة لقوله: (صابرة) من التذكير، وقرأ الأول بالياء؛ لأنه أخبر عنه بقوله: {يَغْلِبُوا} فكان التذكير أشد مشاكلة لـ {يَغْلِبُوا}" [٤].

نلاحظ في هذا النص أن الواحدي رحمه الله تعالى وجه قراءة أبي عمرو الذي قرأ (يكن) الأولى بالياء، والثانية بالتاء، ووجه هذه القراءة بالسياق؛ وفلما كان أخبر عن المئة الأولى بالتذكير (يغلبوا) قرأ أبو عمرو (يكن) معها بالياء، ولما وصف اسم (يكن) الثانية بالتأنيث (صابرة) قرأها بالتاء.
قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "واتفق القراء على قوله إن يكن منكم فقرؤوا «يكن» بالياء، واختلفوا في قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ ﴾ ؛ فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: بالتاء فيهما. وقرأهما عاصم وحمزة والكسائي: بالياء. وقرأ أبو عمرو «يكن منكم مائة يغلبوا» بالياء، «فان تكن منكم مائة صابرة» بالتاء. قال الزجاج [٥] : من أنث فللفظ المائة، ومن ذكر فلأن المائة وقعت على عدد مذكر. وقال أبو علي [٦] : من قرأ

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٣/ ٧٨.

(٢) في قوله {يكن منكم مائة}، وقوله: {فإن يكن منكم مائة صابرة}: قرأ الكوفيون بالياء في الموضعين، ووافقهم البصريان في الموضع الأول فقط، والباقون بالتاء على التأنيث في الموضعين ينظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ٢٩٩.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط ١٠/ ٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢/ ٤٢٤.

(٦) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٤/ ١٦٠.

بالياء فلأنه أريد منه المذكر، بدليل قوله تعالى : ﴿ يَغْلِبُوٓاْ ﴾وكذلك المائة الصابرة هم رجال، فقرؤوها بالياء، لموضع التذكير. فأما أبو عمرو فإنه لما رأى صفة المائة مؤنثة بقوله تعالى : «صابرة» أنث الفعل، ولما رأى «يغلبوا» مذكراً ذكر. ومعنى الكلام: إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند اللقاء يغلبوا مائتين؛ لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم، وأهل الشرك يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب، فاذا صدقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا وذلك معنى قوله تعالى : ﴿لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ "[١]

النموذج العاشر: قوله تعالى :قَالَ تَعَالَى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس :٢]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى : (لساحر) وردت فيه قراءتان [٢](لساحر) و(لسِحْر) [٣]، ثم بين أن كلتا القراءتين يحتملهما سياق الآية، فقال: "وقرئ: {لساحر} بالألف، والوجهان يحتملهما قوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ ، فمن قال (ساحر) أراد به الرجل، ومن قال (سحر) أراد الذي أوحي سحر" [٤].

يعني الواحدي رحمه الله تعالى بهذا الكلام أن سياق الآية يحتمل كلتا القراءتين؛ لأن اسم الإشارة (هذا) يحتمل أن يكون إشارة إلى المصدر المؤول من (أنْ) والفعل (أوحينا)، أي: إن هذا الوحي سحر. ويحتمل أن يكون إشارة إلى (رجل) فيكون المعنى: إن هذا الرجل لساحر.

قال الطبري رحمه الله تعالى : "وذلك أنهم إنما وصفوه بأنه ساحر، ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر. وإذا كان ذلك كذلك فسواء بأي ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو: فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحي، قال الكافرون إن هذا الذي جاءنا به لسحر مبين" [٥].

قال الرازي رحمه الله تعالى: "قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي إن هذا لساحر والمراد منه محمد ﷺ ، والباقون لسحر والمراد به القرآن" [٦]. وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: "قال ابن عطية [٧] : وقولهم في الإنذار والبشارة سحر إنما هو بسبب أنه فرق كلمتهم، وحال بين القريب وقريبه،

---

(١) زاد المسير في علم التفسير: ٢/٢٢٣.

(٢) قرأ الكوفيون وابن كثير وخلف (لساحر) بالألف، وقرأ الباقون (لسحر) من غير ألف. ينظر كتاب السبعة في القراءات :٣٢٢، و"النشر في القراءات العشر: ٢/ ٢٥٦.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١١/ ١٢١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٢/ ١١٣.

(٦) مفاتيح الغيب : ١٧/ ١٨٧.

(٧) ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٣/ ١٠٣.

فأشبه ذلك ما يفعله الساحر، وظنوه من ذلك الباب. وقال الزمخشري (١) : وهذا دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرا. ولما كان قولهم فيما لا يمكن أن يكون سحرا ظاهر الفساد، لم يحتج قولهم إلى جواب ؛ لأنهم يعلمون نشأته معهم بمكة وخلطتهم له وما كانت قلة علم، ثم أتى به من الوحي المتضمن ما لم يتضمنه كتاب إلهي من قصص الأولين والإخبار بالغيوب والاشتمال على مصالح الدنيا والآخرة، مع الفصاحة والبراعة التي أعجزتهم إلى غير ذلك من المعاني التي تضمنها يقضي بفساد مقالتهم، وقولهم ذلك هو ديدن الكفرة مع أنبيائهم إذ أتوهم بالمعجزات كما قال: فرعون وقومه في موسى ﵇ : إن هذا لساحر عليم قالوا سحران تظاهرا وقوم عيسى ﵇ : إن هذا إلا سحر مبين، ودعوى السحر إنما هي على سبيل العناد والجحد" (٢).

النموذج الحادي عشر: قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣ ﴾ [يوسف: ٦٣].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن في الآية قراءتين: (نكتل) بالنون، و(يكتل) بالياء (٣)، ثم ذكر وجه القراءتين اعتمادًا على السياق، فقال: "ويدل على النون قوله ﴿ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا ﴾[يوسف جزء من الآية: ٦٥] ألا ترى أنهم إنما يميرون أهلهم مما يكتالونه؟ فيكون نكتل مثل "نمير"، وأيضًا فإن في قوله "نكتل" بالنون يجوز أن يكون أخوهم داخلًا معهم، وإذا كان بالياء لم يدخلوا هم في هذه الجملة. ووجه الياء كأنه: يكتل هو حمله، كما نكتال نحن أحمالنا" (٤).

وألمس من كلام الواحدي رحمه الله تعالى هذا أنه يميل إلى اختيار قراءة النون لملاءمتها لسياق الآية بشكل أكبر من قراءة الياء، إذ إن (نكتل) أشبه به (نمير) من (يكتل)، فكأنهم يميرون أهلهم مما يكتالونه كما ذكر الواحدي رحمه الله تعالى . يضاف إلى ذلك أن قراءة (نكتل) تتضمن معنى قراءة (يكتل)، بخلاف قراءة (يكتل) فلا تتضمن معنى قراءة (نكتل) إلا على تأويلٍ ذَكَره الواحدي رحمه الله تعالى.

وعند الطبري رحمه الله تعالى القراءتان سواء حيث قال: "اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿نَكۡتَلۡ﴾ [يوسف جزء من الآية: ٦٣] فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة والكوفة:﴿نَكۡتَلۡ﴾ [يوسف: جزء من الآية ٦٣] بالنون، بمعنى: نكتل نحن وهو، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة: (يكتل) بالياء، بمعنى يكتل هو لنفسه كما نكتال لأنفسنا. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، وذلك أنهم إنما

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ٣٢٨.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٦/ ١١.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وعاصم وابن عامر (نكتل) بالنون، وقرأ حمزة والكسائي (يكتل) بالياء. ينظر: كتاب السبعة في القراءات : ٣٥٠، و المبسوط في القراءات العشر: ٢٤٧.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٦٦/١٢، و ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٢٥٩.

أخبروا أباهم أنه منع منهم زيادة الكيل على عدد رءوسهم، فقالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ ﴾ [يوسف جزء من الآية: ٦٣] ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه، فهو إذن اكتال لنفسه واكتالوا هم لأنفسهم، فقد دخل الأخ في عددهم، فسواء كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه، أو عن جميعهم بلفظ الجميع، إذ كان مفهوما معنى الكلام وما أريد به" (١).

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "منع منا الكيل يريدون قول يوسف فإن لم تأتونني به فلا كيل لكم عندي، لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل، ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه. وقرئ «يكتل» بمعنى يكتل. أخونا، فينضم اكتياله إلى اكتيالنا. أو يكن سببا للاكتيال فإن امتناعه بسببه" (٢).

النموذج الثاني عشر: قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ ﴾ [الرعد جزء من الآية :١٧].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن ﴿ يُوقِدُونَ ﴾ قرئ (٣) بالياء يوقدون وبالتاء توقدون؛ قال الواحدي رحمه الله تعالى: "قرئ بالتاء والياء؛ فمن قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب، وهو قوله: ﴿ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم﴾ [الرعد جزء من الآية: ١٦] ، ويجوز أن يكون خطابًا عامًا يراد به الكافة، كأنه ومما توقدون عليه أيها الموقدون. ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تَقَدّم في قوله: ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ [الرعد جزء من الآية: ١٦]

ويجوز أن يراد به جميع الناس، ويقوي ذلك قوله: ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [الرعد جزء من الآية: ١٧] فكما أن الناس يعم المؤمن والكافر، كذلك الضمير في يوقدون ، وأراد بما يوقد عليه في النَّار الفلز، وهو ما يذاب من الجواهر كالذهب والفضة الصفر والحديد والنحاس في قول جميع المفسرين" (٤).

وظاهر أن الواحدي رحمه الله تعالى وجه كلاً من القراءتين بالسياق الذي وردت فيه الآية، بدون إظهار ما يفيد ميله أو اختياره إلى إحداهما.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "ومما يوقدون عليه في النَّار قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «توقدون عليه» بالتاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١٣/ ٢٣٠.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ٤٨٥.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر (توقدون) بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم (يوقدون) بالياء وروى علي بن نصر عن أبيه عن أبي عمرو بالتاء والباء والغالب التاء ، كتاب السبعة في القراءات :٣٥٨ ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٢٨٣/٥، والنشر في القراءات العشر:٢٩٧/٢.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٢/ ٣٣٤-٣٣٥.

عاصم بالياء. قال أبو علي (1) : من قرأ بالتاء، فلما قبله من الخطاب، وهو قوله: ﴿قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم﴾ ، ويجوز أن يكون خطابا عاما للكافة، ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾.

ويعني بقوله: ومما يوقدون عليه ما يدخل إلى النَّار فيذاب من الجواهر ابتغاء حلية يعني: الذهب والفضة أو متاع يعني: الحديد والصفر والنحاس والرصاص تتخذ منه الأواني والأشياء التي ينتفع بها، زبد مثله ، أي: له زبد إذا أذيب مثل زبد السيل، فهذا مثل آخر" (2).

وقال الرازي رحمه الله تعالى: "قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم يوقدون بالياء، واختاره أبو عبيدة لقوله: ينفع الناس وأيضا فليس هاهنا مخاطب. والباقون بالتاء على الخطاب، وعلى هذا التقدير ففيه وجهان: الأول: أنه خطاب للمذكورين في قوله: قل أفاتخذتم من دونه أولياء [الرعد: ١٦] والثاني: أنه يجوز أن يكون خطابا عاما يراد به الكافة، كأنه قال: ومما توقدون عليه في النَّار أيها الموقدون" (3).

النموذج الثالث عشر: قوله تعالى : ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣﴾ [الرعد جزء من الآية : ٣٣].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى :﴿ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ قراءتين (4): بضم الصاد على البناء للمفعول (صُدُّوا)، وبفتح الصاد (صَدُّوا) على البناء للفاعل، وذكر توجيه القراءة الثانية ببيان معناها مستشهدًا بآية قرآنية وردت في أخرى. أما القراءة الثانية (صُدوا) فقال فيها: وضم الصادر قراءة أهل الكوفة واختيار أبي عبيد (5)؛ قال: لأنه قراءة أهل السنة وفي إثبات القدر، يعني أن تفسيره يكون على ما ذكره ابن عباس (6). وهذه قراءة حسن لمشاكلة ما قبلها من بناء الفعل للمفعول" (7).

ويعني الواحدي رحمه الله تعالى بقوله (لمشاكلة ما قبلها من بناء الفعل للمفعول) أن قراءة (وصُدوا عن السبيل) تتناسق مع سياق الآية التي ابتدأ بقوله تعالى: ﴿ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ﴾

---

(1) ينظر: الحجة للقراء السبعة : ٥/ ١٦.

(2) زاد المسير في علم التفسير : ٤٩١/٢.

(3) مفاتيح الغيب : ٣٠/١٩.

(4) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وصدوا) بفتح الصاد، وقرا عاصم وحمزة والكسائي (وصدوا) بالضم ، ينظر: كتاب السبعة في القراءات : ٣٥٩ ، و معاني القراءات للأزهري : ٥٧/٢.

(5) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ٥/ ٢٩٤.

(6) نقل الواحدي عن ابن عباس ﷺ أنه فسر الآية بقوله: "وصدهم الله عن سبيل الهدى". التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٢/ ٣٦٢.

(7) المصدر نفسه .

وقال الطبري رحمه الله تعالى بعد أن بين القراءتين ومن قرأ بهما: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، متقاربتا المعنى؛ وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به، وهم مع ذلك كانوا يعبدون غيرهم" (١).

وقال أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى مبينًا حجة القراءتين: "وحجّة من قال: (وصدوا عن السبيل) فأسند الفعل إلى الفاعل: قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [محمد جزء من الآية: ١] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج جزء من الآية: ٢٥] ، وقال: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [الفتح جزء من الآية: ٢٥] ، فكما أسند الفعل إلى الفاعل في جميع هذه الآي، كذلك يكون مسندا إليهم في قوله: ﴿ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وقد زعموا أن قوله: ﴿ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ نزلت في قوم جلسوا على الطريق، فصدّوا الناس عن النبيّ ﷺ . ومن بنى الفعل للمفعول به فقال: وصدوا عن السبيل، فإنّ فاعل الصدّ غواتهم والعتاة منهم في كفرهم. وقد يكون صدّ على نحو ما يقولون: حدّ فلان عن الخير، وصدّ عنه، يريد أنه لم يفعل خيرا، ولا يريد أن مانعا منعه منه" (٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "فمن فتح، أراد: صدوا المسلمين، إما عن الإيمان، أو عن البيت الحرام. ومن ضم، أراد: صدهم الله عن سبيل الهدى" (٣).

وقال الرازي رحمه الله تعالى: "أما قوله: وصدوا عن السبيل فاعلم أنه قرأ عاصم وحمزة والكسائي وصدوا بضم الصاد وفي حم وصدوا عن السبيل [النساء: ١٦٧] على ما لم يسم فاعله بمعنى أن الكفار صدهم غيرهم، وعند أهل السنة أن الله صدهم. وللمعتزلة فيه وجهان: قيل الشيطان، وقيل أنفسهم وبعضهم لبعض كما يقال: فلان معجب وإن لم يكن ثمة غيره وهو قول أبي مسلم والباقون، وصدوا بفتح الصاد في السورتين يعني أن الكفار صدوا عن سبيل الله، أي : أعرضوا وقيل: صرفوا غيرهم، وهو لازم ومتعد، وحجة القراءة الأولى مشاكلتها لما قبلها من بناء الفعل للمفعول، وحجة القراءة الثانية قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء جزء من الآية: ١٦٧]" (٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٥٥٠/١٣.

(٢) الحجة للقراء السبعة : ١٩/٥.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٤٩٧/٢.

(٤) مفاتيح الغيب : ٤٥/١٩، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٣/٩.

النموذج الرابع عشر: قوله تعالى : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ ﴾ [النحل: ١١]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى [١] أن قراءة عامة القراء [٢] ﴿ يُنۢبِتُ ﴾ بالياء [٣] في أوله، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون (نُنْبِتُ).

وأشار الواحدي رحمه الله تعالى إلى أن قراءة (ينبت) أليق بالسياق وأكثر اتساقاً به من قراءة (ننبت)، فقال: "والياء أشكل لما تقدم من الإفراد" [٤]، وهو يشير إلى أن السياق وردت فيه الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى بصيغة الإفراد، قال تعالى :﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ ﴾ [النحل: ٩ –١٠]. فكان الأوفق بالسياق قراءة (ينبت) بالياء.

قال الثعلبي رحمه الله تعالى: "ينبت لكم. قرأه العامة بالياء يعني: ينبت لكم. وقرأ عاصم برواية المفضل وحماد ويحيى بالنون، والأول الاختيار" [٥]. وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "جملة ينبت حال من ضمير أنزل [النحل: ١٠] ، أي ينبت الله لكم. وإنما لم يعطف هذا على الجملة لكم منه شراب [النحل: ١٠] لأنه ليس مما يحصل بنزول الماء وحده بل لا بد معه من زرع وغرس وهذا الإنبات من دلائل عظيم القدرة الربانية، فالغرض منه الاستدلال ممزوجا بالتذكير بالنعمة وأسند الإنبات إلى الله لأنه الملهم لأسبابه والخالق لأصوله تنبيها للناس على دفع غرورهم بقدرة أنفسهم، ولذلك قال: إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون لكثرة ما تحت ذلك من الدقائق " [٦].

النموذج الخامس عشر: قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ ﴾ [النحل: ٤٨].

قال الواحدي رحمه الله تعالى: "قوله تعالى :﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾قراءة العامة بالياء؛ لأن ما قبله غيبة، وهو قوله: ﴿ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [النحل جزء من الآية : ٤٥]، و ﴿ أَوۡ

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٣/ ٢٧.

(٢) كلهم قرأ {ينبت} بالياء إلا عاصما فى رواية أبى بكر فإنه قرأ / ننبت / بالنون وروى عنه حفص بالياء كتاب السبعة في القراءات :٣٧٠ ، وينظر : معاني القراءات للأزهري : ٧٥/٢.

(٣) وقع في المطبوع من التَّفْسِيرُ البَسِيْط (بالتاء)، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته بدليل قول الواحدي "والياء أشكل..." أي: قراءة (ينبت). ثم إنني لم أقف على قراءة (تنبت) بالتاء.

(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٣/ ٢٧.

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١٠/٦.

(٦) التحرير والتنوير: ١٤/ ١١٤-١١٥.

﴿ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [النحل : ٤٦] كذلك: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ وكان النبيّ ﷺ وأصحابه﵃ قد رأوا ذلك وتيقنوه فلا يحسن أن يقال لهم: {أَوَلَمْ تَرَوْا}. وقرأ حمزة والكسائي: {تروا} بالتاء؛ على الخطاب لجميع الناس" (١).

فوجه القراءة الأولى (أولم يروا) بالسياق الذي وردت فيه الآية؛ إذ ورد بأسلوب الغيبة، ثم ذكر توجيهًا ثانيًا من حيث المعنى، فنلاحظ أنه قدم توجيه القراءة بالسياق.

قال الطبري رحمه الله تعالى مرجحًا قراءة الغيبة مستدلًا بالسياق "وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ بالياء على الخبر عن الذين مكروا السيئات، لأن ذلك في سياق قصصهم والخبر عنهم، ثم عقب ذلك الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم وتركهم النظر في أدلته والاعتبار بها، فتأويل الكلام إذن: أولم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من جسم قائم، شجر، أو جبل، أو غير ذلك" (٢). وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: "وقرأ السلمي والأعرج والأخوان (٣): أو لم تروا، بتاء الخطاب إما على العموم للخلق استؤنف به الإخبار، وإما على معنى: قل لهم إذا كان خطابا خاصا. وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة. واحتمل أيضا أن يعود الضمير على الذين مكروا، واحتمل أن يكون إخبارا عن المكلفين، والأول أظهر لتقدم ذكرهم " (٤). نلاحظ المفسرين رحمهم الله تعالى رجحوا قراءة الغيبة لموافقتها السياق الواردة فيه.

النموذج السادس عشر: قوله تعالى :﴿ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٨].

قال الواحدي رحمه الله تعالى: "ويُقرأ قوله: ﴿ أَن يَخۡسِفَ ﴾ وأخواته من الأفعال (٥) بالياء والنون؛ فمن قرأ بالياء (٦)؛ لأن ما قبله على الواحد الغائب، وهو قوله: ﴿ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ ﴾ [الإسراء جزء من الآية: ٦٧]

ومن قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد ينقطع بعضه من بعض، وهو سهل؛ لأن المعنى واحد، ألا ترى أول السورة قد جاء: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٢] ،

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٧٢/١٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٢٣٩/١٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن :١١١/١٠.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٥٣٦/٦.

(٥) هي: (أو نرسل)، (أن نعيدكم)، (فنرسل عليكم)، (فنغركم)، كما ذكر ذلك محقق التفسير البسيط.

(٦) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ذلك كله بالنون وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ذلك كله بالياء. كتاب السبعة في القراءات : ٣٨٣، و ينظر: معاني القراءات للأزهري :٢/ ٩٧.

فان تقل من الجمع إلى الإفراد، كذلك ها هنا يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب والمعنى واحدٌ، وكلٌ حَسَنٌ (١)" (٢).

ثم ذكر الواحدي رحمه الله تعالى ما يقوي قراءة النون من سياق الآية، مشيرًا إلى أن الآية التي بعدها تقوي قراءة النون، قال الواحدي رحمه الله تعالى : "ويؤكد النون: قوله ﴿ ۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الاسراء جزء من الآية: ٧٠]" (٣) ، أي: إن السياق سياق نسبة الأفعال إلى الله تعالى بصيغة المتكلم المعظم نفسه.

قال أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى: "من قرأ بالياء فلأنه قد تقدم: قَالَ تَعَالَى:﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ [٦٧]﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ﴾. وأما من قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد يقطع بعضه من بعض وهو سهل؛ لأن المعنى واحد، ألا ترى أنه قد جاء: قَالَ تَعَالَى:﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ۝٢﴾ [الإسراء: ٢، ٣] فكما انتقل من الجميع إلى الإفراد لا تفاق المعنى، كذلك يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب، والمعنى واحد، وكلّ حسن، والخسف بهم نحو الخسف بمن كان قبلهم من الكفار، نحو قوم لوط وقوم فرعون" (٤) .

النموذج السابع عشر : قوله تعالى :﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ ﴾ [الكهف: ٤٧].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى (٥) أن في قوله تعالى ﴿ نُسَيِّرُ ﴾ قراءتين: {نُسَيِّر} بالبناء للفاعل، و{تُسَيَّر} بالبناء للمفعول فيه قراءتان علي بناء الفعل للفاعل (٦).

ومال الواحدي رحمه الله تعالى إلى اختيار قراءة (نُسيِّر) لكونه أوفق بالسياق؛ إذ ورد في الآية نفسها﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ ﴾ [الكهف جزء من الآية: ٤٧]، فبُنيت الأفعال الواردة في سياق الآية على الفاعل، فناسب أن يكون الفعل (نسيِّر) مبنيًا للفاعل ليناسب ما قبله، قال الواحدي رحمه

---

(١) الحجة للقراء السبعة : ٥/ ١١١ بتصرف يسير، وهناك توجيه آخر لابن خالويه: فالحجة لمن قرأه بالنون: أنه جعله من إخبار الله عن نفسه، والحجة لمن قرأه بالياء: أنه جعله من إخبار النبي ﷺ عن ربه. "الحجة في القراءات السبع : ٢١٩.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٣/ ٤٠١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الحجة للقراء السبعة : ٥/ ١١١.

(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٤/ ٣٨.

(٦) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: (ويوم تُسير الجبالُ) بالتاء، ورفع الجبال. وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي: (ويوم نُسير الجبالَ) بالنون، ونصب الجبال. ينظر: السبعة في القراءات : ٣٩٣، "الحجة للقراء السبعة" :٥/ ١٥١.

الله تعالى : " وهذه القراءة أشبه بما بعده من قوله: ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ ﴾ " [1]، ونحوه قال أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى مبينًا حجة القراءتين "حجة من بنى الفعل للمفعول به فقال: (تسير) قوله: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ ﴾[النبأ جزء من الآية: ٢٠] وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ ﴾ [ا لتكوير: ٣]. ومن قال: نسير؛ فلأنه أشبه بما بعده من قوله: ﴿ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ ﴾ [الكهف: ٤٧] فإن قلت: وقد جاء ﴿ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠ ﴾ [الطور: ١٠] ولم يجب على هذا أن يقال: (تسيّر الجبال)، قيل: إنما قرئ على: (تسيّر الجبال) و(نسيّر الجبال) ولم يقرأ على غير هذين الوجهين، فكما أسند الفعل إلى المفعول به في قوله (وسيّرت الجبال) كذلك أسند إليها في قوله: (تسيّر الجبال)" [2].

وقال الرازي رحمه الله تعالى: "والمعنى واحد لأنها إذا سيرت فمسيرها ليس إلا الله سبحانه." [3].

قال القرطبي " ومعنى" بارزة" ظاهرة، وليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان، أي قد اجتثت ثمارها وقلعت جبالها، وهدم بنيانها، فهي بارزة ظاهرة. وعلى هذا القول أهل التفسير. وقيل:" وترى الأرض بارزة" أي برز ما فيها من الكنوز والأموات" [4]

وقال الطاهر بن عاشور: "وقرأ الجمهور نسير بنون العظمة. وقرأ ابن كثير وابن عامر، وأبو عمرو ويوم تسير الجبال بمثناة فوقية ببناء الفعل إلى المجهول ورفع الجبال. والخطاب في قوله: وترى الأرض بارزة لغير معين. والمعنى: ويرى الرائي" [5] فالقراءة سواء كانت القراءة على بناء الفاعل {نُسَيِّر} أو البناء للمفعول {تُسَيَّر} فالله تعالى هو الذي يسيرها عن مكانها؛ لذلك قال بعدها والأرض خالية مما عليها من الجبال والاشجار وغيرها وهذا لا يطيقه غير الله تعالى لعظيم قدرته ﷻ.

النموذج الثامن عشر: قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢ ﴾ [طه: ١٠٢]،

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى [6] أن قوله تعالى (ينفخ) [7] قرئ قراءتين: (يُنْفَخُ) و(نَنْفُخُ)، ورجح القراءة الأولى (يُنْفَخُ) لورود الفعل (ينفخ في الصور) في مواضع أخرى من القرآن مبنياً للمفعول

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٤/ ٣٨.

(٢) الحجة للقراء السبعة : ١٥١/٥، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن : ١٧٥/٥، و الجامع لأحكام القرآن : ٤١٦/١٠.

(٣) مفاتيح الغيب : ٤٦٩/٢١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن :٤١٦/١٠ .

(٥) التحرير والتنوير: ٣٣٥/١٥.

(٦) التفسير البسيط: ١٤/ ٥١٦.

(٧) فقرأ أبو عمرو وحده يوم ننفخ بالنون وقرأ الباقون {ينفخ} بالياء على ما لم يسم فاعله ، كتاب السبعة في القراءات ٤٢٤، و الحجة للقراء السبعة ٢٥٠/٥.

(يُنْفَخُ). إلا أنه لم يرفض القراءة الأخرى (نَنْفُخُ) وذكر لها وجه من حيث المعنى ثم استند إلى السياق في تقويتها، فقال: "ووجه قراءة أبي عمرو أنه على معنى إضافة الأمر بالنفخ إلى الله تعالى ، ويقوي ذلك ما عطف عليه من قوله: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ " (١).

وقال يحيى بن سلام رحمه الله تعالى: "والصور: قرن ينفخ فيه صاحب الصور، فينطلق كل روح إلى جسده، تجعل الأرواح كلها في الصور، فإذا نفخ فيه خرجت الأرواح مثل النحل، كل روح إلى جسده" (٢).

وقال الطبري رحمه الله تعالى "واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [الأنعام جزء من الآية: ٧٣] بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله، بمعنى: يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور. وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك «يوم ننفخ في الصور» بالنون بمعنى: يوم ننفخ نحن في الصور، كأن الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله: ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢] إذ كان لا خلاف بين القراء في نحشر أنها بالنون. قال أبو جعفر: والذي أختار في ذلك من القراءة ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [الأنعام: ٧٣] بالياء على وجه ما لم يسم فاعله، لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد" (٣)، فرجح قراءة مالم يسمَ فاعله.

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "أسند النفخ إلى الآمر به فيمن قرأ: ننفخ، بالنون. أو لأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة، فصح لكرامتهم عليه وقربهم منه أن يسند ما يتولونه إلى ذاته تعالى . وقرئ: ينفخ، بلفظ ما لم يسم فاعله. وينفخ. ويحشر، بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل أو لإسرافيل عليه السلام. وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلا الحسن " (٤).

وقال الرازي رحمه الله تعالى: "قرأ أبو عمرو ننفخ بفتح النون كقوله: ونحشر وقرأ الباقون ينفخ على ما لم يسم فاعله ونحشر بالنون لأن النافخ ملك التقم الصور والحاشر هو الله تعالى ، وقرئ يوم ينفخ بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى أو لإسرافيل عليه السلام ، وأما: يحشر المجرمين فلم يقرأ به إلا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة" (٥).

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ١٤/ ٥١٦.

(٢) تفسير يحيى بن سلام:١/٢٧٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٦/١٦٠.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣/٨٧.

(٥) مفاتيح الغيب : ٢٢/٩٨، وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٧/٣٨٢.

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "وقرأ الجمهور ينفخ بياء الغيبة مبنيا للمجهول، أي: ينفخ نافخ، وهو الملك الموكل بذلك. وقرأه أبو عمرو وحده ننفخ- بنون العظمة وضم الفاء- وإسناد النفخ إلى الله مجاز عقلي باعتبار أنه الآمر به، مثل: بنى الأمير القلعة" (1).

النموذج التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: 39].

قال الواحدي رحمه الله تعالى: "وقوله: ﴿ يُقَٰتَلُونَ ﴾ ،أي: الذين يقاتلون عدوهم الظالمين لهم بإخراجهم عن ديارهم، وهم المؤمنون. وقرئ ﴿ يُقَٰتَلُونَ ﴾ " بفتح التاء (2)، أي: الذين يقاتلهم المشركون، وهم المؤمنون. ويقوي هذه القراءة أن الفعل الذي بعده مسند إلى المفعول به وهو قوله: ظُلِمُوا" (3).

فاستند على السياق في توجيه قراءة البناء للمفعول. قال الطبري رحمه الله تعالى: "واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة ، «أذن» بضم الألف، يقاتلون بفتح التاء بترك تسمية الفاعل في ﴿ أُذُنٌ ﴾ [التوبة جزء من الآية: 61] و ﴿ يُقَٰتِلُونَ ﴾ [النساء جزء من الآية: 76] جميعا. وقرأ ذلك بعض الكوفيين ، وعامة قراء البصرة: (أذن) بترك تسمية الفاعل، و (يقاتلون) بكسر التاء، بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ، وبعض المكيين: (أذن) بفتح الألف، بمعنى: أذن الله، و (يقاتلون) بكسر التاء، بمعنى: إن الذين أذن الله لهم بالقتال يقاتلون المشركين. وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى؛ لأن الذين قرؤوا﴿ أُذُنٌ ﴾ [التوبة جزء من الآية: 61] على وجه ما لم يسمَ فاعله ، يرجع معناه في التأويل إلى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله. وإن من قرأ ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ [النساء جزء من الآية: 76] ، و (يقاتلون) بالكسر ، أو الفتح، فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر ، وذلك أن من قاتل إنسانا ، فالذي قاتله له مقاتل، وكل واحد منهما مقاتل. فإذ كان ذلك كذلك ، فبأية هذه القراءات قرأ القارئ فمصيب الصواب. غير أن أحب ذلك إلي أن أقرأ به: (أذن) بفتح الألف، بمعنى: أذن الله، لقرب ذلك من قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ [الحج جزء من الآية: 38] إذن الله في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقتالهم، فيرد (أذن) على قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة جزء من الآية: 190] وكذلك

---

(1) التحرير والتنوير :16/304.

(2) أي: بصيغة المبني للمفعول. وهي قراءة نافع، وحفص عن عاصم، وابن عامر: "يقاتلون" بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسر التاء. " كتاب السبعة في القراءات: 437، و التيسير في القراءات السبع : 157، والإقناع في القراءات السبع:351.

(3) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :14/ 425.

أحب القراءات إلي في (يقاتلون) كسر التاء، بمعنى: الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم، فيكون الكلام متصلا معنى بعضه ببعض" (١).

وقال البغوي رحمه الله تعالى مبينًا معنى القراءتين: ""للذين يقاتلون"، قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص "يقاتلون" بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون، وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد "يقاتلون" المشركين. قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج، ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال، فنزلت هذه الآية بالمدينة" (٢).

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: "أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبنى للفاعل والمفعول جميعا: والمعنى: أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بأنهم ظلموا أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله ﷺ : كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر فأنزلت هذه الآية" (٣).

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "والقتال مستعمل في المعنى المجازي إما بمادته، وإما بصيغة المضي. فعلى قراءة- فتح التاء- فالمراد بالقتال فيه القتل المجازي، وهو الأذى. وأما على قراءة يقاتلون- بكسر التاء- فصيغة المضي مستعملة مجازا في التهيؤ والاستعداد، أي أذن للذين تهيئوا للقتال وانتظروا إذن الله. وذلك أن المشركين كانوا يؤذون المؤمنين بمكة أذى شديدا فكان المسلمون يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا فإني لم أومر بالقتال، فلما هاجر نزلت هذه الآية بعد بيعة العقبة إذنا لهم بالتهيؤ للدفاع عن أنفسهم ولم يكن قتال قبل ذلك كما يؤذن به قوله تعالى عقب هذا: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ ﴾ [الحج جزء من الآية : ٤٠]" (٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٦/٥٧٢-٥٧٣.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٥/٣٨٨، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/١٢٤.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣/١٦٠، وينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٣/٢٤٠.

(٤) التحرير والتنوير: ١٧/٢٧٣.

المبحث الثاني : اختيار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة من بين القراءات الواردة في الآية بناء على السياق.

الاختيار في القراءات: "هو انتقاء القارئ الضابط العارف باللغة طريقة خاصة به في القراءة منسوبة إليه مستلة من بين ما روى عن شيوخه لعلة ما" (١).

ومن خلال استقرائي لإيراد الواحدي رحمه الله تعالى للقراءات القرآنية وطريقة تعامله معها في ضوء الاختيار وجدتُهُ في بعض الأحيان يصرح باختياره لقراءة من القراءات اعتمادًا على سياق الآية، وفي ما يأتي نماذج توضح منهج الواحدي رحمه الله تعالى في ذلك:

النموذج الاول: قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أنه وردت قراءتان في قوله (يكذبون): القراءة الأولى (يَكْذِبون) بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال المخففة، والقراءة الثانية (يُكَذِّبون) بضم الياء وفتح الكاف وكسر الذال المشدد، والقراءتان سبعيتان متواترتان (٢).

ورأى الواحدي رحمه الله تعالى أن القراءة الأولى (يَكْذِبون) أقرب إلى سياق الآية، فقال عن هذه القراءة: "وهو أشبه بما قبله وما بعده؛ لأن قبله قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾[البقرة جزء من الآية:٨] وهذا كذب منهم، وبعده قوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤] وهذا يدل على كذبهم في دعوى الإيمان" (٣) ثم ذكر توجيه قراءة من قرأ (يُكَذِّبون).

والذي يهمنا هنا هو اعتماد الواحدي رحمه الله تعالى بشكل واضح على سياق الآيات في توجيه القراءة، وأشار إلى السياق بقوله "ما قبله وما بعده" وبتعبير آخر "السباق واللحاق".

قال الطبري رحمه الله تعالى مضعفًا قراءة التشديد: "اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة جزء من الآية : ١٠] مخففة الذال مفتوحة الياء، وهي قراءة معظم أهل الكوفة. وقرأه آخرون: (يُكذّبون) بضم الياء وتشديد الذال، وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة. وكأن الذين قرؤوا ذلك بتشديد الذال وضم الياء رأوا أن الله جل ثناؤه إنما أوجب للمنافقين العذاب الأليم بتكذيبهم نبيهم محمدا ﷺ وبما جاء به، وأن الكذب لولا التكذيب لا يوجب لأحد اليسير من العذاب، فكيف بالأليم منه؟ وليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالوا؛ وذلك أن الله

---

(١) الاختيار عند القراء: مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات: ٤٣.

(٢) القراءة الأولى هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، والقراءة الثانية هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ينظر: كتاب السبعة في القراءات : ١٤٣، والحجة للقراء السبعة: ٣٢٩/١.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٥٤/٢.

عز وجل أنبأ عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة بأنهم يكذبون بدعواهم الإيمان وإظهارهم ذلك بألسنتهم خداعا لله عز وجل ولرسوله وللمؤمنين، فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾[البقرة:٨– ٩] بذلك من قيلهم مع استسرارهم الشك والريبة ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ ﴾ [البقرة جزء من الآية :٩] بصنيعهم ذلك ﴿ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ٩] دون رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ٩] بموضع خديعتهم أنفسهم واستدراج الله عز وجل إياهم بإملائه لهم ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ١٠] أي نفاق وريبة، والله زائدهم شكا وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم بألسنتهم: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ٨] وهم في قيلهم ذلك كذبة لاستسرارهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم. في أمر الله وأمر رسوله ﷺ ، فأولى في حكمة الله جل جلاله أن يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبر عنهم من قبيح أفعالهم وذميم أخلاقهم، دون ما لم يجر له ذكر من أفعالهم؛ إذ كان سائر آيات تنزيله بذلك نزل. وهو أن يفتتح ذكر محاسن أفعال قوم ثم يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من أفعالهم، ويفتتح ذكر مساوئ أفعال آخرين ثم يختم ذلك بالوعيد على ما ابتدأ به ذكره من أفعالهم. فكذلك الصحيح من القول في الآيات التي افتتح فيها ذكر بعض مساوئ أفعال المنافقين أن يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذكره من قبائح أفعالهم، فهذا مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا وشهادتها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا، وأن الصواب من التأويل ما تأولنا من أن وعيد الله المنافقين في هذه الآية العذاب الأليم على الكذب الجامع معنى الشك والتكذيب، وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ﴾ [المنافقون: ١–٢] والآية الأخرى في المجادلة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٦ ﴾ [المجادلة: ١٦] فأخبر جل ثناؤه أن المنافقين، بقيلهم ما قالوا لرسول الله ﷺ ، مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون، كاذبون. ثم أخبر تعالى ذكره أن العذاب المهين لهم على ذلك من كذبهم. ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون في البقرة: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ ﴾ [البقرة: ١٠] لكانت القراءة في السورة الأخرى: والله يشهد إن المنافقين لمكذبون، ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيدا على التكذيب، لا على الكذب. وفي إجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] بمعنى الكذب، وأن إيعاد الله تبارك و تعالى فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك من كذبهم، أوضح

الدلالة على أن الصحيح من القراءة في البقرة:﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ١٠] بمعنى الكذب، وأن الوعيد من الله تعالى ذكره للمنافقين فيها على الكذب حق، لا على التكذيب الذي لم يجز له ذكر نظير الذي في المنافقين سواء. وقد زعم بعض نحويي البصرة أن ما من قول الله تبارك اسمه: {بما كانوا يكذبون} [البقرة: ١٠] اسم للمصدر، كما أن أن والفعل اسمان للمصدر في قولك: أحب أن تأتيني، وأن المعنى إنما هو بكذبهم وتكذيبهم. قال: وأدخل كان ليخبر أنه كان فيما مضى، كما يقال: ما أحسن ما كان عبد الله. فأنت تعجب من عبد الله لا من كونه، وإنما وقع التعجب في اللفظ على كونه. وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك من قوله و يستخطئه ويقول: إنما ألغيت كان في التعجب لأن الفعل قد تقدمها، فكأنه قال: حسنا كان زيد، وحسن كان زيد يبطل كان، ويعمل مع الأسماء والصفات التي بألفاظ الأسماء إذا جاءت قبل كان ووقعت كان بينها وبين الأسماء. وأما العلة في إبطالها إذا أبطلت في هذه الحال فشبه الصفات والأسماء بفعل ويفعل اللتين لا يظهر عمل كان فيهما، ألا ترى أنك تقول: يقوم كان زيد، ولا يظهر عمل كان في يقوم، وكذلك قام كان زيد. فلذلك أبطل عملها مع فاعل تمثيلا بفعل ويفعل، وأعملت مع فاعل أحيانا لأنه اسم كما تعمل في الأسماء. فأما إذا تقدمت كان الأسماء والأفعال وكان الاسم والفعل بعدها، فخطأ عنده أن تكون كان مبطلة؛ فلذلك أحال قول البصري الذي حكيناه، وتأول قول الله عز وجل:﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة جزء من الآية: ١٠] أنه بمعنى: الذي يكذبونه" (١).

وقال الثعلبي رحمه الله تعالى: "﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾: (ما) مصدرية، أي بتكذيبهم على الله ورسوله في السر. وقرأ أهل الكوفة: بفتح الياء وتخفيف الذال، أي بكذبهم إذ قالوا آمنا وهم غير مؤمنين" (٢).

وابن عطية رحمه الله تعالى رجح قراءة التشديد بقوله : "فالقراءة بالتثقيل يؤيدها قوله تعالى قبل ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فهذا إخبار بأنهم يكذبون. والقراءة بالتخفيف يؤيدها أن سياق الآيات إنما هي إخبار بكذبهم، والتوعد بالعذاب الأليم، متوجه على الكذب في مثل هذه النازلة، إذ هو منطو على الكفر، وقراءة التثقيل أرجح " (٣).

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى "وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ الباء للسببية. وقرأ الجمهور (يكذبون) بضم أوله وتشديد الذال. وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح أوله وتخفيف الذال أي بسبب تكذيبهم الرسول وإخباره بأنه مرسل من الله وأن القرآن وحي الله إلى الرسول، فمادة التفعيل للنسبة إلى الكذب مثل التعديل والتجريح، وأما قراءة التخفيف فعلى كذبهم الخاص في

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :١/٢٩٣-١٩٦.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن : ١/١٥٤، وينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/٦٦.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٩٢.

قولهم: آمنا بالله [البقرة: ٨] وعلى كذبهم العام في قولهم: إنما نحن مصلحون [البقرة: ١١] فالمقصود كذبهم في إظهار الإيمان وفي جعل أنفسهم المصلحين دون المؤمنين. والكذب ضد الصدق" (١)، والقراءتان سبعيتان ولايجوز ترجيح إحدهما على الأخرى فبأي قراءة قرأ القارئ فصواب.

النموذج الثاني : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران :٣٦]

الفعل (وضعت) (٢) قرئ بإسكان التاء وضمها؛ فمن قرأ بالضم كانت التاء ضمير المتكلم، أي: من كلام أمِّ مريم على وجه الخضوع والاستسلام لله ﷻ لا بنية الإخبار والإعلام. وأما من قرأ بسكون التاء فإن الفعل (وضعت) يكون من كلام الله ﷻ.

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى القراءة الثانية مستدلاً بالسياق بقوله: "ومن قرأ بإسكان التَّاء وهو أَجْوَدُ القراءتين، كان قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ مِن كلام الله تعالى ، ولو كان من قول أمِّ مريم لكان: (وأنت أعلم بما وَضَعْتُ)؛ لأنها تخاطب الله سبحانه وتعالى ؛ ولأنها قد قالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾ فليست تحتاج بعد هذا القول أن تقول: والله أعلم بما وضعْتُ" فاستدل بسياق الآية؛ إذ لم يُذكر ضمير الخطاب (أنت) كما أنها أخبرت عن ذلك مسبقًا فلا داعي لتكراره (٣). ووافقه الطبري رحمه الله تعالى بقوله: "وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها، وذلك قراءة من قرأ: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ [آل عمرانجزء من الآية: ٣٦] ولا يعترض بالشاذ عنها عليها. فتأويل الكلام إذا: والله أعلم من كل خلقه بما وضعت" (٤).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى مبينًا معنى القراءة: "ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله أعلم بما وضعتُ تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه. ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا، فلذلك تحسرت. وفي قراءة ابن عباس: (والله أعلم بما وضعتْ) على خطاب الله تعالى لها أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٨٣/١.

(٢) قرأ الأسود ويحيى بن وثاب وأبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي: (بما وضعت) بفتح العين وجزم التاء، وقرأ إبراهيم وعاصم في رواية أبي بكر: (والله أعلم بما وضعت) [٢٦] بتسكين العين وضم التاء، إيضاح الوقف والابتداء: ١/ ٨٧.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٥/ ١٩٥، و الحجة للقراء السبعة :٣/ ٣٢.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٣٦/٥.

شأنه وعلو قدره. وقرئ: وضعت. بمعنى: ولعل لله تعالى فيه سرا وحكمة، ولعل هذه الأنثى خير من الذكر تسلية لنفسها" (١).

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى : "وقرأ جمهور الناس «وضعت» بفتح العين وإسكان التاء، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر «وضعت» ، بضم التاء وإسكان العين، وهذا أيضا مخرج قولها، رب إني وضعتها أنثى من معنى الخبر إلى معنى التلهف" (٢).

وقال الرازي: "ثم قال الله تعالى : والله أعلم بما وضعت قرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر وضعت برفع التاء على تقدير أنها حكاية كلامها، والفائدة في هذا الكلام أنها لما قالت إني وضعتها أنثى خافت أن يظن بها أنها تخبر الله تعالى ، فأزالت الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت وثبت أنها إنما قالت ذلك للاعتذار لا للإعلام، والباقون بالجزم على أنه كلام الله، وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنه تعالى قال: والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها، وتجهيلا لها بقدر ذلك الولد، ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعله وولده آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت، وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها، أي: إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات" (٣). فالواحدي رحمه الله تعالى وافق جمهور المفسرين في ترجيح قراءة سكون التاء على أنها إخبار من الله تعالى عنها.

النموذج الثالث : قوله تعالى :﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران جزء من الآية :١٧٩]

﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ﴾ ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن فيه قراءتين (٤): التشديد والتخفيف، وهما لغتان. يقال: (مِزْتُ الشيءَ بَعْضَهُ عن بَعْض، فأنا أَمِيزُهُ مَيْزًا، ومَيّزْتُهُ تمييزًا).

وحجة من قرأ بالتخفيف أنه يصلح للقليل والكثير، وحكى أبو زيد عن أبي عمرٍو (٥) أنه كان يقول: التشديد للكثرة، فأما واحدٌ مِن واحدٍ فـ (يَمِيز) بالتخفيف. والله تعالى يقول: ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :١/ ٣٥٦.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٤٢٤.

(٣) مفاتيح الغيب : ٨/ ٢٠٤.

(٤) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر: {يميز} بفتح الياء الأولى، وكسر الميم مع التخفيف. وقرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: {يميز} –بضم الياء الأولى، وفتح الميم مع التشديد.، ينظر : معاني القراءات للأزهري :١/٢٨٤، و الحجة للقراء السبعة :٣/١١٠.

(٥) ينظر : حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة(ت حوالي ٤٠٣هـ) ، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني ، دار الرسالة: ١٨٢.

مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ فَذَكَر شيئين. وهذا كما قال بعضهم في (الفَرْق) و (التَّفرِيق). وحجّة من قرأ بالتشديد: أن التشديد للتكثير والمبالغة، ويكثر المؤمنون والمنافقون [١].

وقد رجح الواحدي رحمه الله تعالى قراءة التشديد بقوله: " فالتمييز ههنا أَوْلى، والله تعالى ذَكَرَ الجِنْسَيْنِ بلفظ {الْخَبِيثَ} و{الطَّيِّبِ} وهما للجِنْس؛ فالمراد بهما: جميع المؤمنين والمنافقين، لا اثنان منهما. وقد قال الله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [الملك جزء من الآية: ٨]. وهذا مُطَاوع (التَّمييز). والذي يدل على أن التخفيف أولى، قولُه:﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يس جزء من الآية: ٥٩]، وهو مُطاوع المَيْز " [٢].

نرى الواحدي رحمه الله تعالى هنا رجح قراءة التشديد على التخفيف؛ لأن السياق في بيان ما يفعله الله ﷻ بالمؤمنين والكافرين، وهؤلاء كثيرون، فالأولى أن يقال فيهم (ميَّز يميِّز) بالتشديد؛ لأنه نص في التكثير بخلاف (ماز يَمِيز) فإنه يحتمل الكثرة ويحتمل غيرها. هذا مع إجازته لقراءة التخفيف محتجًا لها بآية من سورة أخرى، لكنه اختار قراءة التشديد لملاءمتها لسياق الآية التي ورد فيها الفعل (يميز).

قال الزمخشري رحمه الله تعالى : "اللام لتأكيد النفي على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص. وقرئ: يميز. من ميز. وفي رواية عن ابن كثير: يميز، من أماز بمعنى ميز. فإن قلت: لمن الخطاب في: (أنتم)؟ قلت: للمصدقين جميعا من أهل الإخلاص والنفاق، كأنه قيل: ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض، وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم" [٣].

وقال الرازي موافقًا الواحدي رحمهم الله تعالى: "وحجة من قرأ بالتخفيف وفتح الباء أن الميز يفيد فائدة التمييز وهو أخف في اللفظ فكان أولى، وحكى أبو زيد عن أبي عمرو أنه كان يقول: التشديد للكثرة، فأما واحد من واحد فيميز بالتخفيف، والله تعالى قال: حتى يميز الخبيث من الطيب فذكر شيئين، وهذا كما قال بعضهم في الفرق والتفريق، وأيضا قال تعالى :﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يس جزء من الآية: ٥٩] وهو مطاوع الميز، وحجة من قرأ بالتشديد: أن التشديد للتكثير والمبالغة، وفي المؤمنين والمنافقين كثرة، فلفظ التمييز هاهنا أولى، ولفظ الطيب والخبيث وإن كان مفردا إلا أنه للجنس، فالمراد بهما جميع المؤمنين والمنافقين لا اثنان منهما" [٤].

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٢١٢-٢١٤.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٤٤٥/١.

(٤) مفاتيح الغيب: ٤٤١/٩.

النموذج الرابع: قوله تعالى :﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠ ﴾ [آل عمرا ن جزء من الآية : ١٨٠].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى :﴿ تَعۡمَلُونَ ﴾ [1] قرئ بالياء على الغيبة، وقرء بالتاء على الخطاب. فمَنْ قرَأَ بالياءِ فلأنَّ ما قَبْلَهُ على الغَيْبَةِ، وذلك قوله: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ ﴾ و ﴿ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠ ﴾ مِنْ مَنْعِهِم الحقوقَ، فيُجَازِيهم عليه. ومَن قرأ بالتاء؛ فلأنَّ ما قبل هذه الآية خِطابًا، وهو قوله: ﴿ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ﴿ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠ ﴾ فيُجازِيكم عليه [٢].

نلاحظ على الواحدي رحمه الله تعالى هنا أنه ذكر وجه كل قراءة بما ورد في السياق وملاءمتها له، ومال إلى قراءة من قرأ (يعملون) فقال: "والغَيْبَةُ أقرب إليه مِنَ الخطاب" [٣] والسبب في اختيار الواحدي رحمه الله تعالى لقراءة الغيبة أنها ألصق بسياق الآية، إذ إن الأفعال التي وردت بصيغة الغيبة أقرب إلى الفعل (يعملون) من الأفعال التي وردت بصيغة الخطاب.

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: "وقرئ (بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات، وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر" [٤]. ورجح أبو حيان الخطاب فقال: "والله بما تعملون خبير ختم بهذه الصفة ومعناها التهديد والوعيد على قبيح مرتكبهم من البخل. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: يعملون على الغيبة جريا على يبخلون وسيطوقون. وقرأ الباقون: بالتاء على الالتفات، فيكون ذلك خطابا للباخلين. وقال ابن عطية [٥] : وذلك على الرجوع من الغيبة إلى المخاطبة، لأنه قد تقدم وإن تؤمنوا وتتقوا انتهى. فلا يكون على قوله التفاتا، والأحسن الالتفات" [٦]. في هذا الموضع الواحدي خالف الزمخشري وابو حيان وابن عطية رحمهم الله تعالى في ترجيح قراءة الغيبة فرجحها لموافقتها السياق أما المفسرين فرجحوا قراءة الخطاب لكونها ابلغ في الوعيد والتهديد.

---

(١) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: بالياء في {يعملون}. وقرأ الباقون: بالتاء {تعملون} ، ينظر: الحجة للقراء السبعة : ٣/ ١١٣.

(٢) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٢٢٣- ٢٢٤.

(٣) المصدر نفسه ، وينظر : مفاتيح الغيب : ٩/ ٤٤٥.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٤٤٦، وينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/ ٣١٦.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١/ ٥٤٧.

(٦) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٤٥٣.

النموذج الخامس: قوله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ [آل عمران :١٨١]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن حمزة قرأ {سيُكتَبُ ما قالوا} (١) بالبناء للمفعول اعتبارًا بقراءة عبد الله بن مسعودﷺ: (وَيُقالُ ذُوقوا عذابَ الحَرِيق)، ولأنَّه مِنَ التَّصَرُّف في وجوه الكلام. أما غير حمزة من القراء فقرؤوها (سنكتب) بنون العظمة، واختار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة غير حمزة فقال: "وقراءة العامَّة أحسنُ؛ لجَرْيِ الكلام فيها على تشاكل" (٢). فتشاكل الأفعال في سياق الكلام سبب جعل الواحدي رحمه الله تعالى يختار قراءة على أخرى، فقراءة (سنكتب) تشاكل الفعل (نقول).

وكذلك اختار الطبري رحمه الله تعالى قراءة العامة لموافقتها السياق فقال: "فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بأن يقرأ جميعا على مذهب ما لم يسمَ فاعله، أو على مذهب ما يسمى فاعله، فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله، والآخر على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى ألجأه على ذلك، فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب. والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ [آل عمران جزء من الآية: ١٨١] بالنون ﴿ وَقَتْلَهُمُ ﴾ [آل عمران جزء من الآية: ١٨١] بالنصب لقوله: ﴿ وَنَقُولُ ﴾ [آل عمران: ١٨١] ، ولو كانت القراءة في (سيكتب) بالياء وضمها، لقيل: «ويقال»" (٣).

وكذلك فعل الزمخشري رحمه الله تعالى بقوله: "قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، فلا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك، أو عن استهزاء بالقرآن، وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم. ومعنى سماع الله له: أنه لم يخف عليه، وأنه أعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة. أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فإن قلت: كيف قال: (لقد سمع الله) ثم قال: (سنكتب) وهلا قيل: ولقد كتبنا؟ قلت: ذكر وجود السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال: سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا أبدا إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء" (٤) ففسر النص بقراءة العامة ولم يذكر قراءة حمزة وهذا يدل على اختياره لقراءة العامة.

---

(١) قرأ حمزة وحده: (سيُكتب ما قالوا) بياء مضمومة، و (قتلهم) رفعا و (يقول ذوقوا) بالياء. وقرأ الباقون: (سنكتب) بالنون: و (قتلهم) نصبا، و (نقول) بالنون. ينظر : معاني القراءات للأزهري : ١/ ٢٨٥، و الحجة للقراء السبعة : ٣/ ١١٥.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٢٢٥.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٨٢/٦.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/ ٤٤٦.

ووافقهم ابن الجوزي رحمه الله تعالى أيضًا بقوله: "وفي معنى سنكتب ما قالوا قولان: أحدهما: سنحفظ عليهم ما قالوا، قاله ابن عباس رضي الله عنه ، والثاني: سنأمر الحفظة بكتابته، قاله مقاتل" (١). وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "وقرأ الجمهور سنكتب ما قالوا وقتلهم بنون العظمة من (سنكتب) وبنصب اللام من (قتلهم) على أنه مفعول (نكتب) و (نقول) بنون. وقرأه حمزة: سيكتب بياء الغائب مضمومة وفتح المثناة الفوقية مبنيا للنائب لأن فاعل الكتابة معلوم وهو الله تعالى ، وبرفع اللام من (قتلهم) على أنه نائب الفاعل. (ويقول) بياء الغائب، والضمير عائد إلى اسم الجلالة في قوله: إن الله" (٢). فسياق النص دفع المفسرين رحمهم الله تعالى على ترجيح قراءة العامة.

النموذج السادس: قوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ﴾[النساء جزء من الآية :١١]
ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قراءة العامة (واحدةً) (٣) بالنصب، وقرأ نافع (واحدةٌ) بالرفع على معنى: إن وقعت واحدة، أي: إن حدث حكم واحدة، أو إرث واحدة؛ لأن المراد حكمها والقضاء في إرثها، لا ذاتها (٤).

وقد اختار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة العامة فقال: "والاختيار قراءة العامة؛ لأن التي قبلها لها خبر منصوب، وهو قوله: ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ ﴾ ، وكما أن الضمير هناك: إن كن المتروكات أو الوارثات نساء، كذلك ههنا: وإن كانت المتروكة واحدة" (٥).

فتناسق كلمات السياق الواحد وتشاكل عباراته سبب من أسباب اختيار الواحدي رحمه الله تعالى لقراءة على أخرى، فلكون قراءة (وإن كانت واحدةً) بنصب (واحدة) على أنها خبر (كان) توافق ما سبقها في الآية نفسها (فإن كنَّ نساءً) بنصب (نساء) على معنى: فإن كانت المتروكاتُ نساءً، ؛ لذلك فالأولى أن تقرأ (واحدةً) بالنصب لتوافق ما قبلها في سياق الآية.

ووافقه الزمخشري رحمه الله تعالى فقال: "وقرئ: واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب أوفق لقوله: ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ ﴾ " (٦). وكذلك فعل الرازي رحمه الله تعالى بقوله: "أما قوله تعالى : وإن كانت واحدة فلها النصف فنقول: قرأ نافع (واحدة) بالرفع، والباقون بالنصب، أما الرفع فعلى كان التامة، والاختيار النصب لأن التي قبلها لها خبر منصوب وهو قوله: فإن كن نساء والتقدير: فإن كان المتروكات أو الوارثات نساء فكذا هاهنا، التقدير: وإن كانت المتروكة واحدة" (٧).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير : ١/ ٣٥٤.
(٢) التحرير والتنوير: ٤/ ١٨٤.
(٣) قرأ نافع وحده: (وإن كانت واحدة) رفعا، وقرأ الباقون: (واحدة) نصبا. معاني القراءات للأزهري : ٢٩٣/١.
(٤) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٣٥٨.
(٥) المصدر نفسه .
(٦) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ١/ ٤٨٠.
(٧) مفاتيح الغيب : ٩/ ٥١٥.

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "وقرأ الجمهور: «وإن كانت واحدة» بنصب واحدة على أنه خبر كانت، واسم كانت ضمير عائد إلى ما يفيده قوله: في أولادكم من مفرد ولد، أي وإن كانت الولد بنتا واحدة، وقرأ نافع، وأبو جعفر بالرفع على أن كان تامة، والتقدير: وإن وجدت بنت واحدة، لما دل عليه قوله: فإن كن نساء" (١).

النموذج السابع: قوله تعالى:﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النساء جزء من الآية : ٢٤]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أنه قرئ (أَحَلَّ) (٢) بفتح الهمزة على البناء للفاعل، وقرئ (أُحِلَّ) بضم الهمزة على البناء للمفعول به (٣).

واختار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة فتح الهمزة فقال: "والفتح أشبه بما قبله؛ لأن معنى ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ كتب الله عليكم كتابًا وأحلّ لكم، فبناء الفتح للفاعل ههنا أحسن" (٤).

من هذا الكلام نرى الواحدي رحمه الله تعالى يؤكد مرة أخرى على أهمية السياق في اختيار القراءات، فقراءة فتح الهمزة (أَحَلَّ) توافق ما قبلها وتتناسق معه أكثر من قراءة الضم عند الواحدي ، ومع ذلك نجد أن الواحدي لم يرفض القراءة الأخرى، قراءة (أُحِلَّ) فذكر أن من بنى الفعل للمفعول به فقال: وأُحِلَّ لكم "فهو في المعنى يؤول إلى الأول، وفي ذلك مراعاة مشاكلةِ ما بعد بما قبل وهو قوله (حُرِّمَتْ)، فلما كان التحريم مبنياً للمفعول به كذلك الإحلال" (٥)، فوجه القراءتين بالسياق، ووضح أن سياق الآية يحتمل كلتا القراءتين، ولا تنافي بينهما.

ولا فرق بين القراءتين عند الطبري رحمه الله تعالى ، قال: "والذي نقول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الإسلام غير مختلفتي المعنى، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب الحق" (٦).

ومال ابن خالويه رحمه الله تعالى إلى قراءة الضم بقوله: "قوله تعالى : ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ يقرأ بفتح الهمزة وضمها. فالحجة لمن فتح قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ، لأن معناه: كتب الله كتابا عليكم وأحل لكم، لأن ذلك أقرب إلى ذكر الله تعالى. والحجة لمن ضم: أنه عطفه على قوله: ﴿حُرِّمَتْ

---

(١) التحرير والتنوير: ٤/ ٢٥٩.

(٢) فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر {وأَحَل لكم} بفتح الألف والحاء و {أُحصن} مضمومة الألف وقرأ الكسائي وحمزة {وأُحل لكم} مضمومة الألف و {أَحصن} مفتوحة الألف واختلف عن عاصم فروى عنه حفص {وأُحل} و {أُحصن} مضمومتين وروى عنه المفضل وأبو بكر {وأحل لكم} و {أحصن} بالفتح جميعا، كتاب السبعة في القراءات :٢٣١، وينظر : معاني القراءات للأزهري : ١/ ٣٠٠.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٦/ ٤٣٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٨٣/٦.

﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ وجاز له ذلك، لأنه إنما يأتي محظور بعد مباح، أو مباح بعد محظور. وأحل بعد حرم أحسن وأليق بمعنى الكلام." [1].

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: "وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر «وأحل لكم» بفتح الألف والحاء، وهذه مناسبة لقوله ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ إذ المعنى كتب الله ذلك كتابا، وقرأ حمزة والكسائي «وأحل» بضم الهمزة وكسر الحاء وهذه مناسبة لقوله: حرمت عليكم والوراء في هذه الآية ما يعتبر أمره بعد اعتبار المحرمات، فهن وراء أولئك بهذا الوجه" [2].

وبين أبو حيان رحمه الله تعالى أن القراءتان سواء بقوله: "ولا فرق في العطف بين أن يكون الفعل مبنيا للفاعل، أو للمفعول. ولا يشترط المناسبة ولا يختار، وإن اختلف الفاعل المحذوف لقيام المفعول مقامه، والفاعل الذي أسند إليه الفعل المبني للفاعل، فكيف إذا اتحد كهذا، لأنه معلوم أن الفاعل المحذوف في حرمت: هو الله تعالى ، وهو الفاعل المضمر في: أحل المبني للفاعل" [3].

النموذج الثامن: قوله تعالى : ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨﴾ [الاعراف : ٩٨]

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن أكثر القراء قرؤوا ﴿أَوَأَمِنَ﴾ [4] بفتح الواو، وهو حرف العطف دخل على همزة الاستفهام، كما دخل في قوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾[يونس جزء من الآية: ٥١]، وقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا﴾ [البقرة جزء من الآية: ١٠٠]، ورجحها بقوله رحمه الله تعالى : " وهذه القراءة أشبه بما قبله وما بعده؛ لأن ما قبله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف جزء من الآية: ٩٧]، وما بعده: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف جزء من الآية: ٩٩] ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأعراف جزء من الآية: ١٠٠] " [5].

فاختار قراءة فتح الواو؛ لمشاكلتها سياق النص السابق ، وسياق النص اللاحق لتتسق التراكيب وتتوافق ألفاظها في النصوص المتجاورة . ثم بين معنى القراءة الثانية بإسكان الواو فذكر إنها تأتي

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ١٢٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢/ ٣٦.

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٥٨٦.

(٤) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أوأمن بسكون الواو وإظهار الهمزتين، وقرأ ورش عن نافع «أوَ امن» بفتح الواو وإلقاء حركة الهمزة الثانية عليها، وهذه القراءة في معنى الأولى ولكن سهلت، وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي، «أو أمن» بفتح الواو وإظهار الهمزتين المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٢/ ٤٣٣، و ينظر : مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني : ١٨٠.

(٥) التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٩/٢٥٠، وينظر: مفاتيح الغيب : ٣٢٢/١٤.

لاختيار أحد الشيئين كقولنا جالس الحسن أو ابن سيرين ، بمعنى مجالسة الحسن وابن سيرين بمنزلة واحدة، وعلى هذا المعنى أفأمنوا إحدى هذه العقوبات ؟! وتأتي بمعنى الاضراب كقولك أخرج أو أقيم ،أي : عدلت عن الخروج إلى الإقامة ولم تبطل الخروج فكأن المعنى في هذه الآية: أأمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم ؟! (١)

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى: "قرأه نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر بسكون الواو على أنه عطف بحرف (أو) الذي هو لأحد الشيئين عطفا على التعجيب، أي: هو تعجيب من أحد الحالين. وقرأه الباقون بفتح الواو على أنه عطف بالواو مقدمة عليه همزة الاستفهام، فهو عطف استفهام ثان بالواو المفيدة للجمع، فيكون كلا الاستفهامين مدخولا لفاء التعقيب، على قول جمهور النحاة، وأما على رأي الزمخشري (٢) فيتعين أن تكون الواو للتقسيم،أي: تقسيم الاستفهام إلى استفهامين" (٣).

النموذج التاسع : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ [التوبة: ٦١].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ أُذُنُ خَيْرٍ ﴾ (٤) قراءتين: الأولى (أذنُ خيرٍ) بإضافة (إذن) إلى (خير)، والقراءة الثانية (أذنٌ خيرٌ) بتنوين (أذن) فيكون (خيرٌ) صفة لـ (أذنٌ) (٥).

ورجح الواحدي رحمه الله تعالى القراءة الأولى (أذنُ خيرٍ)، فقال: "والقراءة هي الأولى؛ لأن ما بعده يؤكده، وهو قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، أي: يسمع ما ينزله الله جل وعز عليه فيصدق به ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به، فهو أذن خير لا أذن شر..." (٦). وكان قبل ذلك فسر قوله تعالى ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ بقوله: "مستمع خير وصلاح ومصغ إليه، لا مستمع شر وفساد" (٧).

فقوى الواحدي رحمه الله تعالى قراءة ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ ﴾ اعتمادًا على ما ورد في سياق الآية؛ إذ إن قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ تفسير لقوله سبحانه ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط : ٢٥١/٩.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٢/ ١٣٤.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٣/٩.

(٤) فقرأ نافع وحده {هو أذن قل أذن خير لكم} بإسكان الذال فيهما وقرأ الباقون {هو أذن قل أذن خير لكم} بتثقيل الأذن وكلهم يضيف {آذن}إلى {خير} ، كتاب السبعة في القراءات : ٣١٥.

(٥) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٠/ ٥٢٤.

(٦) المصدر نفسه .

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٠/ ٥٢٣.

ووافقه الطبري رحمه الله تعالى بقوله: "والصواب من القراءة عندي في ذلك، قراءة من قرأ: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ [التوبة جزء من الآية: ٦١] بإضافة الأذن إلى الخير، وخفض الخير، يعني: قل هو أذن خير لكم" (١).

قال ابن زنجلة رحمه الله تعالى: "وقرأ الباقون ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ ﴾ بالإضافة وهو نفي لما قالوه المعنى أذن خير لا أذن شر أي مستمع خير ثم بين ممن يقبل فقال ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي يسمع ما ينزله الله عليه فيصدق به ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه ولا يصدق المنافقين والباء واللام زائدتان المعنى يصدق الله ويصدق المؤمنين" (٢).

حيث رجح الواحدي رحمه الله تعالى قراءة الاضافة على قراءة الخبر.

النموذج العاشر: : قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف :٩٠]

ذكر الواحدي (٣) أن قول تعالى : ﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ فيه قراءتان (٤) على الاستفهام بمعنى أوَ أنت يوسف؟ والثانية قراءة الخبر، أي: قالوا مخبرين إنك أنت يوسف. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه (٥) أن يوسف قال لهم: (هل علمتم) الآية، ثم تبسم فلما أبصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف فقالوا له استفهامًا:﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾بمعنى عرفوا من جماله إنه يوسف فقالوا أنت يوسف على الإخبار.

واستدل الواحدي رحمه الله تعالى لقراءة الاستفهام فقال: " ويدل على صحة الاستفهام قوله تعالى : ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾ وإنما أجابهم عما استفهموا عنه" (٦).

فاستدل الواحدي رحمه الله تعالى لقراءة الاستفهام بسياق الآية، فقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام بعد حكاية قول إخوته: ﴿أَنَا يُوسُفُ﴾جاء على أسلوب جواب لسؤال. ونظرًا لقوة دلالة السياق على أن قول إخوة يوسف استفهام جوز أن يكون معنى قراءة ابن كثير (إنك لأنت يوسف) الاستفهام،

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٥٣٦/١١.

(٢) حجة القراءات :٣٢٠.

(٣) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٢/ ٢٣٣.

(٤) قرأ جميع القراء بالاستفهام، غير ابن كثير فقرأ: (إنك لأنت يوسف) على الخير، واختلفوا في الهمز، فكان حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر يهمزون همزتين (أئنك) والباقون يهمزون همزة واحدة. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ١/ ٣٣٥، وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧٦/٣.

(٥) أخرجه البغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن : ٤/ ٢٧٣ ، و الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٦/٩.

(٦) التَّفْسِيرُ البَسِيْط ١٢/ ٢٣٣.

فقال: "ويجوز أن يكون ابن كثير أراد الاستفهام ثم حذفه، كما قال أبو الحسن في قوله ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ ﴾[الشعراءجزء من الآية: ٢٢] أنه على الاستفهام كأنه أَوَ تلك؛ لأن حرف الاستفهام قلَّ ما يحذف في غير الشعر" [١]. وأرى أن الواحدي رحمه الله تعالى هنا يرى تفسير إحدى القراءتين بالأخرى، وبين أن معناهما واحد، بناءً على السياق الذي وردتا فيه.

قال الطبري رحمه الله تعالى "والصواب من القراءة في ذلك عندنا، قراءة من قرأه بالاستفهام، لإجماع الحجة من القراء عليه" [٢]. وقال ابن خالويه رحمه الله تعالى: "يقرأ بهمزتين محققتين وبهمزة ومدة وياء بعدها، وبالإخبار من غير استفهام. فالحجة لمن حقق: أن الأولى للاستفهام، والثانية همزة إن، فأتى بهما على أصلهما. والحجة لمن همزه ومد وأتى بالياء: أنه فرق بين الهمزتين بمدة، ثم لين الثانية فصارت ياء لانكسارها. والحجة لمن أخبر ولم يستفهم: أجابته لهم بقوله:(أنا يوسف). ولو كانوا مستفهمين لأجابهم بنعم، أولا، ولكنهم أنكروه فأجابهم محققاً" [٣].

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: "وقوله: فعلتم بيوسف وأخيه يريد من التفريق بينهما في الصغر والتمرس بهما وإذاية بنيامين بعد مغيب يوسف، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه، ولم يشر إلى قصة بنيامين الآخرة لأنهم لم يفعلوا هم فيها شيئا، ونسبهم إما إلى جهل المعصية، وإما إلى جهل الشباب وقلة الحنكة، فلما خاطبهم هذه المخاطبة، ويشبه أن يكون قد اقترن بها من هيئته وبشره وتبسمه ما دلهم تنبهوا ووقع لهم من الظن القوي أنه يوسف، فخاطبوه مستفهمين استفهام مقرر. وقرأت فرقة «أإنك يوسف» بتحقيق الهمزتين، وقرأت فرقة بإدخال ألف بين همزتين وتحقيقهما «أاإنك»" [٤].

النموذج الحادي عشر: قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦ ﴾[الكهف: ٢٦].

قال الواحدي رحمه الله تعالى: "وقرأ ابن عامر: (ولا تشرك) [٥]، على معنى: ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحدًا، على النهي عن الإشراك في حكمه، أي: لا يكن كمن قيل فيه: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣/ ٣٢٨.

(٣) الحجة في القراءات السبع : ١٩٨.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٧٦/٣.

(٥) قرأ ابن عامر الشامي: (ولا تشرك) بالتاء جزمًا. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وحمزة، وعاصم، والكسائي: (ولا يشرك) بالياء والرفع. ينظر: كتاب السبعة في القراءات : ٣٩٠، و معاني القراءات للأزهري : ١٠٩/٢.

مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١]. وعلى هذه القراءة في الآية رجوع من الغيبة إلى الخطاب" [1].

ثم اختار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ ﴾اعتمادًا على السياق؛ لورود تراكيب بصيغة الغيبة ولا تحتمل غيرها، فهذه القراءة أكثر اتساقًا مع السياق؛ لذلك فهو يرى أن هذه القراءة أولى من قراءة (ولا تُشْرِك)؛ قال الواحدي رحمه الله تعالى: " والقراءة الأولى التي عليها العامة أشبه لتقدم اسم الغيبة، وهو قوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾، والهاء للغيبة فكذلك قوله: ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ ﴾، أي: ولا يشرك اللهُ في حكمه أحدًا" [2].

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "ولا يشرك في حكمه أحدا ولا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكا لله عز وجل في حكمه. وقرأ ابن عامر: «ولا تشرك» جزما بالتاء، والمعنى: لا تشرك أيها الإنسان" [3].

وقال الرازي رحمه الله تعالى : "والمعنى أنه تعالى لما حكم أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لأحد أن يقول قولا بخلافه. والأصل أن الاثنين إذا كانا لشريكين فإن الاعتراض من كل واحد منهما على صاحبه يكثر ويصير ذلك مانعا لكل واحد منهما من إمضاء الأمر على وفق ما يريده. وحاصله يرجع إلى قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياءجزء من الآية: ٢٢] فالله تعالى نفى ذلك عن نفسه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ وقرأ ابن عامر ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي والخطاب عطفا على قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ﴾ [الكهفجزء من الآية: ٢٣] أوعلى قوله: واذكر ربك إذا نسيت والمعنى ولا تسأل أحدا عما أخبرك الله به من عدة أصحاب الكهف واقتصر على حكمه وبيانه ولا تشرك أحدا في طلب معرفة تلك الواقعة وقرأ الباقون بالياء والرفع على الخبر والمعنى أنه تعالى لا يفعل ذلك" [4].

النموذج الثاني عشر: قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى أن قوله تعالى (منها) وردت فيها قراءتان: الإفراد والتثنية [1]. ثم قال رحمه الله تعالى مختارًا قراءة الإفراد: "والإفراد أولى من حيث كان أقرب إلى الجنَّة المفردة في قوله:

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٣/ ٥٩٧، وينظر : الحجة للقراء السبعة: ٥/١٤١.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٣/ ٥٩٧.

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٣/٧٨.

(٤) مفاتيح الغيب : ٢١/٤٥٣.

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ [الكهف جزء من الآية: ٣٥] والتثنية لا تمتنع لتقدم ذكر الجنتين" (٢)، فلكون سياق الحديث عن الجنَّة وهي مفرد اختار الواحدي رحمه الله تعالى قراءة الإفراد؛ لأنها أوفق بالسياق.

ورجح القرطبي رحمه الله تعالى التثنية بقوله: "والتثنية أولى، لأن الضمير أقرب إلى الجنتين" (٣).

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى : "يعنى قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه. فإن قلت: فلم أفرد الجنَّة بعد التثنية؟ قلت: معناه ودخل ما هو جنته ما له جنَّة غيرها، يعنى أنه لا نصيب له في الجنَّة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنَّته لا غير، ولم يقصد الجنَّتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما أوتى مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم. إخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته: لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادى غفلته واغتراره بالمهلة وإطراحه النظر في عواقب أمثاله. وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم، فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت إلى ربي إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه، ليجدن في الآخرة خيرا من جنَّته في الدنيا، تطمعا وتمنيا على الله، وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنَّتين إلا لاستحقاقه واستئهاله، وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه، كقوله إن لي عنده للحسنى، لأوتين مالا وولدا. وقرئ: خيرا منهما، ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة. وانتصابه على التمييز، أي: منقلب تلك، خير من منقلب هذه، لأنها فانية وتلك باقية." (٤).

وقال أبو حيان مضعفًا قول الزمخشري رحمهم الله تعالى: "ولا يتصور ما قال لأن قوله﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ إخبار من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته فلا بد أن قصد في الإخبار أنه دخل إحدى جنتيه إذ لا يمكن أن يدخلهما معا في وقت واحد، والمعنى ودخل جنَّته يري صاحبه ما هي عليه من البهجة والنضارة والحسن" (٥).

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر / خيرا منهما / بزيادة الميم بعد الهاء على التثنية وكذلك هى فى مصاحف أهل مكة والمدينة والشام وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى {خيرا منها} وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة وأهل الكوفة ، كتاب السبعة في القراءات :٣٩٠، و ينظر: معاني القراءات للأزهري : ٢/ ١٠٩.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٤/ ١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن :١٠/ ٤٠٤.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٧٢١- ٧٢٢.

(٥) البحر المحيط في التفسير: ٧/ ١٧٦.

النموذج الثالث عشر: قوله تعالى :﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ ﴾ [طه: ٣١ -٣٢].

ذكر الواحدي رحمه الله تعالى [١] أن قوله تعالى (اشدُدْ) و(أَشرِكْهُ) قرئ قراءتين [٢] : القراءة الأولى (اشْدُدْ) و(أَشْرِكْهُ) على الدعاء، وقرأها ابن عامر (أَشْدِد) و(أُشْرِكْه) على الجواب والمجازاة.

واختار الواحدي رحمه الله تعالى القراءة الأولى؛ لأنه معطوف على أفعال بصيغة الدعاء؛ قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ ﴾ وما بعدها من الآيات. قال الواحدي : "والوجه الدعاء؛ لأنه معطوف على ما تقدمه من قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ ﴾[طه ٢٥-٢٦] ، فكما أن ذلك كله دعاء فكذلك ما عُطف عليه..." [٣].

ووافقه الطبري رحمه الله تعالى بقوله : "وذكر عن عبد الله بن أبي إسحاق أنه كان يقرأ: «أشدد به أزري» بفتح الألف من أشدد «وأشركه في أمري» بضم الألف من أشركه، بمعنى الخبر من موسى عليه السلام عن نفسه، أنه يفعل ذلك، لا على وجه الدعاء. وإذا قرئ ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء، أو جواب الدعاء، وذلك قراءة لا أرى القراءة بها، وإن كان لها وجه مفهوم، لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها" [٤].

ووافقهم ابن عطية رحمه الله تعالى بقوله : "وقرأ الباقون «أشدد» بضم الهمزة «وأشرك» على معنى الدعاء في شد الأزر وتشريك هارون في النبوءة وهذه هي الوجه لأنها تناسب ما تقدم من الدعاء وتعضدها آيات غير هذه بطلبه تصديق هارون إياه" [٥]. وكذلك ابن الجوزي بقوله : "والوجه الدعاء دون الإخبار، لأن ما قبله دعاء" [٦] .

فسياق الآيات حمل المفسرين على ترجيح قراءة الدعاء دون الإخبار.

النموذج الرابع عشر قوله تعالى : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ ﴾ [الحج: ٤٥].

---

(١) ينظر: التَّفْسِيرُ البَسِيْط١٤/ ٣٩١.

(٢) قرأ ابن عامر وحده {أخي اشدد به} الألف مقطوعة مفتوحة والياء ساكنة {وأشركه} الألف مضمومة على الجواب والمجازاة ، وقرأ الباقون {أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري} مفتوحة الألف على الدعاء إلا أبا عمرو وابن كثير فإنهما فتحا الياء من {أخي} وقرأ نافع فى رواية المسيبى وابن كثير {وأشركه في أمري} بزيادة واو في اللفظ ، وقرأ الباقون {وأشركه} مضمومة الهاء من غير بلوغ واو ، كتاب السبعة في القراءات : ٤١٨ ، و ينظر : معاني القراءات للأزهري :١٤٤/٢.

(٣) التَّفْسِيرُ البَسِيْط :١٤/ ٣٩١.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن :٥٦/١٦.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزي : ٤٢/٤.

(٦) زاد المسير في علم التفسير: ١٥٧/٣.

بين الواحدي رحمه الله تعالى ان قوله تعالى : ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾، فيه قراءتين [1] بالتاء الضمير المسند إلى الله تعالى والنون على صيغة الجمع ،أي: نون العظمة ورجح الواحدي رحمه الله تعالى قراءة التاء لموفقتها السياق: "وقوله (أهلكتها) وقُرئ (أهلكناها)، والاختيار التاء؛ لقوله ﴿ فَأَمۡلَيۡتُ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡ ﴾..." [٢] ثم ذكر توجيه القراءة الثانية بالاستشهاد لها من مواضع أخرى من سياق النص السابق.

فنلاحظ أن الواحدي اختار قراءة (أهلكتها) مستنداً إلى ما ورد في سياق الآية السابقة؛ إذ سياق الآية السابقة في حكاية نسبة الأفعال إلى الله تعالى بصيغة المتكلم.

قال الرازي رحمه الله تعالى: "قرأ ابن كثير وأهل الكوفة والمدينة أهلكناها بالنون، وقرأ أبو عمرو ويعقوب أهلكتها وهو اختيار أبي عبيد لقوله في الآية الأولى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم" [٣]. وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: "وقرأ أبو عمرو وجماعة أهلكتها بتاء المتكلم، والجمهور بنون العظمة وهي ظالمة جملة حالية" [٤].

---

(١) قرأ أبو عمرو: "أهلكتها" بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد، وقرأ الباقون: "أهلكناها" بالنون بلفظ الجمع ، كتاب السبعة في القراءات : ٤٣٨، وينظر : معاني القراءات للأزهري : ٢/١٨٣.

(٢) التَّفْسِيرُ البَسِيْط: ١٥/ ٤٣٨.

(٣) مفاتيح الغيب : ٢٣/٢٣٢.

(٤) البحر المحيط في التفسير: ٧/٥١٩، وينظر : التحرير والتنوير: ١٧/٢٨٧.

خاتمة

بعد نهاية المطاف في الدراسة التطبيقية لآثار السياق القرآني في التفسير من خلال التفسير البسيط للواحدي رحمه الله تعالى، أوجز أهم ما توصلت إليه من نتائج على النحو الآتي:

١. السياق القرآني: هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى.
٢. الكلام يُحمل على اتصاله مالم يقم دليل على انقطاعه، وهذه القاعدة أساس دلالة السياق القرآني واعتمدها الواحدي رحمه الله تعالى في تفسيره.
٣. تُعَدُّ دلالة السياق من تفسير القرآن بالقرآن.
٤. إذا كانت اللفظة الواردة في الآية المفسَّرة تحتمل أكثر من معنى، وسياق الآية يحتمل جميع هذه المعاني، ولا يوجد تناقض بينها تُحمل عليها جميعًا، أما اذا كان السياق القرآني لا يحتمل الا معنى واحدًا من بين هذه المعاني نقصره عليه ونعدل عن غيره.
٥. اختيار المعنى الذي يوافق تركيب الآية المفسَّرة وألفاظها، وكذلك يوافق النص السابق واللاحق لها.
٦. يُعَدُّ السياق القرآني من الأدلة التي تُسَوِّغ تفسير الألفاظ بالنادر دون المعروف والمشهور من معانيها.
٧. مقابلة الضد بضده صيغة من صيغ الاستدلال بالسياق القرآني ينبغي على المفسر مراعاتها.
٨. اختيار الأوجه الأعرابية للنصوص القرآنية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياق القرآني.
٩. السياق القرآني من القواعد الترجيحية التي يرجع إليها المفسرون في نقد الأقوال التفسيرية والترجيح بينها، حيث يرجح القول الذي يحقق الترابط بين الآية المفسرة والآية التي قبلها أو بعدها ويقوي تناسبهما، ويُرَّد القول الذي ينافي السياق القرآني وإن صح لغة، وكثيرًا ما يُعتمد في بيان عائدية الضمائر المذكورة في الآية المفسرة على السياق الواردة فيه، فالأصل أن تعود لمرجع واحد حفاظًا على سياقها من التشتت.
١٠. قاعدة التأسيس أولى من التكرير، من القواعد التفسيرية التي ترتكز على السياق بشكل واسع.
١١. بيان وجوه المناسبة بين الآيات المتجاورة ،أو بين الجمل المتآخية في الآية الواحدة يعتمد بشكل كبير على تدبر سياق المقطع القرآني، والتعمق في دراسة الموضوع الذي سيقت الآيات لبيانه.
١٢. يعدُّ السياق الركيزة الأساسية في بيان معنى المشترك اللفظي.

١٣. السياق القرآني من الأساليب الأساسية في توجيه القراءات واختيارها.

١٤. ينبغي دراسة كل أثر من آثار السياق القرآني في التفسير بشكل مستقل وبدراسة تحيط بجميع جوانبه.

ثبت المصادرو المراجع

*القرآن الكريم.

١. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء(ت ١١١٧هـ)، المحقق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.

٢. إتقان البرهان في علوم القرآن ، الاستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، الجامعة الأردنية ، دار الفرقان ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

٣. الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٤. أثر التحليل النحوي في توجيه المعنى التفسيري (تفسير البسيط أنموذجًا) ، للدكتور ميثم كريم كاظم الشاهين الطبعة الاولى ٢٠١٨م.

٥. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد مطبعة السنة المحمدية ، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٦. أحكام القرآن ، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي(ت ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف ، دار إحياء التراث العربي – بيروت تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.

٧. أحكام القرآن ، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي(ت ٥٠٤هـ) ، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية ، دار الكتب العلمية_ بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ .

٨. الإحكام في أصول الأحكام ، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي(ت ٦٣١هـ) ، المحقق: عبد الرزاق عفيفي ، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان.

٩. الاختيار عند القراء: مفهومه، مراحله، وأثره في القراءات، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى/ كلية الدعوة وأصول الدين، إعداد أمين بن إدريس بن عبدالرحمن فلاته، ١٤٢١هـ: ٤٣.

١٠. الاختيار لتعليل المختار ، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي(ت ٦٨٣هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة (من علماء الحنفية ومدرس بكلية أصول الدين سابقا)، مطبعة الحلبي – القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية – بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧ م.

١١. أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(ت ٥٣٨هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٢. أسباب نزول القرآن ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت ٤٦٨هـ) ، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام ، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
١٣. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، بديع الزمان سعيد النورسي(ت ١٣٧٩هـ) ، المحقق: إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر – القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٢.
١٤. أصول السرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت٤٨٣هـ) دار المعرفة – بيروت.
١٥. الأضداد ، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري ،(ت ٣٢٨هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان ، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(ت ١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٧. إعراب القرآن ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه : عبد المنعم خليل إبراهيم ،
١٨. الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي(ت ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .
١٩. الإقناع في القراءات السبع ، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش(ت ٥٤٠هـ) ، دار الصحابة للتراث .
٢٠. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا(ت ٤٧٥هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٢١. الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي(ت ٢٠هـ)، دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٢. إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت ٦٤٦هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م .
٢٣. الأنساب ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد(ت ٥٦٢هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م .
٢٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت ٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .
٢٥. أنواع التَّصنيف المتعلِّقة بتَفسير القُرآن الكريم ، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٤ هـ .
٢٦. إيضاح الوقف والابتداء ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري(ت ٣٢٨هـ) ، المحقق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.
٢٧. بحث دوران اللفظ بين التأسيس والتوكيد وأثره عند الأصوليين، دراسة تحليلية مقارنة: بحث للدكتور سعيد بن أحمد صالح فرج، منشور في مجلة الدراية/ جامعة الأزهر/ العدد الخامس عشر لسنة ٢٠١٥م/ الجزء السابع: ١٨٦ – ١٨٩.
٢٨. بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ،(ت ٣٧٣هـ)
٢٩. البحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت ٧٩٤هـ) ، دار الكتبي الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
٣٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ،(ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ .
٣١. البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت ٧٧٤هـ) ، المحقق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م.
٣٢. بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت _لبنان .

٣٣. البرهان في علوم القرآن ، : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت ٧٩٤هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
٣٤. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي(ت ٥٩٩هـ) ، دار الكاتب العربي – القاهرة ، ١٩٦٧ م.
٣٥. بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي يكر جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.
٣٦. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية.
٣٧. تاريخ جرجان ، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني(ت ٤٢٧هـ) ، المحقق: تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان ، عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٣٨. تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر(ت ٥٧١هـ) ، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٣٩. تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
٤٠. التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت ٦١٦هـ) ، المحقق : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٤١. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر(ت ٥٧١هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة : الثالثة، ١٤٠٤.
٤٢. التحبير في المعجم الكبير، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد(ت ٥٦٢هـ) ، المحقق: منيرة ناجي سالم ، رئاسة ديوان الأوقاف – بغداد ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م .
٤٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤٤. التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي(ت ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .

٤٥. التصوير الفني في القرآن لسيد قطب (التصوير الفني في القرآن لسيد قطب، دار الشروق، ط: ١٧، ٢٠٠٤م.).

٤٦. تفسير ابن عرفة ، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله(ت ٨٠٣هـ)، المحقق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.

٤٧. تفسير الإمام الشافعي ، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي(ت ٢٠٤هـ)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، دار التدمرية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

٤٨. التَّفْسِيرُ البَسِيْط ،أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ،(ت ٤٦٨هـ) ،أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ،عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : الأولى، ١٤٣٠ هـ .

٤٩. التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي ، دار الوضاح، الأردن – عمان.

٥٠. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت ٣١٠هـ) ، المحقق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٥١. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني(ت ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

٥٢. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي(ت ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥٣. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت٧٧٤هـ) ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٥٤. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم(ت ٣٢٧هـ) ، المحقق: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
٥٥. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي(ت ٣٣٣هـ) ، المحقق: د. مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٥٦. تفسير الماوردي = النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي،(ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
٥٧. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت ٧١٠هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٥٨. التفسير الوسيط للزحيلي ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر - دمشق ، الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٥٩. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٦٠. تفسير عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني(ت ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ .
٦١. تفسير مجاهد ، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي(ت ١٠٤هـ) ، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
٦٢. تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى(ت ١٥٠هـ) ، المحقق: عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.

٦٣. تفسير يحيى بن سلام ، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني(ت ٢٠٠هـ) ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٦٤. تقريب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة ، دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
٦٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (ت ٦٨هـ) ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت ٨١٧هـ) ، دار الكتب العلمية – لبنان.
٦٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي(ت ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.
٦٧. تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٦٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصربن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ) ، المحقق عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.
٦٩. التيسير في القراءات السبع ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني(ت ٤٤٤هـ) ، المحقق: اوتو تريزل ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٧٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٧١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت ٦٧١هـ) ، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .
٧٢. جمهرة أنساب العرب ، أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي(ت ٢٠٤هـ) .
٧٣. حاشية البناني على جمع الجوامع ، طبعة : مصر ١٩١٦م.

٧٤. حاشية الشهابِ علَى تفسير البيضاوي، الْمسمَّاة: عناية القاضي وكفَاية الرَّاضي علَى تفسير البيضاوي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي(ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر – بيروت.

٧٥. حاشية محي الدين شيخ زادة محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجي الحنفي على تفسير القاضي البيضاوي(ت سنة ٩٥١هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين ، دار الكتب العلمية _ بيروت لبنان . الطبعة الاولى : ١٤١٩هـ -١٩٩م.

٧٦. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي(ت ٤٥٠هـ) ، المحقق: الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م.

٧٧. حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة(ت حوالي ٤٠٣هـ) ، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني ، دار الرسالة.

٧٨. الحجة في القراءات السبع لحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله ،(ت ٣٧٠هـ) ، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت ، دار الشروق – بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ.

٧٩. الحجة للقراء السبعة ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي(ت ٣٧٧هـ) ، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

٨٠. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) ، دار الفكر – بيروت.

٨١. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير ، د .عبد الحكيم بن عبد الله القاسم الاستاذ المساعد بجامعة الملك سعود ، اطروحة دكتوراه في كلية اصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

٨٢. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية للباحث فهد بن شتوي عبد المعين الشتوي ، الرقم الجامعي ٤٢٣٨٠٢٩٧، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة واصول الدين ، قسم الكتاب والسنة ،١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨٣. دمية القصر وعصرة أهل العصر ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن(ت ٤٦٧هـ) ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ .

٨٤. ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي، أبو محمد الكتاني الدمشقي(ت ٤٦٦هـ) ، المحقق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
٨٥. الرسالة ، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي(ت ٢٠٤هـ) ، المحقق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
٨٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي(ت ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
٨٧. زاد المحتاج بشرح المنهاج ، العلامة الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن الحسن الكوهجي الشافعي ، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الاولى.
٨٨. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،(ت ٥٩٧هـ) ،المحقق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
٨٩. الزاهر في معاني كلمات الناس ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري(ت ٣٢٨هـ) ، حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.
٩٠. السياق القرآني اهميته ، أنواعه ، ضوابطه هارون الرشيد، الاستاذ المساعد، ألية الدراسات الإسلامية (أصول الدين) قسم التفسير وعلوم القرآن ، الجامعة الإسلامية العالمية–إسلام آباد.
٩١. السياق القرآني وأثره في التفسير ، إعداد الدكتور أحمد ماهر سعيد نصر، مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالسادات ، جمهورية مصر العربية.
٩٢. السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، للباحث عبدالرحمن سرور جرمان المطيري ، الرقم الجامعي ٤٢٧٨٠٠٦٧، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة واصول الدين ، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
٩٣. سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت ٧٤٨هـ) ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٩٤. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف(ت ١٣٦٠هـ) ، علق عليه: عبد المجيد خيالي ، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت ٣٩٣هـ) ، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٩٦. طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي(ت ٧٧١هـ) ، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
٩٧. طبقات المفسرين العشرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦.
٩٨. طبقات المفسرين للداوودي ، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي(ت ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
٩٩. طبقات خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري(ت ٢٤٠هـ).
١٠٠. العبر في خبر من غبر ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت ٧٤٨هـ) ، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت .
١٠١. غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(ت ٨٣٣هـ) ، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج برجستراسر.
١٠٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري(ت ٨٥٠هـ) ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .
١٠٣. غريب القرآن لابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦هـ) ، المحقق: سعيد اللحام.
١٠٤. فصول في أصول التفسير ، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان ، دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ .

١٠٥. فضائل القرآن للقاسم بن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي(ت ٢٢٤هـ)، المحقق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير (دمشق – بيروت) ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م.

١٠٦. في علوم القرآن دراسات ومحاضرات ، محمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف، دار النهضة العربية – بيروت.

١٠٧. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، الدكتور سعدي أبو حبيب ، دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ، تصوير: ١٩٩٣ م.

١٠٨. القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى(ت ٨١٧هـ) ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٠٩. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية ، للدكتور حسين بن علي بن حسين الحربي، راجعه وقدم له فضلية الشيخ مناع القطان بن خليل القطان ، دار القاسم.

١١٠. قواعد وضوابط في السياق محمد الربيعة، و السياق القرآني أهميته ، أنواعه.

١١١. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت ٧٤٨هـ) ،المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

١١٢. الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس(ت ٢٨٥هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

١١٣. الكامل في ضعفاء الرجال ، أبو أحمد بن عدي الجرجاني(ت ٣٦٥هـ) ، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة ، الكتب العلمية – بيروت- لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

١١٤. كتاب أسباب النزول للواحدي ،(ت ٤٦٨هـ) دراسة وتحليل ، رسالة ماجستير للباحث ياسر احسان رشيد ، الجامعة العراقية للعلوم الاسلامية ،الطبعة الاولى ٢٠٠١م.

١١٥. كتاب السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي(ت ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ.

١١٦. كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(ت ١٧٠هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال.
١١٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله(ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
١١٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق(ت ٤٢٧هـ) ، المحقق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
١١٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي(ت ١٠٩٤هـ) ، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل ،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت ٧٤١هـ) ، تصحيح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٢١. اللباب في تهذيب الأنساب ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ) ، دار صادر – بيروت .
١٢٢. اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني(ت ٧٧٥هـ) ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
١٢٣. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي(ت ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
١٢٤. المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابورىّ، أبو بكر(ت ٣٨١هـ) ، المحقق: سبيع حمزة حاكيمي ، مجمع اللغة العربية – دمشق عام النشر: ١٩٨١ م.
١٢٥. مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري(ت ٥١٨هـ) ، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان.

١٢٦. مجمل اللغة لابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين(ت ٣٩٥هـ) ، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
١٢٧. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت ٧٢٨هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
١٢٨. المجموع شرح المهذب ، المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر.
١٢٩. محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي(ت ١٣٣٢هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
١٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي(ت ٥٤٢هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
١٣١. المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد(ت ٣٨٥هـ).
١٣٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
١٣٣. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٣٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس(ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
١٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت ٥١٠هـ) ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
١٣٦. معاني القراءات للأزهري ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(ت ٣٧٠هـ) ، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية.

١٣٧. معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد(ت ٣٣٨هـ) ، المحقق: محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٣٨. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ،(ت ٢٠٧هـ) ، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر : الطبعة الأولى .
١٣٩. معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج(ت ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
١٤٠. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت ٦٢٦هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
١٤١. معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
١٤٢. معجم المؤلفين ، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق(ت ١٤٠٨هـ) ، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٤٣. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة.
١٤٤. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٤٥. معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي(ت ٧٤٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.
١٤٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام(ت ٧٦١هـ) ، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ م.
١٤٧. المغني لابن قدامة ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي(ت ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة ، الطبعة: بدون طبعة ،تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
١٤٨. مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرماني، أبو العلاء الحنفي(ت بعد ٥٦٣هـ) ، دراسة وتحقيق:

عبد الكريم مصطفى مدلج ، تقديم: الدكتور محسن عبد الحميد ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

١٤٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

١٥٠. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

١٥١. مفهوم السياق اصطلاحًا للكاتب عبد العزيز بن عبد الله المهيوبي، معهد تعليم اللغة العربية، ١٤٣٨هـ.

١٥٢. مفهوم السياق القرآني ومكوناته ملتقى أهل التفسير.

١٥٣. مقدمة في أصول التفسير ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي(ت ٧٢٨هـ) ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ، الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٥٤. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، تقيُّ الدِّين، أَبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن الأزهَر بن أَحمد بن محمَّد العراقيُّ الصَّريفِيْنِيُّ الحنبلِيُّ(ت ٦٤١هـ)، المحقق: خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع ، سنة النشر ١٤١٤هـ .

١٥٥. منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(ت ٨٣٣هـ) ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.

منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

١٥٦. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، محمد بن عبد الله دراز(ت ١٣٧٧هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية ، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

١٥٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين(ت ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

١٥٨. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف(ت ٨٣٣هـ)، المحقق: علي محمد الضباع(ت ١٣٨٠هـ) ، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية] .

١٥٩. نظرية السياق دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، للباحث المثنى عبد الفتاح ، دار وائل الاردن ، طبعة : ٢٠٠٨م.
١٦٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(ت ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٦١. الهداية في شرح بداية المبتدي ، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين(ت ٥٩٣هـ) ، المحقق: طلال يوسف ، دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
١٦٢. الواحدي ومنهجه في تفسيره البسيط ، للدكتور عمر إبراهيم رضوان ، جامعة المدينة العالمية_ ماليزيا ، كلية العلوم الاسلامية ، ٢٠١١.
١٦٣. الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي(ت ٧٦٤هـ) ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٦٤. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي(ت ١٤٠٣هـ) ، مكتبة السوادي للتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
١٦٥. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت ٤٦٨هـ)، المحقق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٦٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
١٦٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي(ت ٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت.